هنري فليش

العربية الفصحى

دراسة في البناء اللغوي

تعريب وتحقيق وتقديم

دكتور عبد الصبور شاهين

الناشر

مكتبة الشباب

٢٦ شارع اسماعيل سرى بالمنيرة

ت ٣٥٥١٨٣٥

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة لهذه الطبعة العربية

تصدر هذه الطبعة لتقديم الترجمة الكاملة لكتاب (العربية الفصحى) ، وذلك بعد قرابة ثلاثين سنة من تقديم الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ م .

لقد كنت حين ترجمت هذا الكتاب فى أوائل الستينيات - ما أزال معيداً بقسم علم اللغة ، بكلية دار العلوم ، وكان المؤلف بمراجعته يؤمن المسيرة ، ويقر التعبير الأمثل وها أنذا بعد أكثر من ثلاثين عاماً - أقدم ترجمة الباب الثالث عن (التراكيب - Syntaxe) فى اللغة الفصحى - كما حاول المؤلف أن يعالجها بفكره الاستشراقى ، ودرايته الكاملة والدقيقة بعناصر التركيب العربى ، ملتزماً بالنموذج القرآنى وما ينسج على منواله من تراكيب الشعراء والنثراء ، من فصحاء القرنين الأولين فى التاريخ الإسلامى .

وإذا كانت ترجمة دراسة المؤلف عن الأصوات ، والصرف (فى الطبعة السابقة) قد أسهمت فى إثراء المناقشات حول هذين البابين الأساسيين فى دراسة الفصحى - فإن ترجمة دراسته للتراكيب سوف تدهش الكثيرين من دارسى العربية ، وقد كنت أتمنى أن أقدمها منذ بعيد ، لولا حوائل وشواغل أبعدت الموضوع عن ملاحظتى ، إلى أن فرض نفسه على وقتى فخرج للقارىء - على استحياء - يعتذر عن التأخر ، ويشير إلىّ بأصبع العتاب .

والكتاب - كما سيلمس القارىء - جديد فى جوانب كثيرة ، بل هو مختلف جداً عن سابقه ، فإلى جانب الإضافة الكبيرة التى تبلغ ثلث الكتاب الجديد ، تمت ترجمة إضافتين مهمتين أولاهما : فى باب الأصوات عن

(الوقف) . والثانية : فى بـاب الصـرف عن (جمع التكسير ، أو الجموع الداخلية) ، وهما من زيادة المؤلف ، فى الطبعة الثانية ، إلى جانب تعديلات كثيرة فى الأصل والهوامش واقتضى ذلك إضافة تعديلات فى المذكرات التكميلية ، وفى الملاحق أو الفهارس ، وقد كلفنى ذلك مشقة لم أعانها فى تنفيذ الطبعة القديمة ، ولكن الله أعان ، والحمد والمنة له ، وأرجو أن يجد القراء فيه إضافة تستحق الاحترام ، وتزيد صورة المؤلف عندهم حسناً وتقديراً .

أما أنا فقد نلت حقى لقاء ما فعلت ـ مزيداً من توفيق الله ، وإقداره على بذل هذا الجهد ـ رغم تقدم السن وثقل الأعباء .

والحمد لله دائماً ، والحمد لله كثيراً ، والحمد لله حمداً طيباً مباركاً ،،

القاهرة : مارس ١٩٩٧ م

عبد الصبور شاهين

* * *

كلمة الطبعة الفرنسية الثانية

لقد شجعنى الاستقبال الرائع لهذا الكتاب أن أقدم منه طبعة جديدة ، وإنى لأعبر عن عرفانى لكل الطيبين الذين تابعونى ، وسوف يرون أن نقدهم وملاحظاتهم قد أخذت فى الاعتبار .

وهذه الطبعة الجديدة تقدم نفسها إلى القراء مراجعة ومزيدة ، فأما عن المراجعة ، فإن صفحات قليلة (فى حدود العشرين) هى التى لم يمسها كثير أو قليل من التعديل ، أو الإيضاح ، أو التكميل ، وهو أمر ليس غريباً بعد اثنتى عشرة سنة ، وأما عن الزيادة ، فقد أضفنا فصلين صغيرين عن الوقف La Pause ، وجموع التكسير Les pluriels internes ، وأضفنا ثلاث مذكرات تكميلية ، ثم أضفنا كذلك الباب الثالث عن التراكيب Synataxe ، وإذا كانت التراكيب لم تعالج فى الطبعة الأولى فليس ذلك لأنى أقلل من قيمتها ، ولا لأنى أعتبرها بعيدة عن هدفى ، ولكن لأنى لم أكن أرى ـ مع علمى بخطة الكتاب وغايته ـ كيف السبيل إلى إدخال التراكيب Synataxe فى إطاره ، وبعد طول تأمل توصلت إلى إدراك الطريقة المثلى لتصوره : وهى البحث فى كيفية تناول اللغة العربية ،كيما تعبر عن وظائفها المختلفة لوحداتها اللغوية فى الجملة البسيطة ، وكيف وسعت التعبير عن هذه الوظائف ، ومَدَدْتُهُ إلى الجملة المركبة ، وفى إيجاز : جانب علم التراكيب الوظيفى ، وهو عكس ما فعله النحاة العرب ، المتمسكون برؤية شكلية ، هذا التحليل الوظيفى يسمح بأن ندرك فى التراكيب نموذجاً ، أو على الأقل سمات خاصة ، ومن ثم ضممنا دراسته إلى الدراسة السابقة عن الأصوات والصرف .

وهكذا يرى القارىء أن علم التراكيب الذى قدمناه غير تعليمى، وليس معنى ذلك أنه لن يكون مفيداً للتعليم ، إنه يتجاوز بالضرورة التفاصيل ، ولذا جاء موجزاً وأساسياً ، دون فضول ، حتى يبقى أفقاً للكتاب ، ولا يفسد توازنه ، ولكن يبقى القارىء بحاجة إلى بعض المراجع حتى يكمله .

إن دراسة علم التراكيب لا يمكن أن تستغنى عن الأمثلة ، بقدر الإمكان ، ولقد استخدمت الأمثلة الأكثر بساطة ، سواء اخترتها بنفسى ، أو أخذتها من بين ما يكون أكثر دلالة ، فى استخدام المتقدمين : رايت فى كتابه Loc.cit. ، وج . ب . بلو.Loc.cit وبروكلمان فى Arabisch grammatic ـ الطبعة الثانية عشرة لعام ١٩٤٨ ، وأذكر بخاصة هـ . ركيندروف ، وبلاشير .Loc.cit وقد أشرت إلى هذه المراجع ، وإلى نصوص المؤلفين العرب ، كلما كان ذلك ضرورياً ومفيداً ، ومع ذلك إن المراجع بالنسبة إلى الجملة المركبة لم تكن كثيرة ، ابتداء من (العبارات المقارنة) Les propositions comparatives) ـ لقد صارت معتادة ، ذلك أن الطريقة الدقيقة تتطلب الاعتماد المباشر على المراجع ، كما تتطلب غالباً مزيداً من التطور ، فإلى جانب الشعراء القدامى ، والنص القرآنى ، سوف نرى ناثرين كباراً من المرحلة العظيمة ، كالجاحظ ، وابن قتيبة ، وكتاب الأغانى ، ومؤلفات من أساسيات التراث كطبقات ابن سعد ، وسيرة ابن هشام ، وهؤلاء المؤلفون إنما ذكروا باعتبارهم استمراراً لعربية الصحراء ، وإذن فهم شهود صدق على الاستعمال الفصيح : لقد كانوا يقدمون غالباً نصوصاً أكثر بساطة ، وأكثر سهولة على الفهم ، ومن ثم أكثر تكيفاً من نصوص الشعراء القدامى ، فإذا تعيّن التمييز ، وتحتمت التفرقة ، فإننا نشير إلى ذلك ، وهناك بعض أمثلة على استعمال اللغة الأكثر حداثة ، أو استعمال اللغة الحديثة ـ وجدنا أنها مفيدة لبيان الاتجاهات المتطورة للغة الفصحى .

إننى أرجو أن يكون لهذا البحث عن التراكيب أثر فى تهدئة الخواطر ، وأن يكون نافعاً ، ومفيداً ، غير أنى لابد أن أعبر عن عرفانى للسيد م . م . رومان لقاء ملاحظاته فى موضوع التراكيب ، ولهيئة المطبعة الكاثوليكية ، وإدارتها من أجل إخراجهم الجميل لهذا الكتاب ،،

بيروت : ١٢ مارس ١٩٦٨ م

المؤلف

* * *

مقدمة المعرب

للطبعة الأولى

لم تعرف الثقافة العربية مرحلة أنشط ولا أشمل من تلك التى تمر بهـا الآن ، فقد استوعبت حركتها جميع ألوان المعرفة ، وخطت فى سبيل دعم اتجاهاتها الفكرية خطوات كبيرة ، بما أتيح لها من وسائل الإعداد ، فى التأليف ، وفى الترجمة ، وفى أدوات النشر المتطورة .

وفى خضم هذه الحركة الهائلة تندمج الجماهير العربية متساوقة مع منطق السرعة الذى يقودها ، فهى تلتهم ما تقدمه لها المطابع من زاد ثقافى ، ولعل كثرة القضايا التى استحوذت على اهتمام الجماهير ، وكثرة المنشور حولها ، قد جعلتها تغمض كثيراً فيما تأخذ . فإذا السوق قد امتلأت حتى بشمت ، وإذا القارىء يتناول الكتاب لينفق فى تصفحه ساعة أو بعض ساعـة ، متخيلاً أنه قـرأه ، وله ـ فى الحق ـ عذره ؛ فإن إحساسه الداخلى يقنعه بسلامة موقفه ، وبأن عصر السرعة يقتضى من معاصريه أن يتحولوا عن الأناة والمعاناة إلى التصفح الخاطف ، والمرور البخيل .

والضحية فى أول الأمر وآخره هى « الحقيقة » ؛ الحقيقة التى كافح الإنسان كفاحه التاريخى بحثاً عنها . وكلما استحث خطاه نحو الهدف يراه قريباً ـ تباعد عنه ، كأنما ليستبقى فى عزمه روح الكفاح . ولم يكن عصر السرعة إلا وليد الرغبة الإنسانية فى مسابقة الزمن لـدرك الحقيقـة . وأخوف الأخطار فى هذا السباق أن يتشاغل الإنسان عن الغاية بالوسـيـلة ، لتصبـح الوسيلـة ـ من بعدُ ـ غاية فى ذاتها ، يتعامل معها ، لاهياً عن الغاية العظمى التى عاش من أجلها كفاحه البطولى التاريخى : الحقيقة .

غير أن عصرنا لم يعدم أن يجد من رجاله وعلمائه مجموعة من الباحثين ، ذوى الأناة ، وذوى الهدف البعيد ، والنظر السديد ، لم تخدعهم سرعة الحركة عن أهدافهم فى الوصول إلى الحقيقة ، فوقفوا أيامهم على تجلية وجهها ، وإماطة اللثام عنها ، إنهم ليسوا فى الحقيقة عدداً كبيراً ، ولكن أعمالهم وأبحاثهم الخلاّقة تمنحهم قوة العدد الكبير وخطره ، فإذا بهم القادة والرادة فى كل ميدان وزمان .

هذه كلمة لابد منها فى تقديم كتاب « العربية الفصحى » لمؤلفه الأب المحترم الأستاذ الدكتور هنرى فليش اليسوعى . وقضية « العربية الفصحى » جديرة أن تثار فى هذه الآونة التى خطت فيها الدراسات اللغوية أشواطاً كبيرة فى مختلف بلاد العالم ، من أجل دراسة المجموعات والفصائل اللغوية ، واللغات واللهجات ، ومحاولة تحليل وجوه الشبه والاختلاف بين بعضها وبعض ، بتطبيق قواعد المنهج المقارن فى علم اللغة التاريخى ، والمنهج الوصفى ، وسواهما من طرائق البحث الحديثة . وقد كانت اللغة « العربية الفصحى » ميداناً لأبحاث عديدة قام بها أساتذة عرب ، وأساتذة مستشرقون ، حاولوا فيها دراسة ظواهرها ، وتتبع تفاصيلها ، ونقد نظمها ، سواء أكان ذلك فى نطاق الفصحى فحسب ، أم فى تناول لهجاتها أيضاً .

غير أن هذا الاتجاه إلى دراسة « الفصحى » قد تعرض فى الآونة الأخيرة لحملة من النقد ، أثارتها المدرسة اللغوية الأمريكية ، ومن تلقوا عنها فى بلادنا ، وحجتهم فى حملتهم أن « العربية الفصحى » أمر غير واقعى ، بل هى حقيقة ميتافيزيقية ، تتصل بالدراسات التاريخية فحسب ، وأن النماذج « العينات » التى نزعم أنها فصحى لنجرى عليها دراساتنا الصوتية بخاصة ، لا يمكن قبولها « نماذج صحيحة » ، وإنما هى شيء آخر غير ما يعرف بـ « الفصحى » ، هى لغة أخرى مصنوعة يحاول أصحابها أن يخلعوا عليها صفة « الفصحى » .

والجدير بالبحث فى نظر هؤلاء الأساتذة هو اللهجات العامية المنتشرة فى أرجاء الوطن العربى ، باعتبارها « نماذج » حية ، يمكن تسجيل نصوصها بصورة طبيعية ، غير مصنوعة ولا متكلفة ، وتحليل هذه النصوص من الناحية الصوتية ـ بخاصة ، واللغوية بوجه عـام .

وقد قام عدد كبير من الدارسين بكتابة رسالات علمية فى هذه اللهجات الحديثة ، أصواتها ، ولغوياتها ، وقواعدها ، وعلاقاتها فيما بينها ، وآدابها وفنونها ، .. إلخ ...

ومع ذلك فليس من المعقول أن نقر وجهة النظر القائلة بصرف الجهود وإخلاصها للعاميات ، فإن معنى ذلك أننا نتجاهل « واقعاً » لغوياً ، لا نملك إلا أن نصفه هنا بالخلود ، هو واقع « العربية الفصحى » ، التى نصوغ بها شعرنا ونثرنا وحديثنا الجاد ، بل وحياتنا الراقية كلها ؛ العربية التى فرضت وجودها منذ وجدت واستوت على المثال الذى ندرسه وننطقه . فمنذ فجر تاريخ هذه « العربية » لم ينقطع حتى الآن استعمالها فى الألسن الناطقة بالضاد ، وساعد على استمرار هذا « الوجود » ذلك الرصيد الأدبى العظيم ، وفى قمته « القرآن » ؛ تلكم المعجزة البيانية الخالدة ، التى كفلت « للفصحى » طول العمر ، كما منحتها استقراراً فى الصورة اللفظية والتعبيرية على مدى القرون ، وليس من المقبول أن يقال بأن حديثنا « العربى » لغة متكلفة مصنوعة ، بل هو ـ فى الحق ـ عادة وسجية ، تناولتها يد التعليم والتربية بالتهذيب والتعديل ، وهى عملية لابد منها لكل ناطق بلغة حية ، فالإنجليزى مثلاً يتلقى عن أبويه لغة الحديث الجارية ، ولكنه يهذب نطقه ، ويقوم لسانه فى مراحل التعليم المختلفة ليستطيع دراسة آداب لغته ، ومواصلة البحث العلمى بها . ولا يمكن القول بأن الطريقة التى يُلَقَّنُها الطفل فى الريف الإنجليزى هى الصورة المثالية لنطق الإنجليزية التى يريدها المجتمع الإنجليزى للغته وللناطق بها ، مع أنها صورة حية منطوقة ،

كما لا يمكن القول بأن اللغة المدروسة فى معاهد التعليم هناك لغة مصنوعة متكلفة ، لمجرد وجود اختلاف ما بينها وبين سابقتها ، هذا مع اعترافنا بعدم تساوى الاعتبارات عندهم واعتباراتنا ، فإن البون بين فصحانا وعاميتنا ليس كنظيره هنالك ، بالإضافة إلى أن طريقتهم فى معالجة لغتهم مرنة مترخصة ، وطريقتنا ملتزمة متشددة ، والسبب لدينا واضح ، متجسد فى ذلك التراث الذى غنيت به العربية كما لم تغن لغة من لغات العالم ، شعراً ونثراً ، وبحثاً ، فى عصر مبكر جداً بالنسبة إلى غيرها من لغات العالم الحديث ، مع أن من المعلوم أن تراثها لم يصل إلينا كاملاً ، بل تعاورته يد التبديد والنسيان ، حتى قال شيخ اللغويين أبو عمرو بن العلاء فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير » ، وحتى إن جهوداً ضخمة تبذل منذ بعيد لحصر تـراث هـذه « العربية » المتفرق فى بلاد العالم ، وهو ما تبقى من الغارات البربرية على العالم الإسلامى فى القرون الوسطى ، تلك الغارات التى أحرقت مكتبـات هائلة ، وأطاحت بأغلى ما تمخضت عنه الحضارة الإسلامية ـ بله الإنسانية ـ من كنوز ، فألقت به فى قيعان الأنهار ، تتخذ منه معبراً لجيوشها المتبربرة ، بخيلها ورجلها .

ولعل من المناسب أن نجلو هنا مفهوم « الفصحى » الذى نقصده ، فلسنا نريد « الفصاحة » بمقياسها القديم الجاهلى ، أو ما بعد ذلك بقليل ، لسنا نقصد « فصحى » امرىء القيس أو حسان أو غيرهما من أرباب اللسان العربى ، فذلك أمر بعيد المنال ، وهو على أية حال من القضايا اللغوية التاريخية ، ومع ذلك إن للفصحى القديمة قوانين وتقاليد راسخة ، هذه القوانين والتقاليد الأساسية هى التى تحكم « فصحانا » الحديثة ، وإن أثرت اللغة الحديثة بكثير من الأساليب والمفردات الجديدة التى تصدرت ظواهرها ، وأضحت من أهم قضاياها ، وليس هذا بمضعف من العلاقة الوثيقة بينهما كلتيهما . معنى ذلك بعبارة أخرى أن « العربية الفصحى » ذات واقع لغوى حديث هو استمرار لواقع لغوى سبقه ، مع

وجود أوجه اختلاف بين الواقعين ، شأن الكائن الحى المتطور ، يفيد من تقدم الزمن به ومن صلاته بالآخرين ، وهو ما يفرض دائماً ضرورة رعاية هذا الواقع اللغوى فى الوطن العربى ، وتناوله بالدراسة فى ضوء ما سبقه ، مما ورد إلينا موصوفاً فى المراجع ، لتكتمل بذلك الحلقة « الفصحى » ، ونحس ـ نحن العرب ـ بأننا أمة ينبغى أن تعتز بماضيها ، إذا كانت تريد أن تعز فى حاضرها ، ونؤمن بأن « الفصحى » التى حملها العرب الأولون ليفتحوا بها أوطاناً ، ويغزوا بها لغات ورطانات فى الشرق وفى الغرب ، هى ـ دون العاميات ـ الرباط الوحيد الذى يمكن أن يجمع العرب فى كل مكان .

ليس هذا الذى نقرره تهويناً من شأن دراسات « العامية » ، فنحن نعرف أهميتها الخطيرة فى متابعة دراسة التطور اللغوى ، وتحديد قوانين هذا التطور ، ليمكن التنبؤ بمساره وتوقعه فى العالم العربى ، وذلك من أهم نتائجها ، فضلاً عن أهمية هذه البحوث لدارسى الأدب الشعبى ، فهى مفتاح الطريق إلى دراسة المجتمع من خلال لغته . غير أن ذلك ـ كما هو واضح ـ محصور فى مجال المتخصصين ، ذوى الاهتمام بهذا النوع من الدراسة .

إن بحثاً عن « العامية » ـ مهما بلغ ـ لن يجد طريقه إلى اهتمام الجماهير العربية المثقفة التى تتكلم « العامية » بل سيظل حبيساً بين دفتيه ، يرجع إليه بعض الباحثين بين آونة وأخرى ، فبحوث « العامية » على أهميتها من النواحى المنهجية و الصوتية ، والنحوية ، واللغوية ، والفلكلورية ، بحوث « ميتة » من وجهة نظر الثقافة العامة ، بالرغم من أنها تتناول نماذج « حية » بالمعنى الكامل . أليس من الطريف أن نلحظ أن بحوثها لابد من صياغتها بلغة عربية فصحى لأننا لا نفكر إلا بهذه الفصحى، وحسبنا ذلك دليلاً على طغيان إشعاع الفصحى على ما عداها من العاميات ، وعلى ضرورة متابعة بحثها واقعاً لا جدال فيه ، وتاريخاً ، ويلى هذا أن نحاول تقريب الشقة بين عاميتنا وفصحانا ، لا على

حساب الفصحى ، بل بأن نرفع العامية إلى مستواها ، وتلك غاية دانية المنال ؟ بعد التطور الرائع فى وسائل الإعلام ، شريطةَ أن تُنفَى من وسائل الإعلام تلك الألسن الكليلة المتعثرة ، ليحل مكانها مثقفون ومثقفات ، يقودون خطانا فى هذه السبيل ، لتجميع طاقات المجتمع العربى فى إطار الوحدة المنشودة .

وكتاب « العربية الفصحى » الذى نقدمه لقرائنا قصد به مؤلفه ـ بكل تواضع ـ أن يكون « مخططاً متواضعاً مع رجاء ألا يقابله قراؤه بقساوة ، لما حوى من نقائص ومعايب لا يمكن تجنبها ، شأن كل بداية معرضة للنقص » .

غير أنى قبل أن أتناول مشكلات هذا الكتاب أتعرض لسؤال بسيط قد يخامر أذهان بعض القراء ، لقد يقول قائل : وما لنا ولذى لسان غير عربى ننقل عنه دروساً فى « العربية الفصحى » ؟ ... وهو سؤال يتجاهل دور الثقافة الأوربية الخطير فى تشكيل حياتنا العقلية الحديثة . لقد مارست هذه الثقافة مناهج فى البحث ، علمية وتجريبية ، أدت بها فى ميدان اللغويات إلى الكشف عن كثير من القوانين التى تخضع لها الفصائل والجماعات اللغوية ، وكان أعظم أعمالها الكشف عن اللغة السنسكريتية ، دليل القرابة بين اللغات الهندية الأوربية ـ مهما قيل إنه كان مصادفة ، ثم أخذت الاكتشافات تظهر تترى ، فى ميادين لغوية أخرى ليس هنا مجال تعدادها . وفصحانا بحاجة إلى الكشف عن أصولها السامية القديمة ، ودراسة علاقاتها بأخواتها الساميات ، أو بغيرها من لغات الفصائل الأخرى ، كما أنها بحاجة إلى تطبيق المناهج الحديثة فى تصنيف ظواهرها ، ووصف تطوراتها ، وذلك باب من أوسع أبواب المعرفة ، لا فرق بين عربى وغير عربى ، إنه باب لا يلجه إلا العلماء ، بصرف النظر عن الجنس ، فالعلم لا وطن له . وقد حظيت « العربية » بمجموعات من الدراسات القيمة على أيدى عشاقها من الغربيين ، وحبذا لو استطاعت جهود مخلصة أن تتابع تعريب هذه الدراسات والتعليق عليها ، كما فعل المغفور له الدكتور عبد الحليم النجار ، حين

نقـل كـتـاب « العربية » للمستشرق « يوهان فك » ، فقدم به خدمة جليلة للبحث اللغوى ، والثقافة العربية [1] .

إن للأجنبى عن اللغة أمام ظواهرها دهشة ، هى التى تثير فى ذهنه مشكلاتها ، هذه الدهشة ترجمة لإحساسه بالفروق الدقيقة بينها وبين ما يجد فى لغته من ظواهر مقابلة ، وقد يستعصى ذلك على صاحب اللغة ، لشدة إلْفه للظواهر ، حتى ليكون أخفى الأمور أمام عقله وحسه ما هو معدود من باب البَديهات . ولا شك أن من الأمثلة المخلصة على الجهد المبذول فى سبيل الفصحى ، مقترناً بالإحساس المرهف ، والدهشة المثيرة أمام ظواهرها ـ هذا الكتاب للأستاذ فليش ، فهو يثير من القضايا ما هو جدير بالدراسة والنقد ، من أجل تنمية المحاولة ، وتعميق أبعادها .

لقد قضى الرجل من حياته ردحاً طويلاً يحاول ويتأمل ، إلى أن كتب الله له التوفيق فى محاولته ، فأخرج للناس كتاباً ـ أقرر هنا غير مغال ولا متحيز ـ أنه لم يسبق به مادة أو منهجاً ، فى المستويات التى تناولها ، وبخاصة فى الصرف والنحو :

فأما **المادة** فإنها بداهة مستقاة من المراجع الأصلية القديمة التى عالجت قضايا اللغة الفصحى ، ابتداءً من كتاب سيبويه [2] ، وأهم ما فى الأمر موقفه من هذه المادة ، فهو لم يحاول أن يبتدع ، أو أن يتلمس المآخذ ، شأن كثير من الباحثين فى تراث الأقدمين ، والناقدين لمناهجهم ، وإنما هو يحاول أن يبعث فى القديم روحاً جديدة ، تبقى عليه أصالته ، وتمنحه الحياة بمنطق علمى .

---

(١) حظى هذا الكتاب بترجمة أخرى أكمل على يد الدكتور رمضان عبد التواب .

(٢) لا ينافى هذا أن المؤلف يحيل كثيراً إلى مؤلفات زملائه المستشرقين الذين أخذوا عن المصادر العربية القديمة ، وسيجد القارىء هذه الإحالات بإزاء نصوص أو شواهد قريبة المنال ، لكن المؤلف يعتبر عمله هذا استمراراً لأعمال سابقيه ، فلزم التنويه بهم .

ولقد كان بوسعه مثلاً فى مواجهة مشكلة المصطلحات الصوتية أن ينحو منحى المترجمين ، فيضع لكل لفظة أو مفهوم يصادفه فى ثقافته الأجنبية كلمة عربية جديدة أو معربة ، وحسبه ذلك من المحاولة ، ولكنه لم يشأ أن يلقى بتهمة التقصير جزافاً بحق القدماء ، بل شرع ينقب فى ثقافتهم عن مقابل هذه المصطلحات ، واقتضاه ذلك أن يبذل جهداً جهيداً فى التعرف إلى مفاهيمهم ، مستهدفاً أن يثبت للمحدثين أن علماء العربية لم يغفلوا عن معالجة قضاياهم ، بل واجهوها مواجهة علمية ،ووضعوا لها ألقابها ، الصالحة للمفاهيم الحديثة أيضـاً .

ولقد كشف الحوار الذى دار بينى وبينه فى تراسلنا ـ منذ بدء اتصالى به عقب انتهائى من ترجمة النص ـ عن عمق المحاولة التى خاضها الرجل ، وكيف استطاع أن يفيد من كل ما عثر عليه من مادة مطمورة فى بطون الكتب ، حتى تلك التى لا يظن أنها تتعرض لمثل هذه المشكلات .

ولقد كشفت لى معاناة هذه الترجمة عن إيمان الرجل بقيمة الكلمة ، الكلمة التى ينبغى أن تستخدم دليلاً على مفهوم ، لا أن تطلق فى الهواء ضجيجاً أو كالضجيج ، إن للكلمة عنده فى مكانها ـ وظيفة تؤديها ، فإذا عجزت عن أدائها ، أو كانت لا وظيفة لها ، وجب حذفها وتغييرها ، لأنها حينئذ أداة تضليل ، ووسيلة ضياع ، ومن ثم وجدنا كتابته خالية من الفضول ، بعيدة عن الحشو الفارغ ، الذى يصدع الرؤوس ، ولا يفيد شيئاً . ومن خير ما يمثل لنا طريقة المؤلف فى التعبير هنا ، أنه يقدم أحياناً بعض اللوحات الإحصائية التى يمكن أن يعبر عن مضمونها فى صفحات كثيرة من الكلام ، فهو يؤثر أن يُنْطِقَ الأرقام ، بتلك الطريقة المباشرة ، وأن يُسْكِتَ الكلمات الثرثارة ، وحسبك أن تذكر أنه قدم كتابه بقوله : « هذا المؤلف الصغير ليس دراسة لفقه اللغة العربى ، ولا هو بالنحو الوصفى ، إنه بعيد كل البعد عن هذه المجالات ، فهو ـ كما يدل

اسمه ـ مجرد مخطط يتصل بالأحداث البارزة ، أو بالقيمة العامة ، والخطوط الأساسية ، فهو يغفل ضرورةً الجزئيات التى لا تفضى به إلى غايته ، إنه مخطط يرمى إلى تقديم بناء لغوى جديد » .

وأما **المنهج** فقد استخدم المؤلف فى كتابه فيما يتعلق بتقرير الظواهر النحوية بمفهومها العام ـ المنهج الوصفى القائم على الإحصاء ، وطبق بعض أفكار النحو الأوربى حين أخذ بنظام السوابق واللواحق فى تحديد شكل الكلمة ، فعلاً كانت أو اسماً ، كما طبق بعض أفكار المنهج التاريخى والمنهج المقارن ، لإظهار علاقات اللغة الفصحى وتطوراتها . وبذلك جاء عمله متكاملاً ، تساعدت فيه كل المستويات المنهجية تقريباً .

وقد أعانه على المضى فى منهجه إلى أقصى غاية ، ثقافة واسعة ، ودراسة عميقة للغات السامية ، شقيقات « العربية » الفصحى ، واطلاع واسع على كل الأعمال التى كتبها العلماء والباحثون فى هذا الشأن فى مختلف اللغات الأوربية . فهو يقدم لنا مثلاً فكرة « تناسل الصيغ » فى إطار من المقارنة العلمية لصيغ العربية بغيرها من الصيغ ، فى العبرية ، والجعزية ، والأثيوبية الحديثة ، والآرامية ، والسريانية ، وغيرها من أعضاء الفصيلة السامية .

بل إنه ليزيد فيقدم لنا صوراً لما آلت إليه الصيغة فى اللهجات العربية الحديثة ، ولست أريد أن أسوق هنا أمثلة لذلك ، فالكتاب ملىء بها ، وما أظن أن فكرة « تناسل الصيغ » قد حظيت من قبله بمثل ما منحها من البحث والبرهنة ، والمقارنة والاستنتاج .

صحيح أن فكرة « الثابت » الذى هو مصدر تشقيق الكلمة العربية ، وهو المكون من ثلاثة أصول غالباً ـ فكرة قديمة ، قال بها العلماء العرب ، ومن أشهرهم فى هذا الصدد أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله ، ولكن تطبيقه الدقيق لفكرة « التحول الداخلى » داخل هذه

الأصول ، وبراعة استخدامه للمنهج الوصفى ، قد خلعا على عمله رداء النظرية الجديدة .

واستطاع المؤلف فى دراسته هنا أن يستقصى استقصاءً عجيباً جميع صور الكلمة العربية ، حتى لتشعر أنه قد طاف بجميع المعاجم والمظان اللغوية ، ليستحضر هذه الشواهد النادرة على وجود صيغة أو أخرى ، فمحاولته موفقة ـ دون شك ـ فى هذا المجال ، ونظرة إلى دليل الصيغ تقنعك بهذا ، وإن كنا نجد مثيلاً لهذه المحاولة لدى بعض القدماء كالسيوطى فى المزهر ، مع اختلافهما فى المنهج الذى سيقت فى إطاره الصيغ .

ومن المسلم به فى محيط الدراسات اللغوية العربية أن مشكلتها مشكلة « مصطلحات » ، فما زال أساتذة علم اللغة الحديث من العرب [1] يحاولون أن يضعوا ترجمات ومقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربية ، نتجت من اختلاف التقسيمات ، أو تصحيح المدلولات ، ولعل أشد الناس إحساساً بهذه المشكلة هم الباحثون فى علم الأصوات ، نظراً إلى حاجتهم إلى الأخذ بمصطلحات محددة المضمون ، ولأن القدماء قد أطلقوا مصطلحات معينة بناءً على مذهب فى الفهم والتقسيم ، على حين أسفرت البحوث الحديثة عن فهم وتقسيمات مغايرة ، ولنأخذ على ذلك مثالاً مصطلحات « مخارج الأصوات » ، فإن تقسيم سيبويه لها قائم على أساس الفصل بين المخرج والصفة . على حين مضى اللغويون المحدثون إلى عدم الفصل بينهما ، باعتبار الصوت وحدة متكاملة ، وعلى الرغم من أن الخلاف بينهما اعتبارى فقد حاول المحدثون وضع مصطلحات مغايرة لما وضعه سيبويه .

---

(١) من هؤلاء فى مصر الأساتذة الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور على عبد الواحد وافى والدكتور حسن عون والدكتور محمود السعران رحمه الله والدكتور محمد القصاص والأستاذ عبد الحميد الدواخلى والدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر ، ومنهم فى الشام الدكتور محمد المبارك عميد كلية الشريعة بدمشق ، وفى العراق الدكتور إبراهيم السامرائى .

ومن الجائز أن يكون فى محاولة سيبويه بعض النقص ، نظراً إلى اعتماده فى تحديد المخارج أو الصفات على معلومات عصره ، التى لم تكن وليدة التجربة العلمية ، أو التشريح ، ولكن ذلك كان منحصراً فى المنطقة التى خفيت عنه فى الحنجرة ، فلم يتبين دورها فى تحديد الجهر والهمس ، وإن كان قد أحس بصداه فيما أطلق عليه (صوت الصدر) ، مقابل ما أطلق عليه أيضاً (صوت الفم) ، وهو وصف يقرب من الحقيقة العلمية ، حتى يصبح منها قاب قوسين أو أدنى ، كما أنه لم يتبين دور الحنجرة فى إصدار بعض الأصوات (الهمزة والهاء) ، فكانت الهمزة عنده (حلقية مجهورة) ، وكذلك الهاء والألف ، وجعل من أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، ومن أدناه مخرج الغين والخاء .

على الرغم من هذا النقص البسيط ، إن تقسيم سيبويه لمناطق الفم ، وتحديده لمجموعات الأصوات المشتركة كان شبه نهائى ، لم يستطع أحد ممن جاء بعده ـ حتى الآن ـ أن يثبت عكسه ، أو يضيف إليه تعديلاً ، وإن كان المحدثون قد حاولوا إحداث بعض التقسيمات داخل تصنيفه ، فجعلوا صفة « الشدة » ذات وجهين : انفجارى واحتباسى ، وسلخوا من الأصوات الشديدة فى اصطلاح سيبويه صوت اللام ، فكان فى اصطلاحهم جانبياً غير محتك ، وصوت الراء ، فكان عندهم « ترددياً » أو « لمسياً » ، والأولى تظهر تماماً فى الراء الساكنة ، والثانية يمكن أن تكون فى حالة الراء المتحركة أو الراء اللثغاء . وقد عد سيبويه صوتى اللام والراء ضمن الأصوات الشديدة . وحدث أيضاً تغير فى المجموعات الصوتية نتيجة التطور الذى طرأ على الأصوات ، فانضمت الطاء والقاف إلى المجموعة المهموسة ، وانتقلت الضاد إلى المقابل المجهور المفخم (المطبق) لصوت الدال ، بعد أن كانت وحدها بين المطبقات ـ لا نظير لها تبعاً لوصف سيبويه .

ولعلنا نتساءل بعد هذا عن موقف المؤلف من هذه المشكلة ، وأبادر فأقرر أن موقفه كان متميزاً تمام التميز ، فقد حاول أن يجمع بين القديم والحديث في التقسيم ، وفي المصطلحات ، وله في ذلك رسالة جليلة القدر (بالفرنسية) ، ضمنها مقترحاته في نظام المصطلحات ، حاولت أن ألتزمها في ترجمة الجدول الخاص بذلك (ص ٤٨) ، ويظهر فيه بجلاء مجموعة قديمة من المصطلحات : (شفوى ـ أسناني ـ ذولقي ـ نطعي ـ حنكي ـ حافيٌّ) ، والحافي هو الجانبي ، كما يبدو فيه بعض المصطلحات الجديدة عنده مثل (حَفَّافيّ) ، ويعنى به المنطقة الرخوة التي تلي أقصى الحنك الصلب .

يقول في كتابه « دراسات في علم الأصوات العربي » (ص ٢٤٢) : (هناك كلمة قديمة تطلق على الحنك الرخو هي (الحَفَّافُ) ، وقد فسرها اللسان نقلاً عن الأزهري بقوله : « والحفاف اللحم الذي في أسفل الحنك إلى اللهاة » ، وهو أوضح مما قاله الأصمعي في كتابه (كتاب خلق الإنسان) قال : « واللحم الذي في أسفله « النطع » تسميه العرب الحفاف ومنه اللهاة » . ثم يقول : فلفظة (حَفَّافيّة) منطبقة إذن على أصوات المنطقة المسماة « Ve- laires ») .

كما نجد لديه أيضاً مصطلح « حُنْجُوريّ » .

والواقع أنه أطلق لفظة (حلقية) على مجموعة الأصوات عميقة المخرج ، وهي الحاء والعين والهاء والهمزة ، ولكنه قسم منطقة الحلق قسمين : أطلق على الأعلى منهما « الحنْجُور » ، وعلى الأسفل « المزمار » ، يقول في كتابه « علم الأصوات العربي » ص ٢٤٣ « هناك كلمة قديمة عينت منطقة الـ « Pharynx » ، هي « حنجور » ، وقد استخدم قاموس الدكتور شرف [١]

(١) هو الدكتور محمد شرف في قاموسه « معجم إنجليزى عربى فى العلوم الطبية والطبيعية » المطبعة الأميرية بالقاهرة : ١٩٢٦ .

ص ٦٣٠ لفظة بلْعُم أو بُلْعُوم ، بيد أن هاتين الكلمتين لم تستعملا إلا للمرىء (انظر اللسان) ، وكلمة حُنْجُور أكثر تناسباً ، يقول اللسان (جـ ٥ ص ٢٩٥ سطر ١٥) : « وقيل : هو جوف الحلقوم ، وهو الحنجور » . فكلمة (حنجورية) ستكون إذن علماً على الأصوات الحلقية ، أما « الحنجرة » فقد كانت مجهولة لدى العرب ، ولابد لها من كلمة جديدة ، و قد استخدم الدكتور شرف في قاموسه (ص ٣٤٢) كلمة « مزمار » ، وسيكون إذن لدينا من كلمة مزمار : « مزمارية » .. إلخ ...

فكلمة « حُنْجُور » هي إذن من اختياره هو ، أما كلمة « مزمار » فمن مقترحات معجم الدكتور شرف .

ويلاحظ أننا فى ترجمة عبارات « من بين الأسنان ، من وسط الحنك ، من أقصى الحنك » لم نلتزم تعبير المؤلف فى كتابه « دراسات فى علم الأصوات العربى » ، بل صغنا منها تركيباً مزجياً مراعاة للتعبير الاصطلاحى ، فقلنا : « بَيْنَ أسْنَانِيٌّ » ـ « وَسْطَ حَنَكِيّ » ـ « أقْصَى حَنَكِيٌّ » ، وما نعرف أحداً ذهب إلى هذه الصياغة من قبل .

وقد كان من بين المشكلات التى واجهتها ترجمة الكتاب مشكلة التعبير عن مفهوم كلمتى « consonne » و « voyelle » ، وقد كان من الممكن أن يقنع فليش باستعمال كلمة « ساكن » وجمعها « سواكن » فى مقابل الأولى ، وكلمة « حركة » وجمعها « حركات » فى مقابل الثانية . غير أنه رفض من أول الأمر هذه الترجمة التى كنت أخذت بها ، إلى أن وافتنى منه رسالة تشرح وجهة نظره فى المشكلة برمتها .

وقد أوضح فليش فى هذه الرسالة ، وفى غيرها من الرسائل أن المشكلة ليست فى مجرد وضع اصطلاح ، بل هى أعمق من هذا ؛ هى فى رأيه مشكلة المنهج الذى يكون على أساسه الاصطلاح ، هل يكون منهجاً شكلياً ، يلتمس

أدنى علاقة سطحية لاختيار المصطلح ؟ ... أو يكون منهجاً وظيفياً يربط المصطلح بالوظيفة المنوطة به ، وبقدر ما يحمل من مضمون ؟ ... والواقع أن المصطلحات العلميه ليست أعلاماً على أشخاص حتى يقال : إن الأسماء لا تعلل ، إنها أخطر من ذلك بكثير ، هى دلائل على علاقات معينة بين اللفظ ومدلوله ، وهى فى الوقت ذاته أمارات على سلامة المنهج والفكر الذى تَرَسَّمَه . وقد كان هذا دأب المؤلف فى حواره معى طوال عامين كاملين ، ففى صدد مشكلتنا هذه تتلخص وجهة نظره فى أن القدماء من العرب ـ وهم يضعون علم أصواتهم ـ قالوا : حرف وحركة ، ولم يكونوا يقصدون مطلقاً التعبير عن مفهوم « con-sonne » فى مقابل « voyelle » ، فقد قالوا : حرف صحيح ، وحرف معتل ينقسم إلى : حرف مد ، وحرف كالصحيح ، وحروف المد تعين عنصراً حركياً ، كما أن الحركات أبعاض ، أو أوائل لحروف المد . فالحركات عند القدماء من العرب عناصر ناقصة ، لا تقوم بذاتها ، بل لابد أن تعتمد على حرف صحيح أو كالصحيح (الواو ـ والياء) ، وذلك من المفاهيم المؤثرة فى الدراسة المقطعية ، إذ من الضرورى اشتراك الحركة والحرف ، والحرف لا يمكن أن يوجد دون حركة بعده ، أو دون أن يفيد من حركة الحرف قبله .

ومن ثم فالحركة فى نظر هؤلاء ليس لها وجود مستقل ، كما أن هناك تداخلاً بين المفهومين ، إذ إن « الحركة » جزء من « حرف » المد ، وهذا التداخل يقضى على صلاحية المصطلحين معاً ، حيث لا يمكن أن يقوم نظام متمايز على أساس متداخل مختلط . على حين تعنى الكلمتان الأجنبيتان مفهومين مستقلين لا تداخل بينهما ولا اختلاط .

وقد استطاع المؤلف فى أثناء محاولته العثور على لفظين آخرين للخروج من المأزق ، فقد وجد أن الفهرست لابن النديم [1] قال فى حديثه عن القلم الرومى

(١) طبعة المكتبة التجارية – مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

ص ٣٠ : « ولهم ـ الإغريق ـ حروف تسمى المُصوّتات وهى الألفا والأبى والإيطا واليوطا والهو والواو الصغرى والواو الكبرى وهى الأطوميغا » . ولعل سائلاً يقول : وما دلالة هذه الحروف المصوتات ؟ ، والجواب من كلام ابن النديم نفسه ، حيث جعلها مواضع للإعراب فى اللغة اليونانية فقال : « والإعراب لا يقع على شىء من الحروف اليونانية إلا على السبعة الأحرف المصوتات » ، وبهذا يتضح أن ابن النديم يقصد هنا ترجمة ما يقابل « voyelle » فى اليونانية ، فما الذى يمنع إذن أن يستخدم تعبير ابن النديم فى حل المشكلة على أساس جديد ؟ ...

وقد استهدى فليش فى محاولته هذه أيضاً بما ذهب إليه التهانوى فى معجمه : « الكشاف عن اصطلاحات الفنون » الذى وضع مصطلح « مُصوّت » فى مقابل « صامت » ، وقد قرر أيضاً فى رسالته المذكورة أن التهانوى لم يخترع هذين اللفظين . فقد استقاهما من مؤلفين آخرين سبقوه ، ولعله كان يقصد ابن النديم .

على أن ابن النديم ـ فيما تبيّنّا ـ لم يكن أول من استخدم كلمة (مصوت) بهذا المعنى ، فقد سبق إلى استخدامها فيما هو أصرح دلالة على المعنى المراد أبو الفتح عثمان بن جنى ، حيث وصف الحركات الطويلة بأنها حروف (مصوِّتة) ، واستخدم هذا الوصف فى مقابل الحروف (الساكنة) ، قال : « و الحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة اللينة المصوتة ، وهى الألف والياء والواو » ، غير أنه بعد أن خطا هذه الخطوة أفقدهن قيمتهن الصوتية ، فاعتبرهن (سواكن) توابع لما هو من جنسهن ، وهو الحركات ، وذلك بسبب اختلاط المفاهيم الاصطلاحية الذى أشرنا إليه [١] .

وأقدم استعمال محدد للمصطلحين (صامت ومصوت) هو ـ فيما

(١) انظر الخصائص ٣ / ١٢٤ و ١٢٥ - طبعة دار الكتب .

ـرى ـ مـ جـاء فى رسالة الرئيس ابن سينا التى عنوانهـا « أسبـاب حـدوث الحـروف » ، إذ وضع لكل منهما مفهوماً بالغ التحديـد ، لا يختلط بمفهـوم غيـره . مع تسليمنا بأسبقية ابن جنى عليه فى الحدود التى وضحناها

وعلى الرغم من أنه يرى أن كلمة (صـامت) بمعنى « consonne » لا تخلو من مأخذ ـ إذ قد يلتبس هذا « الصمت » بمعنى « الهـمس » الآتى بعد ، والمستعمل فى مقابل « الجهر » ـ فإنه يرتضيها على أية حال ، لأن المراد بكلمة « مصوت » محـدد تحديداً قاطعـاً على أساس الوظيفـة ، فوضع كلمـة « صامت » بإزائها يحدد مفهومها أيضاً تحديداً وظيفياً . ولقد يساعد على تحديد مفهوم « consonne » أمران :

أولهما : أنها قد جاءت إلينا من الإغريقية التى تعنى بها مفهوماً مركباً من « con + sonne » ، أى : الذى يصوت مع غيره .

وثانيهـما : أن تعريف « المصوت » هو أنه : « جرس موسيقى منتظم قابل للقيـاس » ، وتعريف « الصامت » : « ضوضـاء غير منتظمـة ، وغيـر قـابلة للقيـــاس » ، وإذا كـان تعريـف الصـامت صادقـاً تمـام الصـدق بالـنسبـة إلـى « المهموس » ، فإنه صادق بعض الصدق بالنسبة إلى « المجهور » ، وهو أن الجهر بالرغم من موسيقيته ليس سوى « ضوضاء » ، وهكذا يتم الفصل بين المفهومين ، ويمكن على أساسه مقابلة « مصوت » بـ « صامت » ، على أساس أن المصـوت هو الـذى « ينـتـج الجـرس المـنطوق للمـصـوتات » ، عـلى حـين لا يســتطيـع « الصامت » أن « ينتج هذا الجرس المنطوق » .

ولعل فليش قد استهدى فى موقفه هذا أيضاً بموقف المستشرق الألمانى برجيشتراسر الذى ذهب فى كتابه عن تطور النحو العربى (وهو مجمـوعة محاضرات ألقيت على طلبة الجامعة المصرية) إلى استخدام عبارتى : صائت وصامت ، فاتفقا فى كلمة « صامت » وفضل هو استعمال « مصـوت » علـى

صائت » ، نظراً إلى دلالتها المباشرة على الوظيفة ، « فالصــائت » من حيـث « صيغته » يعنى المتصف بالتصويت فى ذاته ، أما « المصوت » فيعنى من هذه الوجهة ذلك أولاً ، كما يعنى أنه يمنح التصويت لغيره ، فقد راعى إذن اللون الديناميكى فى دلالة اللفظ على معناه .

وقد فهم ـ من هذا العرض السريع لوجهة نظره فى المشكلة ـ لماذا رفض استعمال مصطلح : « ساكن » بدل « صامت » ، لأنه يعنى بلا شك فى الثقافة العربية القديمة نقيض « المتحرك » ، فاستعماله فى معنى « consonne » يزيد المشكلة إبهاماً .

ومشكلة أخرى واجهتنا عندما تعرضنا لترجمة كلمة : « collectif » ، وقد كان من الجائز أن يرتضى ذوق الترجمة تعبـير (المشتـرك الجمعـى) ، أو (اسم الجمع) ، أو شيئاً من هذا القبيل ، ولم يكن رفضه للتعبير الأول إلا لأنه بعيد عن مصطلح القدماء ، ورفض الثانى لأن المقصود بكلمة « collectif » أعم من اسم الجمع ، إذ هو يشمل اسم الجمع ، واسم الجنس الجمعى ، وقد ارتضى أخيراً اقتراحى أن تترجم بعبارة « اسم الجماعة » ، وكان رضاه من أجل موافقة العبارة لمصطلحات القدماء من ناحية ، ولأنها تفيد معنى التعدد ، دون أن تلتبس بالجمع ـ من ناحية أخرى .

ومن أوضح ما يمثل لنا الاتجاه الوظيفى الذى سلكه المؤلف فى وضع مصطلحاته موقفه من مصطلحى « الماضى والمضارع » ، فقد عبر عنهما فى كتابه بالكلمتين : « accompli » و « inaccompli » [1] ، وأعرض عن استخدام الكلمتين الشائعتين « passé » و « présent » .

ومن المعلوم أن كلمة « accompli » تفيد انتهاء الحدث ، كما أن

---

(١) قد يكون لهذه المصطلحات وجود عند بعض المستشرقين ، ولكن القارىء العربى يفتح عينيه للمرة الأولى عليها فى عمل فليش .

« inaccompli » تشير إلى عدم انتهائه ، وقد كان التصرف الأوْلى للترجمة أن ترد المفهوم إلى اصطلاحه الشائع فى العربية ، فتعطى الأول كلمة « الماضى » ، الثانى كلمة « المضارع » ، ولكن المنهج الذى ترسمه المؤلف منع من ذلك ، بل رفض رفضاً قاطعاً استعمال هذين اللقبين للفعل العربى ، فالأول منهما ذو ارتباط بالزمن ، أى إن له أساساً وظيفياً ، أما الثانى فإنما سمى « مضارعاً » لمضارعته اسم الفاعل فى الحركات والسكنات ، ويعنى ذلك أنه مصطلح شكلى غير مرتبط بمدلوله الوظيفى ، ومن حيث قد طرأ الخلل على النظام بهذا الاختلاط بين الأسس ، فلا مناص من وضع مصطلحين جديدين على أساس وظيفى واحد ، بحيث يعبران عن المدلول الزمنى لكليهما ، واستقر الرأى بينى وبينه على أنهما : « التام وغير التام » .

ومن مشكلات الفعل العربى موقف المؤلف من حالات الفعل الإعرابية ، فهو يرى أن دلالة الفعل تشير إلى وظيفته فى الجملة ، وأن هذه الوظيفة هى التى تحدد شكله الإعرابى ، ومعنى ذلك رفض التعليل القديم القائل بأن الفعل يكون مرفوعاً إذا لم يسبقه ناصب أو جازم ، فهو تعليل شكلى مسرف فى الشكلية ، وقد اقتضى التزامه للتحديد الوظيفى رفض « نظرية العامل » التى دان بها النحو القديم ، وهى نظرية تقوم على التقدير الوهمى والافتراض المنطقى ، أى على أمر تجريدى ، لتفسير شكل الكلمة العربية فى نهايتها ، ولتفسير بناء التركيب العربى أيضاً .

والأوْلَى أن نبحث فى وضع الفعل فى حالاته الثلاث عن ضابط وظيفى ناشىءعن مدلوله ، وقد ذهب إلى أن الفعل يكون مرفوعاً فى حالة الـ « indi-catif » ، ويكون منصوباً فى حالة « subjonctif » ، ويكون مجزوماً فى حالة الـ « jussif » ، وقد استقر حوارنا على تخصيص الرفع بحالة « الإخبارية » ، وتخصيص النصب بحالة « الإنشائية » . ومعنى

« الإخبارية » هنا أن الفعل يعطى خبراً مستقلاً غير معلق بشىء ، ويقصد بـ « الإنشائية » أن الفعل المنصوب يكون معلقاً دائماً ، فهو فى طريقه إلى أن يكون ـ إثباتاً أو نفياً ـ أى إنه فى الغالب لم يشرع فيه بعد ، وذلك شأن أغلب النواصب . ولقد ترد على ذلك استثناءات ، ولكنها لا تضر القاعدة الغالبة ، ففى حالة : « أريد أن يقوم محمد » علاقة الفعل بما قبله علاقة مفعولية لم تحدث ، بل يراد إنشاؤها . وفى حالة : « لن يقوم محمد » يمكن أن نجد نفس العلاقة ، إذا ما علمنا أن « لن » مركبة من « لا + أن »[1] ، فنفى « لا » منصب على ما بعده : « لا أن يقوم محمد » ، فكأن « لا » هذه ضُمنت القيمة الفعلية التى للفعل الجامد « ليس » ، وهو أمر يفسره تاريخ اللغة ، ومع ذلك إن « لن » تعد الآن حالة خاصة . وفى حالة « جئت لأتعلم » تتضح علاقة الفعل المنصوب بما بعده كغاية له ، يراد إنشاؤها . أما فى حالة مثل « لأجاهدن أو تستقر العدالة » فإن علاقة التبعية هنا تتجلى فى التحديد الزمنى ، ثم إن هذه الحالة للأداة « أو » خاصة بالتركيب العربى ، يترك تفسيرها لتاريخ اللغة .

وبذلك تكون حالات استعمال المنصوب منحصرة غالباً فى الحال التى تكون علاقة الفعل فيها بما قبله علاقة إنشائية .أما الفعل « المجزوم » فإن هذا المصطلح يمكن الإبقاء عليه ـ وقد أبقى عليه فعلاً كثير من النحاة الأوربيين ـ فى حالتين : حالة الفعل بعد « لم ولما » ، وحالة استعماله فى جمل الشرط . أما فى حالة وقوعه بعد لام الأمر ، ولا الناهية فيصلح أن يطلق عليه (الأمرى) ، وهو مقابل كلمة « jussif » ، وبدهى أن النهى أمر بالسلب ، فى مقابل الأمر بالإيجاب .

فألقاب الفعل على هذا تبعاً للمنهج الوظيفى هى :

(١) هو مذهب الخليل والكسائي – انظر الخصائص ٣ / ١٥١ وشرح الأشموني للألفية ٣ / ١٨٢ طبعة الميمنية .

المضارع المرفوع	(غير التام الإخبارى)
المضارع المنصوب	(غير التام الإنشائى)
المضارع المجزوم (١)	(غير التام المجزوم)
المضارع المجزوم (٢)	(غير التام الأمرى)

ومن المعروف المشهور عند دارسى اللغات الأجنبية ترجمة كلمة « adverbe » بكلمة « الظرف » ، باعتبار أن ذلك هو معناه البدهى الشائع ، لكن ذلك لم يقنع صاحبنا ، من حيث كان الـ « adverbe » فى رأيه أعم من الظرف ، بحيث يشمل أربع طوائف من الكلمات هى :

(١) الطائفة الدالة على الزمان .

(٢) الدالة على المكان .

(٣) الدالة على الكمية مثل : كثيراً ... قليلاً ... جداً .

(٤) الدالة على السلوك مثل : رويداً ... حقاً .

فهذه الطوائف الأربعة تشترك فى وظيفة واحدة داخل الجملة ، بالرغم من اختلاف أشكالها ، هى أنها تضيف إلى معنى الجملة قيداً من الزمان أو المكان أو الكمية أو السلوك ، وبذلك استحقت شكلاً إعرابياً واحداً ، وإن اختلف تأويله أحياناً ، فلماذا لا تجمع كلها تحت عنوان واحد ، هو الـ « adverbe » ؟ ... ولذلك وجب أن نبحث عن كلمة أخرى غير « الظرف » ، وانتهى بنا البحث إلى أن نختار له كلمة قديمة هى « الفضلة » ، ولتمييز هذه « الفضلة » عن إطلاقها القديم أضفنا إليها وصف « المكملة » أو « التكميلية » ، وكان ذلك مراعاة للمعنى الأصلى الذى يشير إليه تحليل الكلمة ، والذى روعى عند صياغتها فى الفرنسية ، أو فى اللاتينية قبلها .

ومن أهم ما ينبغى أن نلفت إليه نظر القارىء موقف الكتاب من تسميات بعض الصيغ الفعلية ، فقد اقتضى موقف المؤلف التربوى أن يفصّل أحياناً فى تمييز الصيغ بعضها من بعض ، مراعاة لجانب دارس العربية الأجنبى عنها ، فوجدناه يحترم هنا الشكل ليؤسس عليه اصطلاحاً جديداً ، وذلك كأن يلقب صيغة « فَعَلَ » (صيغة المعلوم) ، على حين يلقب « فَعِلَ » : (المعلومة المتوسطة) . ويقصد بذلك أنها توسطت فى الشكل بين سابقتها وصيغة المجهول « فُعِلَ » . ومثل هذا التفصيل لا يؤثر على تتبع القارىء للكتاب ، كما لا يؤثر عليه أن يجد من حين إلى آخر بعض هذه اللمسات الجديدة ، فالسياق كفيل بتفسير المراد دائماً .

ونحن لم نعرض فى هذا التقديم إلا جانباً من محتويات الكتاب ، لم يتناول كل ما أثار من قضايا ، ولا كل ما اقترح من مصطلحات ، ولولا الإطالة لطاب الحديث حول موضوعات أخرى جديرة بالتفسير والتعليق ، فهذه المقدمة رغم طولها مقصرة ، ولعل القارىء يغفر لنا هذا التقصير ، وربما أضفنا إليها جديداً فى طبعة أخرى .

وأخيراً ، فقد جرى المؤلف على أن يحيل القارىء إلى « مذكرات » وضعها فى نهاية الكتاب ، وهذه الإحالة فى ذاتها تبين لنا عن طبيعة مسلكه فى داخل الكتاب ، فهو لم يشأ أن يثقل صلب الموضوع بنصوص أو تحقيقات أو تعليقات جانبية ، يمكن أن تصرف القارىء عن الاهتمام بالأصل ، ولقد حرصت على أن تبقى هذه المذكرات فى مكانها ، بالرغم من أن ذلك غير مألوف فى شكل الكتاب العربى ، إظهاراً للطابع الذى أراده المؤلف لكتابه .

وبقيت لى مع هذا كله كلمة أخرى أقررها هنا ، هى أن الكتاب يكشف بجلاء عن المسئولية الكبيرة والعبء الثقيل الذى يواجه الباحثين فى فقه اللغة

العربيـة ، وأن الأدوات التى ينبـغى أن تتـوافـر للدارسين باهظة التكاليف زمـناً وجهـداً ، وتقتضى من مريدها استعداداً خاصاً ، لا يشترط فى غيره من الدارسين . ثم إن الكتاب يكشف أيضاً عن إمكانات البحث المتاحة أمامنا ، والملحة دائماً علينا فى خوض غمارها ، بالإضافة إلى أنه رد بليغ على اتجاهين يتواجهان فى الدراسات اللغوية المعاصرة : الاتجاه المهمل للفصحى ، والمعادى لها أحياناً ، والاتجاه التقليدى الذى يرى أن لا جديد يمكن أن يضاف إلى تراث القدماء ، فى المادة ، وفى المنهج على سواء .

وبعد : فإن الدرس الذى تلقيته فى إخراج هذا الكتاب إلى حقل العربية درس نادر ، لا يتاح مثله أبداً لغيرى من المشتغلين بالترجمة فى غير ذلك من الميادين ، فمادة الكتاب صعبة المأخذ ، شاقة التناول ، مركزة التعبير . تقتضى من المرء دائماً أن يعرضها على مصادرها العلمية ليحققها ، ويتأكد من سلامة موقفه إزاءها ، ومنهج الكتاب منهج صارم لا يفرط فى حروفه ، ولا ينحرف عن جادته ، مهما تكن دواعى الانحراف ، ولأمر ما كان هذا التواضع الذى التزمه المؤلف فى تقديم كتابه الجليل : « مع رجاء ألا يقابله قراؤه بقسـاوة » ، فى مقابل تلك الصورة الرائعة التى ختم بها الكتاب حين قال :

« وأخيراً » ، فلكى نختم هذا البحث يمكننا أن نكرر ما سبق أن قلناه فى مقدمتنا لدراسة اللغات السامية : (إن لغة الشعر العربى ، بما توفر لها من ثروة فى صيغها النحوية ، ورقة فى تعبيرها عن العلاقات التركيبية ، إنما تعد أعلى قمةبلغها نمو اللغات السامية) .

لقد صحبت المؤلف خلال كل صفحة فى هذا الكتاب ، صحبته دارساً له ، ثم معرباً ، ثم مناقشاً متثبتاً ، وكم ردنى إلى الصواب فى فهم مسائله ، وكم تواضع حين وجد الحق بجانبى ، وهو فى كلتا الحالين العالم الفذ الذى يحسن

التوجيه ، ويحترم وجود الآخرين . لقد آمنت بعد هذه التجربة أن الثقافة الحقة سلوك يعكس المعرفة ، ومعرفة تصوغ السلوك ، وهذا النوع من الثقافة هو الذى يحقق أرقى صور التعاون الخلاق ، فى سبيل العلم ، وفى سبيل الحقيقة الخالدة ... والله ولى التوفيق .

القاهرة فى ١٠ يوليو ١٩٦٦

دكتور عبد الصبور شاهين

* * *

المؤلف

هو الدكتور هنرى روبرت فليش ، ولد فى قرية جونفيل بفرنسا ، فى الأول من يناير ١٩٠٤ ، وتلقى دراسته الثانوية بمدرسة الملائكة (تونون ليبان) ، ثم حصل على دبلوم المدرسة القومية للغات الشرقية الحيّة بباريس (لغة عربية) ، ثم على دبلوم معهد الدراسات الصوتية . وهو من أقدم من التحقوا بمعهد الدراسات العليا بباريس ، قسم العلوم التاريخية واللغوية ، ثم حصل على الليسانس فى الآداب من السوربون ، ونال بعد ذلك منها درجة الدكتوراه فى الآداب .

عيّن أستاذاً بجامعة القديس يوسف (ببيروت) منذ عام ١٩٤٥ ، حيث ما زال يلقى محاضراته بمعهد الآداب الشرقية ، فى فقه اللغة العربية ، وفى اللغويات السامية .

والدكتور فليش عضو بالجمعية اللغوية للدراسات الحامية السامية ، وعضو بالجمعية اللغوية بباريس ، وبالجمعية الدولية للدراسات الشرقية ، كما اختير عضواً بمجلس إعادة تنظيم المركز القومى للبحث العلمى بباريس ، ومراسلاً للمعهد (Institut, Paris) .

وقد حصل المؤلف على درجات وألقاب علمية أخرى (غير جامعية) ، منها : درجة الليسانس فى الفلسفة المدرسية ، ودرجة الليسانس فى اللاهوت ، وقد قام بتدريس اللغة العبرية لمدة أربعة أعوام فى كليتى الفلسفة واللاهوت .

وهو فضلاً عن ذلك عضو بالجمعية الفرنسية لدراسات ما قبل التاريخ ، ومفوضها بلبنان ، وعضو بالجمعية الجيولوجية بفرنسا .. إلخ ...

وللمؤلف فضلاً عن كتابه هذا (الصادر عام ١٩٥٦) مجموعة من المؤلفات اللغوية ، كلها بالفرنسية ومنها :

1- Les Verbes à allongement vocalique interne en sémitique (1944) .

2- L'R roulé dans une prononciation franco-comtoise (1946) .

3- Introduction à l'Étude des langues sémitiques (1947) .

4- Traité de philologie arabe, 1er vol.(1960).

(بحث فى فقه اللغة العربى ـ الجزء الأول ، والجزء الثانى منه قيد التحضير) .

٥ـ كما نشر الجزء الرابع من القاموس العربى الفرنسى (لبارتلمى) عام ١٩٥٠ ، والجزء الخامس عام ١٩٥٤ ، وكتب له مقدمة فى جزء مستقل .

٦ـ أكمل نشر كتاب : (تفسير ما بعد الطبيعة) أو الشارح الأكبر ابن رشد ، وكان قد بدأه الأستاذ م . بويج . وللمؤلف غير ذلك خمسة وثلاثون بحثاً ومقالاً نشرت فى مجلات المستشرقين ، وثمانية وأربعون تقريراً عن الأعمال الاستشراقية ، ومن أهم بحوثه فيما يتصل باللغة العربية :

١ـ دراسات فى علم الأصوات العربى .

٢ـ دراسات فى الفعل العربى .

٣ـ اللـهـجـات الشـرقـيـة (فـى دائـرة المعـارف الإسـلاميـة ـ مـادة [العربية]) .

٤ـ تاريخ النحو العربى .

التفكير الصوتى عند العرب فـى ضوء : « سر صناعة الإعراب ـ لابن جنى » . وقد ترجمناه إلى العربية .

٦ـ الجانب المعجمى فى الجملة العربية الفصحى .

٧ ـ ملاحظات عن الدراسة الصوتية التنظيمية فى العربية الفصــحى .

٨ ـ العربية الفصحى والعربية اللهجية .

وبقية أبحاثه اللغوية إما متصلة باللغات السامية ، وإما باللهجات الحديثة فى العالم العربى ، بل لقد كتب الدكتور فليش فى دائرة المعارف الإسلامية أكثر من خمس وعشرين مادة حول اللغة والثقافة ، وله غير ذلك بحوثه الكثيرة فى الدراسات الدينية ، والتاريخية ، وأغرب ما يضاف إلى هذا الإنتاج الغزير بحثه عن (النحالة) فى لبنان ، وقد نشره عام ١٩٦٣ .

هذه ترجمة موجزة لكفاح الرجل الذى نقدمه اليوم ـ ولأول مـرة ـ إلى قراء العربية ، فى بحث لغوى هو ثمرة دراسة طويلة متعمقة فى فقه اللغـة العربيـة .

(المعرب)

* * *

مقدمة الكتاب

هذا المؤلف الصغير ليس دراسة لفقه اللغة العربية ، ولا هو بالنحو الوصفي . إنه بعيد كل البعد عن هذه المجالات ، فهو ـ كما يدل اسمه ـ مخطَّط ؛ يتصل بالموضوعات البارزة ، أو بالقيمة العامة ، والخطوط الأساسية . فهو يغفل ضرورة الجزئيات التي لا تفضي به إلى غايته . إنه مخطط يرمي إلى تقديم نظام لغوي جديد [1] .

ويمكن حصر النظم النحوية التي أسفر عنها البحث اللغوي في نماذج ستة رئيسة هي :

١ـ نظام الكلمات .

٢ـ التركيب .

٣ـ الإلصاق (وهو استخدام السوابق واللواحق والزوائد المتوسطة) .

٤ـ التعديل الداخلي للأصل (الاشتقاقي) ، أو للعنصر النحوي ، سواء أكان ذلك في المصوتات أم في الصوامت .

٥ـ التضعيف .

٦ـ اختلافات النبر ، سواء أكان ديناميكياً متفاعلاً (وهو الناتج عن درجة النشاط في النطق) ، أم موسيقياً (وهو العلو الموسيقي) .

---

(١) فسَّر الأستاذ E. Benveniste الكلمة « structure » بقوله : (يقصد بكلمة structure في أوربا بخاصة تنظيم الكل في أجزاء ، وتعاون وثيق بين أجزاء الكل التي تتوافق فيما بينها وتتكيف) Journal de psychologie normale et pathologique ، nº du cinquantenaire (nºs 1 - 2) janvier 1954,p. 136) .
هذا هو ما يقصد إليه من استخدام الكلمة ، لا كما يدل عليه تفسير بلومفيلد ، الذي أخذ به أغلب اللغويين الأمريكيين .

وهذا هو النظام الذى ذهب إليه الأستاذ اللغوى إدوارد سابير E. Sapir فى كتابه (اللغة Le Langage) [1] ، وقد حدد النموذج الخامس (التضعيف) بقوله : « هو تكرار الأصل الاشتقاقى كله أو بعضه » (ص ٧٤) . وهو التحديد الذى أخذنا به .

وهنا نصل إلى نقطة هامة فى بحثنا هى : بيان نصيب اللغة العربية من هذه النظم العامة المختلفة .

أما النموذج الرابع وهو « التعديل أو التحول الداخلى » فإنه سوف يشغل اهتمامنا أساساً ، لا سيما الطرق الخاصة بالتعديل الداخلى ، من مثل : مد المصوتات القصيرة ، وتضعيف الأصوات الصامتة [2] فى الأصل الاشتقاقى ، فهى كلها مسائل جوهرية ، ذات قيمة عامة . ولسوف تتولى خاتمة البحث تركيب ما تحصل لدينا من نتائج .

ونقصد بـ (العربية) هنا تلك اللغة التى عرفها العرب أنفسهم لغةً رسميـة : لغة الصحراء قبل أن تتفرق القبائل إثْر الفتح ، وهى التى كانت تتمثل بخاصة فى الشعر الذى ازدهر قبل بعثة محمد ﷺ ، ثم استقر ازدهارها فى عصر صدر الإسلام ، حتى نهاية الدولة الأموية ، كما أنها تتمثل من جهة أخرى فى القرآن . وقد كانت هذه اللغة الموضوع الوحيد الذى أُفْرِغَتْ له البحوث النحوية واللغوية التى قام بها العلماء العرب .

تلكم هى (العربية الفصحى) ، فهى التى كان العلماء يعلمونها

---

(١) الترجمة الفرنسية للأستاذ S. M. Guillemin - باريس - Payot ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) يعني مفهوم « La gémination » في العربية ازدواج صوتَين صامتَين متماثلَين متواليَين ، فهو تكرار سريع ، ولكن الاستعمال الذي درجت عليه العربية يدل علي أنها لم تكن تميِّزه عن الطريقة الكمية في مد المصوتات . ونحن هنا لا نفرق بينهما أيضاً ، ولذا جعلنا التضعيف ضمن التغيرات الداخلية في النموذج الرابع .

تلاميذهم فى المدارس ، (وهى أيضاً التى تستعمل الآن لغةً أدبية حديثة) .

ولقد نطلق عليها أحياناً : « اللغة القديمة » أو « لغة الصحراء » أو « لغة الشعر القديم » ، فليتنبه القارىء لما نريد من معنى لهذه المصطلحات .

هذه « العربية » لغة صعبة ، وتكمن إحدى صعوباتها ـ إن لم تكن أكبرها ـ فى حيث كانت قائمة على نموذج لغوى خاص ، مختلف تمام الاختلاف عن ذلك النموذج الذى قامت على أساسه اللغات الأوربية .

لقد بذلنا غاية جهدنا فى ملاحظة الأحداث (اللغوية) ، وفى أن نستنبط منها الاتجاهات الرئيسة وتفرّعاتها ، ثم نلقى عليها نظرة مستوعبة منظمة . وقد اقتضى هذا أن نستخدم بعض الأفكار أو الملاحظات الخاصة بنا . وبعض هذه الملاحظات سبق أن عرضناه ، لا سيما فى كتابنا « دراسات فى علم الأصوات العربى » [1] ، وبعضها الآخر حاولنا أن نزيد فيه ، كما سوف نبيّن ذلك .

ولقد أدخلنا بعض الأفكار المتصلة بالنحو التاريخى ، أو بالمنهج المقارن ـ على ندرة ـ ، حتى يمكن إدراك حال اللغة المدروسة ، بإظهار علاقاتها وتطوراتها [2] .

وسوف يجد القارىء لهذا الكتاب نوعين من الملاحظات :

أحدهما : فى أسفل الصفحات ، وهو يؤدى دوره المعتاد .

والآخر : يتضمن إحالة إلى نهاية الكتاب ، وهو يحتوى تكميلات

---

(١) (Etudes de ph. arabe) من دراسات المؤلف التى نشرها بالفرنسية عن جهد العلماء العرب فى علم الأصوات ، وتقييم هذا الجهد من وجهة النظر الحديثة (المعرّب) .

(٢) العمدة فى هذا الباب هو كتاب المستشرق الألمانى « يوهان فك » [العربية] وهو يبحث فى تاريخ اللغة ، والأسلوب العربى . ويحتوى لمحات غنية عن التطور الذى تعرّضت له اللغة خلال القرون التى أعقبت الفتح الإسلامى (ترجمه إلى العربية المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار) .

ومناقشات فنية ، وقد وضعناها هذا الموضع من الكتاب ، كيلا نثقل صلب الموضوع . ولقد تكون هذه الملاحظات كثيرة ، ولكن من الواجب الاهتمام بها فى نطاق هذا العمل ، إذ إن من الضرورى أن يعلم القارىء أننا لم نقل هنا كل ما كان جديراً بالملاحظة .

وهذا الكتاب الصغير متوجه أولاً إلى دنيا العلماء ، العلماء بالعربية من كل نوع ، وبخاصة أولئك الذين يستكنهون أسرارها ، بحثاً وراء إدراك مصطلح لأحد النحاة العرب ، (مع أنه ربما كان مفهوماً لديه بصورة أخرى) ، كما أنه متوجه إلى اللغويين الذين يسعون وراء معرفة بناء اللغات المتعددة ، ذات الفصائل المختلفة : إلى هؤلاء العلماء جميعاً نقدم ثمرة بحوثنا وتأملاتنا .

ولكم رغبنا أن يسهل الوصول إلى هذا الجهد على طبقة أخرى من العاملين ، أكثر تواضعاً ؛ أعنى ذلك الطالب الذى يريد أن يجتاز مستوى النحو الوصفى ، أو يحاول أن « يقرأ » ليزيد أفقه رحابة ، وهو يُعدُّ إجازة فى علم اللغة العربى ، كما أعنى : كل أولئك الذين اضطرتهم مهنتهم إلى البقاء فى بلد من البلدان العربية ، فانطلقوا فى شجاعة يتعلمون اللغة الأدبية ، محاولين النفوذ إلى عبقريتها .

فمن أجل تيسير فهم الأحداث اللغوية فى العربية بالنسبة إلى هؤلاء حاولنا أن نقرنها بمثيلاتها من اللغة الفرنسية ، وأن نلتمس مقارباتها بقدر الإمكان [1] .

فهل كان ذلك على حساب التوازن العام فى المنهج ؟ إن عذرنا هو أننا لم نستطع أن نتجاهل أولئك الذين يعانون دراسة العربية ، ويحاولون فهمها .

---

(١) ننصح هؤلاء أن يتركوا مؤقتاً الباب الأول الصوتى ، وأن يبدأوا قراءتهم بالباب الثانى الصرفى ، وفى هذه المقارنات ذات الغرض التعليمى كان من الطبيعى استعمال اللغة الفرنسية من أجل القراء الذين يعرفون أولاً اللغة الفرنسية . ولذا نرجو ألا يرى أحد الدارسين فى طريقتنا هذه أدنى استهانة بأية لغة أخرى .

إن دراسة من هذا القبيل كانت فى الواقع مشروعاً جزئياً ، بل وربما كانت دراسة فجّة فى الوضع الراهن للدراسات العربية ، ومن أجل هذا رأى المؤلف أن من الممكن نشر « مخطط » متواضع (هو هذا الكتاب) ، مع رجاء ألا يقابله قراؤه بقساوة ، لما حوى من نقائص ومعايب لا يمكن تجنبها ، شأن كل بداية معرضة للنقص .

وقد طلب منى الأستاذ ا. شبيتلر A. Spitaler خلال إقامته القصيرة فى بيروت أن يقرأ القسم الأكبر من المخطوط . وأنا أعبر له عن صادق عرفانى لكل ما أبدى من ملاحظات وتوجيهات .

* * *

مُصطلحات الكتابَة

الصوامت

نشير هنا إلى أوجه التطابق بين الرموز المستعملة فى كتابتنا الصـوتية ، وبين الأبجدية العربية ، وقد قصرنا إشارتنا هذه على الأصوات غير المنطوقة فى اللغة الفرنسية ، أو الرموز التى تبسّط الكتابة الفرنسية :

ء	’	ط	ṭ
ث	ṯ	ظ	ḏ̣
ج	ǧ	ع	‘
ح	ḥ	غ	ġ
خ	ḫ	ق	q
ذ	ḏ	هـ	h
ش	š	و	w
ص	ṣ	ى	y
ض	ḍ		

ملحوظة : ḍ = ض ، من باب الرمز الاتفاقى فحسب لذلك النطق القديم ، الذى لم يكن دالاً مفخمة (مطبقة) . و r – هى دائماً مكررة ، لا لمسية لثغاء .

المصوتات

اهتممنا بتسجيل المصوتات القصيرة فى آخر الكلمة المعربة ، حين يكون الاسم ممنوعاً من الصرف ، (فهو ذو حالتين فى الإعراب Diptôtes) ، أما الكلمات المنصرفة ذوات الأحوال الثلاث Triptôtes فقد أظهرنا مصوتها كلما كان ذلك مفيداً ، سواء أكان ذلك بتصوير المصوت بذاته ، مع التنوين أو بدونه ، أم كان برسم خط صغير فى آخر الكلمة مثل : رفلّ = rifallun أو rifall- .

أما فى الأفعال فقد سجلنا دائماً المصوتات القصيرة الأخيرة ، دون أن نستخدم الخط الصغير ؛ والمصوتات التى استخدمناها فى التسجيل هى :

u = الضمة الخالصة ، كما فى الكلمة الفرنسية : cou .

ə = e / المصوت بين الضمة والكسرة ، كما فى الكلمات الفرنسية : que - le - je .

ẹ = é / الفتحة الممالة ، أو الكسرة المقفلة كما فى الكلمة الفرنسية : pré .

ä = è / الفتحة الممالة إمالة خفيفة [1] أو الكسرة المفتوحة ، كما فى الكلمة : mère .

ورسم خط فوق المصوت يدل على أنه مصوت طويل : ā, ī, ū . فإذا لم يرسم هذا الخط دلّ ذلك على أنه مصوت قصير .

---

(١) يستخدم الجدول الدولى وصف المصوتات بأنها ضيقة أو نصف ضيقة أو واسعة أو نصف واسعة ، وعليه فالكسرة المقفلة هى نصف الضيقة ، والمفتوحة بين هذه وتاليتها . (المعرّب) .

وقد أشرنا إلى النبر فى بعض النصوص العربية اللهجية بعلامة توضع فوق المصوت المنبور (á) ، أو توضع بجواره مباشرة مثل : samaka'ta : سَمَكتا .

* * *

الباب الأول
الأصوات

١ – المادة الصوتية

أولاً : المصوتات والصوامت :

يلاحظ فى علم الأصوات وجود تناقض بين عدد الصوامت الضخم (٢٨)، وذلك العدد القليل من المصوتات (فتحة وضمة وكسرة ـ a u i) ، قصيرة كانت أم طويلة . ومن المحتمل أن تشير هذه المذكورات إلى مناطق نطقية فحسب . ثم يرد عليها فى الاستعمال تغيرات (بحسب القبائل) ، فتصبح الضمة الخالصة (u) ضمة مفتوحة (o) ، وتصبح الكسرة الخالصة (i) كسرة قريبة من الفتحة (ممالة) (ẹ) ، وذلك نحو : يكتُب (yaktub) إذ تنطق أحياناً (yaktob) ، ونحو : يحمِل (yaḥmil) إذ تنطق (yaḥmel) ، ولكن ذلك لا يغير المعنى فى شىء . ومن ذلك « الإمالة » التى تجعل الفتحة الطويلة الخالصة (ā) (وهى ما يعبر عنه بألف المد) فتحة طويلة ممالة (ā̤) ، و « التفخيم » الذى عرف فى الحجاز ، وهو الذى يجعل الفتحة الطويلة (ā) ضمة طويلة مفتوحة (o) ، فهاتان الظاهرتان الصوتيتان لا تحدثان أدنى التباس فى المعنى [1] . و انظر ما كتبه ج . كانتينو J. Cantineau فى كتابه : « محاضرات فى علم الأصوات العربى » (Cours de phoné-tique arabe) (الجزائر ١٩٤١) : حيث وصف الكتابة العربية بأنها كتابة

---

(١) يبدو أن تغير المصوتات فى اللهجات الحديثة لا يعد ثقيلاً على ألسنة الناطقين باللغة فى مجموعة لهجية معينة ، فالنطق بالكلمة (بينكسر) بإخلاص الكسرتين الأخيرتين ، byi'nkisir ، أو بحذف الثانية وإمالة الثالثة : byi'nkser ، أو بإمالة الثانية والثالثة مع نقل النبر من الأولى إلى الثانية : byinke'ser ، كل هذا موجود فى لبنان ، بيد أن ما يلتبس على الناطق هو استعمال كلمات مختلفة لمعنى واحد ، وذلك كأن ينطق البيروتى كلمة (بطّيخ) هكذا : baṭṭīḫ أو baṭṭàyḫ ، ولكنه يضطرب إذا استمع إلى حلبى ينطق كلمة (جبس) ğabas لنفس المعنى .

تنظيميـة ، قال : « إنها لا تهتم إلا باختلافات النطق ، التى ينتج عنها تفرقة بين الصيغ النحوية أو الكلمات » .

ومع ذلك ففى العربية مصوتان مزدوجان [1] هما : أو aw ، وأى ay ، فى مثل : قوْم ، وليْل (رقم (١) فى المذكرات الأخيرة) .

أما المصوتات الثلاثة (طويلة أو قصيرة) فإن نسبة ورودها فى النطق العربى تختلف ، إذ نجد الفتحة (a) أكثر المصوتات وروداً ، ويكفى أن نقوم لإثبات ذلك باختبار إحصائى بسيط فى القرآن ، وليكن ذلك مثلاً الآيات ٥ / ٦ ـ ١١ / ١٢ من سورة البقرة ، ففى هذه الآيات تتكرر الفتحة (١١٠) مرات ، والكسرة (٤٢) مرة ، والضمة (٥٠) مرة ، فإذا كان عدد هـذه المصوتـات (٢٠٢) حالة ، فإن النسبة المئوية لورود كل منها هى (الفتحـة ٥٤,٤ ٪) ، و (الكسرة ٢٠,٨ ٪) ، و(الضمـة ٢٤,٨ ٪) . أما المصوتـان المزدوجـان : (أوْ) و (أيْ) فلم يرد كُل منهما سوى مرة واحدة .

وربما استطعنا ـ لو قمنا بإحصاءات أخرى فى نصوص أكبر ـ تعديل نسبة ورود الكسرة والضمة ، ولكننا لن نستطيع قطعاً أن نمس نسبة شيوع الفتحة فى الكلام العربى [2] .

أما الأصوات الصامتة فمن المدهش أن نجد اطراداً كبيراً فى النطق بالأصوات الحلقية أو الحفّافية ؛ الحلقية مثل : الهمزة والهاء (مزمارية) ،

---

(١) يطلق عليهما أيضاً الصوتان المركبان . (المعرّب) .

(٢) ارجع إلى B.S.L. Esquisse d'une phonologie de l'arabe classique عدد رقم ١٢٦ - ١٩٤٦ ، صفحة ١٢٥ ، فقد قام بإحصاء فى ثلاثة نصوص قرآنية (البقـرة : ١ - ١٨) و (طـه : ٢ - ٣٤) و (الـروم : ٢ - ٢٠) ، أى إنه قـد اختـار من كل سـورة مـائتى كـلمـة ، وقد خـرج من إحصـائه لهذه الستمـائة كلمة بالنتيجـة التاليـة (الفتـحـة ٥٩,٤ ٪) ، و (الكسرة ٢٠,٨ ٪) و (الضمة ١٩,٨ ٪) فقد تقاربت الكسرة والضمة ، أما الفتحة فقد زادت نسبتها .

والعين والحاء (حنجورية) . واللهوية مثل : القاف (q) [1] ، والخاء (ḫ) ، والغين (ġ) والأصوات المطبقة ـ أعنى المفخمة ـ هى : (الصـاد ṣ ، والطـاء ṭ ، والظاء ḏ̣ ، والضاد ḍ) .

ولقد كان العرب يتباهون بنطقهم الخاص لصوت الضاد ، وهو عبارة عن صوت مفخم يحتمل أنه كان ظاء (ḏ̣) جانبية ، (أى إنه كان يجمع الظاء واللام فى ظاهرة واحدة) ، وقد اختفى هذا الصوت فلم يعد يسمع فى العالم العربى ، وأصبح بصفة عامة إما صوتاً انفجارياً هو مطبق الدال (ḍ) ، وإما صوتاً أسنانياً هو الظاء (ḏ̣) . ولكن بلاد العرب قد احتفظت فى بعض لهجاتها المتفرعة عن المجموعة القديمة جنوبى الجزيـرة ـ بكثير من الصـوامت الجانبيـة (رقم ٢ فى المذكرات) .

وقد قسم العرب الأصوات الصامتة إلى مجهورة ومهموسة ، وهو تقسيم ناشىء عن التأثير الصوتى ، وبالرجوع إلى نص سيبويه الذى ذكره السيرافى فى شرحه للكتاب (وهو نص فى المذكرة رقم ٣) يبدو لنا الآن من المسلم أن هاتين الكلمتين لا يختفى وراءهما سوى تعبير مختلف ، اقتضته وجهة نظر سيبويه ومن تبعه ، هو ما نعنيه بكلمتى (sonores و sourdes) ، أما ما ينشأ عن اعتبار كل من الهمزة والطاء والقاف بين المجهورات طبقاً لنظرية القدماء فليس صعوبة يتعذر تذليلها (ارجع إلى : دراسات فى علـم الأصـوات العربـى ص ٢٣٦ رقـم ١) .

---

(١) لا نشك فى أن للقاف نطقاً أكثر عمقاً – على الأقل عند بعض القبائل – ؛ أى إنها كانت عبارة عن احتباس فى أقصى الحلق (paroi du pharynx) ، ويوجد أيضاً فى بعض اللهجات نطق مماثل (انظر دراستنا فى علم الأصـوات العـربى ص ٢٤٢ رقم ٢) . مثل هذا النطق لا يكتسب بالصنعة والمران ؛ بل إن الذين يتصفون به لابد أن يكونوا قد ورثوه عن نموذج حىّ – أما التفخيم emphatisation فقد يكون على أنواع مختلفة ، وفى اعتقادنا أن نموذج (الإطباق velari-sation) الذى وصفه النحاة العرب صحيح منطبق على النطق العربىّ الفصيح . وليس من مهمتنا فى هذا الكتاب أن نناقش هذا الموضوع .

وينقسم الجانب الأكبر من الأصوات الصامتة ـ وفقاً لتعاليم سيبويه التى تعد أساسية فى الموضوع ـ إلى مجهور ومهموس :

ـ ب / ف ؛ ت / د ؛ ث / ذ ؛ س / ز ؛ خ / غ ؛ ح / ع .

ـ f/b ; d/t ; ḏ/ṯ ; z/s ; ġ/ḫ ; ḥ / ʿ .

وتتمثل الفاء الشفوية فى الباء النَفسية القديمة (p) . وتقابل الكاف (k) الجيم الرخوة المليّنة (gʸ mouillé) [١] التى تتفق مع الجيم السامية القديمة ، ولقد تطورت هذه الجيم حتى صارت (ğ) [٢] فى النطق الفصيح الذى تلقيناه ، (فصارت حينئذ مقابل š) . أما فى اللهجات فإنها تتمثل على تنوع فى : dʸ , ğ , ž , y وأيضاً فى : z .

ولقد كانت القاف مجهورة ، حافظ على جهرها أهل البداوة جميعاً ، وكان ذلك من خصائصهم . (مهما اختلف مخرجها لديهم) .

ولم تكن الهاء (h) سوى مهموسة . والهمزة كذلك مهموسة .

أما الشين (š) ، فقد كانت أولاً مفردة لا مقابل لها فى نظام سيبويه ، ولكنها قرنت إلى الجيم (ğ) ، كما سبق أن قلنا ، وبقيت الكاف (k) حينئذ مفردة .

أما الصوامت الضعيفة (w و y) فهى مجهورة ، وكذلك الأصوات المائعة : الراء (r) ، واللام (l) .

---

(١) gʸ هى أكثر الفونيمات موافقة لما يقول سيبويه ، فهى جيم مُليّنة ، أعنى أنها تضيف إلى كونها منطوقة من منطقة أقصى الحنك الأعلى - اتصال اللسان بمنطقة وسط الحنك الأعلى - (قارن فى الفرنسية (n) فى الكلمتين : cognée , agneau لتفهم معنى تليين الصوت (La mouil-lure) .

(٢) أى جيماً احتكاكية : وهى النطعية = ğ = dž كما تنطق j فى الكلمة الإنجليزية joy .

وهكذا نجد لدينا بعض الصوامت المهموسة بقيت بلا مقابل مجهور ، وهى : الشين (š) ، والكاف (k) ـ تبعاً للتطور المشار إليه آنفاً ـ ، والهمزة والهاء ، كما نجد أصواتاً مجهورة بلا مهموس ، وتلك هى الصوامت الضعيفة : الواو والياء ، وكذلك : الراء واللام ، وهو أمر طبيعى .

أما صوت الضاد المفخمة فقد بقى وحيداً دائماً فى النظام الصوتى كله .

وتحدث الأنفية فقط فى الصوت الأسنانى ، وهو : د › ن / d > n ، وفى الصوت الشفوى ، وهو : ب › م / b > m .

وقد أصاب التفخيم أصوات المنطقة الأسنانية (سواء أكانت شديدة أم رخوة ، وأصاب الأصوات البين أسنانية ، وهى المهموس / ص ṣ / ، والمجهوران : / ظ ḏ̣ / و / ط ḍ ـ التى سرعان ما همست فأصبحت مفخم التاء : ṭ ، كما أصاب الصوت المجنب : الضاد .

وبذلك يكون النظام فى أكمل صورة بالنسبة إلى هذه المنطقة الأسنانية ، كما يمكن أن نلمس ذلك فى الجدول التالى :

منطقة النطق	مجهور	أنفى	مفخم	مهموس	مفخم
شفوى – شديد	ب / b	م / m		ف / f رخو	
شفوى حفافى – رخو	و / w				
أسنانى لثــوى – شديد	د / d	ن / n	(ط) / ḍ	ت / t	ط / ṭ
بين أسنانى – رخو	ذ / ð		ظ / ð̣	ث / θ	
بـين أسـنـانـى – مجنب – رخو			ض / ḍ		
أسنانى صفيرى – رخو	ز / z			س / s	ص / ṣ
ذَوْلَقِى – رخو	ر / r				
حــافًى – رخــو	ل / l				
نطعىِ	ج / ǧ			ش / š	
وسطَ حنكى – رخو	ي / y				
أقــصى حنكى شــديد (الجـيم اليائية)	ج ى / g y			ك / k	
حفافى – رخو	غ / ġ			خ / ḫ	
لهوى – شديد	(ق)			ق / q	
حنجورى – رخو	[illegible]			ح / ḥ	
مزمارى				ء هـ / h	

ملحوظة : ويصور هذا الجدول نطق الأصوات كما كانت فى الفصحى ، وقد وضعنا بين قوسين الصوتين اللذين وصف سيبويه نطقهما : ط = ḍ و ج (gʸ (وهما اللذان لم يحتفظا بخاصتهما النطقية) ، والقاف المجهورة (وهى التى وضعها سيبويه بين المجهورات) . أما بالنسبة إلى الجيم الندية الملينة (gʸ) فيجب القول بأنها كانت من أقصى الحنك ، والفاء (f) شفوية . ويستطيع القارىء بتتبعه لإشارات الجدول التى تعين الشديد والرخو ، كما تعين المخرج ـ أن يضع تعريفاً للأصوات الصامتة .

ثانياً : ضعف الواو والياء بين مصوتين :

إذا ما لاحظنا طبيعة الأصوات الصامتة وجب أن نلاحظ ضعف الواو والياء حين تكون إحداهما بين مصوتين : إذ إنهما ينحوان نحو الاختفاء . ولدينا هنا قاعدة لا يعسر بيانها ، وهى قاعدة ذات تأثير فى إدراك التغيرات الصرفية فى الأفعال التى يكون ثانى أصولها أو ثالثها واواً أو ياء (رقم ٤ فى المذكرات) ، وهذه الحالة كثيرة الوقوع أيضاً فى صرف الأسماء التى يتوفر فيها هذا الشرط ، فقد يحدث أن تتوفر لدينا صيغتان شائعتان ، أعنى مشتملة إحداهما على الصامت الضعيف ، على حين خلت الأخرى منه ، وذلك نحو : (خونة) (ḫawanat) [١] و (خانة) (ḫānat) ، والذى نريد أن نقوله فى هذا المثال المعروف هو : أن الواو حين وقعت بين مصوتين فى (خونة) اختفت وأصبحت (خانة) (*ḫaanat) فاجتمع مصوتان قصيران [٢] تحولا إلى مصوت طويل . والحالة هنا بسيطة ؛ لأن المصوتين القصيرين كانا من جنس واحد .

---

(١) تحوّلت كلمة خونة ḫawanat إلى خوَنَى ḫawané بالكسرة الممالة فى اللهجة اللبنانية . ويمكن الاعتراض على ذلك بأن جمع التكسير يعتبر صياغة حديثة نسبياً فى اللغة السامية ، ولكن يجاب على هذا الاعتراض بأن جمع التكسير قائم على أصول مشتركة هى فى ذاتها قديمة فى السامية .

(٢) وهو ما لا يمكن أن يخفى - أنظر ص ٥٧ - ٥٨ .

ولكن قد يحدث أن يكونا مختلفين ، وينتج من هذا حينئذ أوجه من التعارض تبعاً للقوانين الصوتية ذات القيمة الخاصة ، سواء فى الأسماء أم فى الأفعال ، متى تشابهت العناصر فيهما . وليس من الممكن أن ندخل فى كل هذه التفصيلات التى سبق أن عرضناها جزئياً فى كتابنا : (دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ٢٧٧ ـ ٢٧٨) .

وقد احتفظت ضرورة النظام الصرفى غالباً بالواو والياء بين مصوتين ، ولكن صحب ذلك اللجوء إلى وسيلة لمعالجة ضعفهما ، وتقويتهما بالتضعيف كلما استُطيع ذلك ، بشرط عدم المساس بتماثل الوزن فى الصيغة ، أعنى دون تحولها إلى وزن آخر .

فالتضعيف إذن أمر ثانوى ، (أى إنه ليس جزءاً من النظام الصرفى) ؛ وتكشف عن الغرض منه الأمثلة التالية : سَنِىٌّ (saniyyun) فى : سنِيِى * (sanīyun) (زنة فعيل) ، ومَرْضِىٌّ (marḍiyyun) فى : مرضِيِى * (marḍīyun) ، ومَرْضُوٌّ (marḍuwwun) فى : مرضوو * (marḍūwun) ، (زنة مفعول) ، اسم مفعول nom de patient من الفعل : رضى يرضى .

ويحدث هذا أيضاً فى النسب كما فى : مصريون فى مصرييون *، وكذلك : مصرية . وكثيراً ما يحدث فى هذه الحالة أن يقع الصامت الضعيف بعد مصوت طويل ، يختصر ضرورة ، ولا علة لذلك إلا أن تضعيف الواو أو الياء يجعلها فى مقطع مقفل (راجع هذه المسألة فى كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

٢ـ « المقطع »

أولاً : طبيعة المقطع :

يبدأ المقطع فى العربية الفصحى دائماً بصامت واحد فحسب ، وينتهى إما بمصوت (فهو المقطع المفتوح) ، وإما بصامت واحد أيضاً (فهو المقطع المُقْفَل) ، وهذا ينفى : أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت الانفجارية المتصلة (explosifs) ، وأن يكون فى وسط الكلمة مجموعة من الصوامت تزيد على اثنين ، (وتكون المجموعات ذات الصوتين دائماً منفصلة) ، وأن تنتهى الكلمة بمجموعة متصلة من الصوامت الاحتباسية (implosifs) [١] .

ففى بداية الكلمة يتحاشى العربى أن ينطق بمجموعة من الصوامت الانفجارية المتصلة ، وذلك بأن يأتى بمصوت [٢] (voyelle phoné- tique) ، فيقال : (اُ) كتب ـ uktub (') بدلاً من : (كْتُبْ) ktub ، ومثال ذلك أيضاً أن الاسم الإغريقى platon قد أصبح فى العربية (aflāṭūnu ') ، وحيث وجب الإتيان بصامت لبداية المقطع فقد اصطلح على أن يكون (الهمزة) ، وتجدهذه الهمزة فى الكلمات الأعجمية المعربة مثل : إقْلِيم ، وإفرِنْج ، وإسفُنْج ، والكلمتان الأخيرتان بالفرنسية (franc و éponge) .

---

(١) يقصد المؤلف بكلمة explosif هنا الحالة التى يسمح فيها للهواء بالخروج على هيئة انفجار فى الصوت الشديد ، توصلاً للنطق بالحركة التالية للانفجار ، وذلك فى بداية الكلمة . ويقصد بكلمة implosif الحالة التى يحتبس فيها الهواء فى الصوت الشديد ، فلا يحتاج لخروجه ، نتيجة انتهاء الكلمة ، أى عدم وجود حركة تالية . (المعرّب) .

(٢) هو ما يطلق عليه همزة الوصل فى اصطلاح النحو العربى . (المعرّب) .

أما فى صرف الأفعال فإن هذه المصوتات المساعدة لا تتدخل عندما تكون الكلمة السابقة منتهية بمصوت ، إذ يستخدم هذا المصوت فى الفصل بين المجموعات مثل : قالَ اكتب (qāla ktub) ، كما يستخدم فى تحليل الكلمات إلى مقاطع مثل : قا / لَ كْ / تُبْ (qā-lak-tub) ، ويقال : انطلق (inṭalaqa) ، ولكن يقال عند الوصل : ثمَّ انطلق (ṯumma nṭalaqa) ، ويكون تقسيمها إلى مقاطع هكذا : ثُمْ - مَنْ - طَ - لَ - قَ (ṯum-man-ṭa-la-qa) .

أما فى وسط الكلمة فإن كل صوتين صامتين متواليين لابد أن يكون أولهما جزءاً من المقطع السابق ، والثانى جزءاً من اللاحق ، وذلك مثل : يستكتب (yastaktibu) ، وتقسيمها المقطعى : يَسْ - تَكْ - تِ - بُ (yas-tak-ti-bu) .

وأما فى نهاية الكلمة ، فعندما يُلغي الوقف مصوت الإعراب يؤتى فى ظروف معينة بمصوت فَصْل ، كما فى : غصْن (ġuṣun) [1] . إذ تصبح : غُصُن (ġuṣun) - بدلاً من غُصْن (ġuṣn) .

ثانياً - المقطع المُقْفَل ، والمصوت الطويل :

كشف لنا السلوك المقطعى عن وجود ثلاثة نماذج من المقاطع :

صامت + مصوت قصير :	مقطع قصير
صامت + مصوت طويل :	مقطع طويل مفتوح [2]
صامت + مصوت قصير + صامت :	مقطع طويل مقفل [3]

(١) بالنسبة إلي الحالات التي يحتفظ فيها في الوقف بمجموعة من الصوامت في آخر الكلمة . انظر : H. Birkelande, Altarabische pausalformen, Oslo 1940, pp. 53 sq.

(٢) و (٣) هذان الوصفان من إضافتنا . (المعرب) .

بيد أن هذا السلوك سيضطرب إذا ما نشأ عن بعض الصيغ الصرفية مصوت طويل (أو مزدوج Diphthongue) فى مقطع مُقْفَل ، على الصورة التالية :

صامت + مصوت طويل + صامت

وبهذا يتكوّن مقطع (مديد) .

والشعر العربى الذى يحتوى فى أوزانه المختلفة مجموعة محددة من المقاطع الطويلة والقصيرة ، أى إنه ذو قياس محدد ـ لم يتسع مطلقاً لهذه المقاطع المديدة ، فقد كان الشاعر يتخلص من هذه الصعوبة بطرق مختلفة (انظر كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) .

أما النثر فقد اتسع للمصوت الطويل (أو المزدوج) ، وذلك عندما يُقْفَل المقطع بنفس الصامت الذى يَفْتَح المقطع التالى ، فينشأ صوت مضعف وذلك نحو : احْمَارَّ (’ iḥmarra) ، ولا الضَّالِّينَ (wala-ḍḍāllina) (القرآن ـ نهاية الفاتحة) ، وخُوَيْصَّةٌ (ḫuwayṣṣatun) تصغير « خَاصِّة » .

والسؤال الذى يحضرنا الآن هو : كيف يتم التقسيم المقطعى فى هذه الحالة ؟ ... أغلب الظن أنه يتم بأن نترك المصوت الطويل أو المزدوج فى مقطع مفتوح هكذا : احْ ـ مَا ـ رْرَ (’iḥ-mā-rra) ، لا ـ ضَّا ـ لِّيـ ـ نَ (la-ḍḍā-lli-na) ، خُـ ـ ويْـ ـ صُـ ـ تُنْ) (ḫu-way-ṣṣa-tun) .

لكن بعض العرب يعمدون فى هذه الحالة ـ على ما قرره صاحب المفصل فى أمثلته ـ إلى تقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين منفصلين بوساطة همزة ، وبذلك يصبح المقطع المديد مقطعين قصيرين ، (وإن أصبح الثانى طويلاً بسبب الوقف) ، وذلك مثل : احمأرّ ، ولا الضألين (وهى قراءة مروية) ، فقدكان على هؤلاء العرب أن يجروا تقسيمهم المقطعى بطريقة ربما

أبقت على المقطع المديد ، ولكن كراهتهم له جعلتهم يلجأون إلى حيلة أخرى لتحاشيه ، (رقم ٥ فى المذكرات) .

وقد جرت العادة فى النثر – عند أمن اللبس – باختصار المصوت الطويل الوارد فى مقطع مقفل ، ولذلك أمثلة أخرى كثيرة فى الأفعال التى يكون ثالث أصولها واواً أو ياء متلوة بكلمة مبدوءة بصامت مثل : يغزو الجيشُ ، يرمى الغَرَضَ ، يخشى القومُ ، فقد نطقت دون مصوت طويل .

وكذلك قولهم فى حال التثنية : (لم يضربا القومَ : lam yaḍriba-lqawma) ، وفى حال الجمع : (لم يضربوا الآنَ : lam yaḍribu-l'āna) ، وفى حال المؤنثة المخاطبة : (لم تَضْربى ابْنَك : lam taḍribi-bnaki) . وهذه الأمثلة مأخوذة عن صاحب المفصل أيضاً ، وقد أورد هنالك أمثلة نادرة تخرج عن هذه القاعدة من أجل الحفاظ على معانٍ خاصة .

وهنا تعرض لنا مشكلة هى أنه قد ينشأ عن اتصال كلمة بأخرى مصوت مزدوج فى المقطع المقفل ، وتقضى ضرورة النظام الصرفى بعدم جواز اختصار هذا المصوت المزدوج بإلغاء أحد عنصريه . والحل الذى طبق على هذه المشكلة هو تجزئة المصوت المزدوج بين مقطعين مختلفين (انظر أيضاً كتاب المفصل) ، وذلك مثل : (لا تخشوْ النّاسَ (lā-taḫšaw-nnāsa) ، إذ تصبح (لا تخشَوُا الناسَ lā-taḫšawu-nnāsa) ، وكذلك : (لقد ابتغوا الفتنة laqad-ibtaġawu-lfitnata) – وكذلك الحال فى المجرور المثنى فى (الإضافة النحوية) مثل : (فى غَزْوَتَى الغازى : fīġazwatayi-lġāzi) .

لقد أدت كراهة الاحتفاظ بمصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المُقْفَل دوراً هاماً فى شكل اللغة العربية . وقد لفتنا انتباه القراء إلى تلك النقطة فى كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٥٠ وما بعدها) .

٣ـ « اتجاهات عامة »

عرضنا فى كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٤٨ وما بعدها) ، مسلكين عامين ، ومن المناسب أن نذكرهما هنا :

أما أولهما : فهو كراهة أن يتكرر صوت صامت مرتين متواليتين مع مصوت قصير يفصل بينهما .

وثانيهما : كراهة النطق بالصوامت الضعيفة ـ الواو والياء ـ مع مصوتات من جنسها ، فلا تنطق الواو مع الضمة (wu) ، ولا الياء مع الكسرة (yi) ، كما لا تنطق الواو مع الكسرة (wi) ، (رقم ٦ فى المذكرات) .

(١) فالكراهة الأولى تختص أولاً بحالة ما إذا بدىء مقطعان متواليان بصامت بعينه ، مع اشتمال الأول على مصوت قصير ، والمثال الدقيق على هذا موجود فى الأفعال التى عينها ولامها من جنس واحد ، مثل* مَدَدَ madada ، * وفَرَرَ farara ، و * وَدِدَ wadida ، وفى العبرية أفعال من هذا القبيل بـزنة (فَعَلَ) ، ومـن ذلـك : sabab : حـاط ، (وفى اللغة الجعزية [1] : نَبَبَ nababa : حفظ) ، فاللغة العربية تقـول : مَـدَّ madda ، وفَـرَّ farra ، ووَدَّ إلخ ... فقد أدمجت الصامتين فى صامت مضعف بعد حذف المصوت القصير .

وتلك سنة من سنن العربية كلما أمكنها إدماج صوتين فى صوت واحد ، وهو ما عبر عنه النحاة بالإدغام ، حتى لو اقتضى الأمر حذف المصوت القصير ،

---

(١) إحدى اللغات الرئيسة فى الحبشة ، ويظن أنها السامِيّة الأولى ، أو تطور لها مباشر . (المعرّب) .

فغير التام من الفعل « مَدّ » : يَمُدّ (yamuddu) ، بدلاً من : * يَمْدُدُ (yamdudu) ، وكذلك : (يفرّ ويودّ ، إلخ ... (رقم ٧ فى المذكرات) .
وفى الصيغة التاسعة : احْمَرّ (فى * احْمَرَرَ iḥmarara') وغير التام : يَحْمَرّ بدلاً من (* يَحْمَرِرُ yaḥmariru) ، أو أفعلات : أحِبّاء ـ فى : * أحْبِبَاء ، وأزِقّات ـ فى : * أزْقِقَات .

وفى اللغة صور من الحذف والاختصار مختلفة ، لها أسبابها العميقة فى هذه الكراهة لتكرير صامت مرتين متواليتين ، وقد عالجنا هذه الأسباب فى كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٦٠ وما بعدها) . ونذكر على سبيل المثال صيغاً مثل : تَقَدَّمُون ، بدلاً من : « تَتَقَدَّمُون » ، وهى صيغة شائعة ، والفعل : « اسْطَاع » ، بدلاً من المستعمل : « استطاع » ، والصيغة الرابعة : أفْعَلَ يُفْعِلُ ، بدلاً من : « أفْعَلَ * يُؤَفْعِلُ » ، (وهى ظاهرة حدثت أولاً فى الإسناد إلى ضمير المتكلم : * أأفْعِلُ ، أُفْعِل ، ثم عممت فى سائر صور الإسناد) .

وسنرى فيما بعد (ص ١٣٤ وما بعدها) أن هذه الكراهة قد استتبعت تحديداً للتطور الصرفى فى اللغة العربية .

(٢) والكراهة الثانية : كراهة النطق بصامت ضعيف مع مصوت من جنسه ، كالواو مع الضمة ، والياء مع الكسرة ، (وكذلك الواو مع الكسرة) ، هذه الكراهة تفسّر لنا من الناحية الصرفية حالات كثيرة من المخالفة عند إبدال الواو والياء همزة ، فاسم الفاعل من الفعل الأجوف بالواو أو بالياء مثل : قَاوِل ـ يصبح : « قَائِل » ، وكذلك : بَايِع ـ تصبح : « بَائِع » ، ويحدث هذا فى جموع التكسيرعلى فواعل وفعائل ، فيقال فى : فوايد : فوائد ، وفى : عجاوز 'ağāwizu : عجائز 'ağā'izu .

فإذا ما استعرضنا بعض الأمثلة فى صرف الأسماء صادفنا نفس الضرورة ،

فـصـيغ فَعَال ، وتَفْعَال ، وتفْعَال ، وفُعَال ، وفعَال ، و أفْعَال ، وفَعَّال ، وفُعَّال ، ومصادر الصيغ المشتقة : إفْعَال ، وانْفعَال ، وافْتِعَال ، واسْتِفْعَال ، فى هذه الصيغ جميعها نصادف بالضرورة اقتراناً شاذاً مع مصوتات الإعراب ، وذلك عندما تكون هذه الصيغ معتلة بالواو أو بالياء ، فنجد الواو مضمومة (wu) فى حالة الرفع ، ونجدها مكسورة فى حـالة الجـر ، كما نجد الياء مكسورة (yi) فى حالة الجر أيضاً .

هنا تتم المخالفة بإبدال الواو أو الياء همزة . ثم يشيع هذا الإبدال بوساطة القياس الموحد فى صيغ أخرى ، ففى جمع التكسير مثلاً بزنة أفْعَال مـن الأصـل : (ع د و) ، يقـال : أعـداء a'dā'un' ـ بـدلاً مـن أعداو a'dāwun' ـ فى حالة الرفع ، وأعداءِ a'dā'in' بدلاً من أعداوٍ a'dāwin' فى حالة الجر ، أما أعداءً a'dā'an' ـ بدلاً من أعداواً a' dāwan' فى حـالة النصب ، ـ ، فقد جاءت على قياس سابقتيها ، رغم انعدام الضرورة التى أوجبت قلب الواو همزة فى الحالتين السابقتين . فالمخالفة فى هذه الحالات كلها كانت عامة ولازمة ، باستثناء أمثلة جمع التكسير بزنة مفاعل [1] . وهناك حالات كثيرة أيضاً تباح فيها المخالفة ، مثلاً فى صيغة : فَعُول : قَوُول أو قَؤُول، وفى جمع التكسير فُعُول : وُجُوه أو أُجُوه wuğūh ou 'uğūh . وهذا كله مبسوط بأمثلته الكثيرة فى كتابنا : (دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٦٨ وما بعدها) .

(٣) بقى أمامنا اتجاه ثالث ينبغى التعرض له ، وهو حدوث المخالفة بإبدال الفتحة القصيرة (a) كسرة قصيرة (i) عند مجاورتها مباشرة لفتحة طويلة (ā) ، والهدف من ذلك بداهة تجنب النطق بمجموعة مصوتات متحدة الطابع متواصلة ، وهذا يفسّر من بين ما يفسره : قصر إعراب جمع المؤنث السالم على

---

(١) انظر : رايت جـ ١ ص ٢٢٧ .

صورتى الرفع والجر . فيقال فاعلاتٌ وفاعلاتٍ ، دون أن يقال « فاعلاتً » فى حالة النصب ، بل هى أيضاً « فاعلاتٍ » . وكذلك الحال فى لاحقة المثنى ، حيث كسرت النون فقيل (انِ) ، دون (انَ) ، وسواء فى ذلك الأسماء والأفعال فيقال بابانِ bābāni فىَ : * بابانَ bābāna ، ويقال : يقتلانِ فى * يقتلانَ ، ويقال : * هذانِ فى : هذانَ .

وتحدث هذه المخالفة أيضاً فى بعض جموع التكسير المنتهية بـ آن / ān ، نحو : إخوان 'iḫwān وعبدان 'ibdān فى : * أخْوان ، و* عبْدَان كما تحدث فى المؤنث فى إحدى 'iḥdā بدلاً من : * أحْدَى 'aḥdā ، وكما تحدث فى مصادر الصيغ المشتقة : فعّال (بدلاً من فَعّال) فى فَعّل ، نحو : كذّاب ، وإفْعَال (بدلاً من أفْعَال) فى أفْعَل ، وانْفعَال ، إلخ ...

ولهذا الاتجاه تأثيره أيضاً فى المجال اللهجى ، فى جانب كبير من اللبنانية ، حيث تصبح فَعّال وفَعْلان : فِعّال وفِعْلان (بالكسرة الممالة المقفلة ـ e) .

٤ـ النبر

نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب ، بل لم نجد له اسماً فى سائر مصطلحاتهم ، تلك التى كانت بالرغم من ذلك وافرة غزيرة .

ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أى دور فى علم العروض العربى ، وهو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحددة ، فهو على هذا كمّى ، ولقد لزم واضعو هذا العروض الصمت إزاء موضوعه ، تماماً كما فعل النحاة ، وقفى على أثرهم المؤلفون فى علم التجويد ـ تجويد القراءة القرآنية .

أما علم الصرف فيبدو أن فكرة النبر قد أهمته جزئياً ، وذلك فى حالة واحدة فقط ، حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة ؟) ، فى مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة ؟) ، (انظر فيما يلى ص ٢٣٠) . فالنبر إذن ينبغى أن يكون نبر علوّ : نبراً موسيقياً .

واختفاء المصوتات القصيرة فى لسان بعض القبائل - وبخاصة فى مكة - فى بعض الصيغ القرآنية - مثل قوله تعالى : يَطَّهَّر yaṭṭahharu ، فى مكان يَتَطَهَّر « yataṭahharu » - هل يجب أن نخرج منه بنوع من النبر ذى التوتر المحلى ؟ ...

ربما كان هذا صحيحاً ، ولكنه ليس ضرورياً .

وهناك بعض المصوتات القصيرة يمكن أن يختفى لأسباب أخرى ، ومثال ذلك ما يحدث فى بيروت من ناحية اليمين ، حيث يمكن تقسيم الجبل قسمين بالنسبة إلى مسألة توالى ثلاثة مقاطع قصيرة : ففى الشمال على الأقل ابتداء من « كفر عبيدة » حتى « بكفيّا » يتجنبون هذا التوالى فيقولون مثلاً : سَمْكى / sámkè - وضَربوا / ḍárbu . أما ما وراء « بكفيّا » وما يشمل المنطقة كلها إلى الجنوب ، فإنهم يحتفظون بهذا التوالى : سَمَكى / sámakè ، وضربوا / ḍárabu إلخ ... [1] . وربما رجح لدينا القول بأن بذوراً من السريانية أو الآرامية موجودة فى كلتا المنطقتين ، إذ إن النبر يظهر فيهما فى نفس الموقع ، ويبدو لنا أن المسألة هنا هى أولاً مسألة إيقاع موسيقى .

أما القواعد المقررة فى النحو الأوربى عن مكان نبر الكلمة ، فإنها لا ترتكز على تقليد قديم ، إذ يبدو أنها كانت مستوحاة من استعمال الأدباء المصريين ، استوحاها المستشرقان : كيرستين Kirsten و إربنيوس Erpenius فى بداية القرن السابع عشر . فمعرفتنا لنبر الكلمة فى العربية الفصحى هى إذن معرفة حديثة ، وعلى هذا لا يمكننا أن نناقش مشكلة النبر لتفسير أحداث صرفية إلا مع كثير من الحكمة والاحتياط . (رقم ٨ فى المذكرات) .

---

(١) يتعاظم التعارض أيضاً إذا ماأضيف اسم مثل : سَمَكى sámaké إلى ضمير المفرد الغائب مذكراً أو مؤنثاً ، فالقطاع الشمالى يقول : سمكتو sámǝkto ، سَمْكتا samke'ta ، والقطاع الجنوبى يقول : سَمَكتو samakto ، سمَكتاَ samakǝ'ta ، (أربعة مقاطع قصيرة) - وأربعة مقاطع قصيرة متوالية هى أقصى ما تبلغه تلك المنطقة اللهجية . وهذا هو نفس ما كانت عليه اللغة الفصحى (سيبويه جـ ٢ ص ٤٥٥ سطر ١٧ - ١٨) .

٥ ـ الـوقـف

عرف الوقف فى اللغات السامية ، فى العبرية ، وفى العربية الفصحى ، وهو فى العربية يطلق على معالجة الكلام بطريقة خاصة : فنجده فى الشعر معالجة للمقطع الأخير من البيت ، وفى النثر المزخرف (السجع) معالجة للمقطع الأخير من الجمل ، أو أجزاء الجمل المقفاة . وفى النثر يكون المقطع الأخير للجملة ، أو أجزاء الجمل ـ داخلها ـ ففى هذا المقطع الأخير يتوقف الصوت وهذا هو (الوقف) بالمصطلح العربى ، وهو ما يسمى لدى النحاة الأوربيين (La Pause) [انظر العرض فى كتابنا Traité § 36 - 39] .

وفى الشعر تختلط مسألة الوقف [انظر السابق § 37, a - d.] ، ولنقتصر هنا على ذكر القافية المقيدة : وهى القافية ذات الصامت الذى يغلق المقطع ، وينشأ عن تأثير الوسط اللغوى الذى كان يحيط بالشعراء ، فأما القافية المطلقة فهى قافية ذات مقطع مفتوح ، ومع تطويل لكل المصوتات القصيرة [١] ، وقد عرضنا حالة النثر القرآنى فى المرجع السابق [38 §] .

أما السجع بالمعنى الصحيح فقد كان يتبع قواعد النثر العادى ، قواعد اللغة الحية ، وهو نظام الإسكان . وفى هذا النظام يلغى الوقف جميع المصوتات القصيرة الأخيرة ، منونة كانت أو غير منونة ، ما عدا تنوين المنصوب الذى ينطق ألفاً [ā < -an] ، ومثال ذلك (ضَرَبَ) فى الوصل ، تصبح (ضَرَبْ) فى الوقف ، ويضرِبُ ، يَضرِبْ ، وللولدِ ، للولدْ ، وجعفرٌ ، جعفرْ ، ولولدٍ ، لولدْ .

---

(١) فى كتابنا (Traité p. 191, n.2) لم نكن نرى فى ذلك التطويل سوى زخرف من زخارف الشعر ، أما الآن فنحن مقتنعون بأنه أثر من آثار الوقف أساساً .

ولكن يقـال : رأيت ولداً عند الوقف على الجـملة الموصـولة (رأيت ولداً) ، وكذلك الأمر فى مثال التوكيد بأن المخففة (an-) [انـظر ص ١٧٣] ، يقـال فـى الوصـل يضـربَنْ ، وفى الوقف : يضـربـاً ، / والأداة (إذن) تصـبـح (إذا) (١) ، وقـد رأى النحـاة العـرب فى هذا الإسكان الأثر الأول للـوقف ، وهو أعم ظواهر الاستعمال ، قال ابن يعيش فى [شرح المفصل ص ١٢٦٩ سطر ٧] : « هو الأصل والأغلب والأكثر » .

لقـد وجد الوقف فى العربيـة فى النثر الأدبى ، ووجـد أيضـاً فى النثـر المنطـوق ، (أو الكلام المنثـور) ، وهذا المنطوق منبع الأدبى ، لأن الوقف لـم يكن له علامة فى النثر الأدبى إلا لأنه كان موجوداً فى الاستعمال .

ولم يكن الوقف فى العربية ظاهرة مفتعلة ، خاصة باللغة الجميلة ، أو نوعاً من التكلف (manierisme) ناشئاً عن معالجة تقديرية (casuistique) تتصل بمنهج النحاة العرب [ارجع إلى : J.H. Kramers, analecta ori- antalecta orientalia II leiden 1956, p.4] . وهاهى ذه اللهـجـة العربية المعاصرة ، اللبنانية تقول لنا هذا ، فلقد ذكرنا من قبل وجود الوقف فى ظاهرة التحول إلى مصوت مزدوج فى زحلة ، فـى مذكرتنا عن لهجة زحلـة العربية [MUSJ, t.XXVII, 1947, pp.85-86] ثم عـرضنا نظام الوقف الحى (المنطوق ـ Vivant) فى شحيم ، فى بحثنا عن الكلام العربى فى شحيم (بلبنان) [MUSJ, t.XXXVIII. 1962, pp.372-375] ، وفى

---

(١) قد يؤدى إلغاء المصوتات القصيرة فى آخر الكلمة إلى تكوين المجموعات الصامتية ، أو المقاطع فوق الطويلة (المديدة) Ultra longues ، واللغة تتقبله عادة ، على النقيض من سلوكها فى سياق الكلام .

وقد كان ذلك بوساطة النقل فى صيغة فَعْل ، وبالإتباع فى صيغتى : فِعْل وفُعْل ، تبعاً لتفرقة النحاة العرب ، فقد يتطور مصوت ، ويحل المجموعة الأخيرة ، كما فى غُصُنْ ، بدلاً من غُصْنْ . [انظر Traité, § 36 i-p] .

كفر صغاب ، فى المؤتمر الدولى الأول لعلم اللهجات العام (لوفان – بروكسل – أغسطس ١٩٦٠] وكان ذلك فى الجزء الثالث من [Communications et Rapports pp. 30-32- – لوفان ١٩٦٥] ، وفى بحثنا عن الكلام العربى فى كفر صغاب [BEOD, t.XVIII, 1963-64, pp.96-97] .

ومنذ ذلك الحين ذكر كثيرون وجود الوقف فى الكلام اللهجى العربى ، ومنهم : [M.Jiha, Der arabisch Dialekt von, Bišmizzin - p.120, § 3 – بيروت ١٩٦٤] وكذلك [H. Grotzfeld, Syrisch - Arabisch grammatik wiesbaden 1965, § 10] .

ولكن لماذا الوقف بالتحديد ؟ .. لقد سبق أن أثيرت هذه المسألة بصدد الحديث عن العربية الفصحى ، ولكنها لم تلق إجابة مقنعة شافية [Traité § 39 a - b] ، ومع ذلك إن أحد النحاة العرب ، وهو رضى الدين الأستراباذى كان قد سبق فقدم الحل ، ووصف الوقف بأنه (تحديد نهاية الخطاب) / تلك هى وظيفة الوقف ، [السابق .39 d §] . والواقع أن التغييرات التى تقع فى نهاية الجملة بسبب الوقف لها هذه القدرة على التحديد [1] فى السلسلة المنطوقة ، وفى الوحدة التى تكونها الجملة ، وهو يكمل صياغة فرديتها الشكلية ، وبذلك يصبح علامة خارجية مسموعة ، تدل على فرديتها الداخلية ، العقلية .

وفى رأينا أن الوقف – فضلاً عن هذا – قد لعب دوراً مهماً فى تطور اللغة العربية بعد انتشارها خارج الجزيرة العربية ، إثر الفتوح ، وقد كان الفاتحون من أهل البداوة يتكلمون – فى مجموعهم – عربية عادية تلتزم الإعراب ، أعنى : حين كان نظام مصوتات التغير ما يزال حياً ولكنهم هم الذين قدموا إلى المستعربين من خلال إسكان الوقف أشكال نهاية مبسطة للكلمات ، حازت

(١) بالمعنى الاشتقاقى لعبارة (رسم المعالم والحدود – marquer les bornes - les limites) .

على اختيـارهم ، وصارت موضع تفضيلهم ، وهكذا تعلم المستعربون ـ فى رأينا ـ من فاتحيهم من أهل البداوة ، عربية دون إعراب ، أو ما يقاربها ، ثم تكلم بها الفاتحون بعد ذلك ، وتلكم هى البداية الأولى للتيار اللهجى فى إمبراطورية الخلفـاء .

[انظر مثالنا عن : عربية فصحى ، وعربية لهجية ـ arabe classique , et arabe dialectal] ، وهو منشور فى [Travaux et jours , no 12, 1964, pp. 42 - 45] .

* * *

الباب الثانى
الصرف

بعد هذا العرض الذى كشف لنا عن المادة الصوتية المستخدمة اصطلاحاً فى اللغة العربية الفصحى ، كما كشف لنا عن مختلف الاتجاهات العامة التى تعمل على تعديلها ، ينبغى الآن أن نعالج البناء العام الذى يتم تنظيم اللغة طبقاً له . فهو نظام خاص جداً ، مغاير تماماً لما ألفناه فى اللغة الفرنسية .

ففى الفرنسية يكون تكوين المفردة ـ فى الجانب الأكبر من اللغة ـ على أساس (الإلصاق) : فتضاف سوابق أو لواحق إلى الجزء « الثابت » . ولنأخذ مثلاً الثابت (sabl) الذى نجده فى الكلمة sable = رمل ، إننا نستطيع بوساطة الإلحاق أن نكوّن منه الكلمات : [sabl-er, sabl-erie, sabl-eur, sabl-eux, sabl-ier, sabl-ière, sabl-on, sabl-onn-er, sabl-onn-eux, sabl-onn-ier, sabl-onn-ière] . كما نستطيع بالسوابق [1] أن نكوّن الكلمات : [en-sabl-er, en-sabl-ement, des-en-sabl-er, des-en-sabl-ement] [2] .

وهذه المفردات جميعها تكون ما يطلق عليه « أسرة الكلمة » ، إذ إن لها جميعاً « ثابتاً » مشتركاً . وهكذا يمكن أن نصادف فى الفرنسية عدداً مهماً من

---

(١) للكلمات التالية لواحق أيضاً، ولكنا نريد أن نلفت النظر إلى السوابق .

(٢) ينبغى أن نلاحظ بخاصة صياغة الكلمة الانفعالية بوساطة اللواحق : (ailler, ouiller , 'onner , oter , iner , etc ...) . وارجع إلى قائمة السوابق واللواحق فى « الفكر واللغة » للأستاذ برونو F. Brunot, pp. 72 - 74 ، مثلاً : [bafouiller : تلعثم ، و criailler : أكثر الصياح ، و crier : صاح ، و trottiner : هرول بخطى قصيرة ، و trotter : هرول ، و clignot-er : بالغ فى طرف العين ، و cligner : طرف العين ، chantonner : غنى بصوت منخفض ، و chanter : غنى] .

الأسرات ، متفاوتاً فى عدد أفراده ، ولكن يظل (الأساس) الثابت فيها كما هو . والتغير الوحيد الذى يمكن أن يحدث (والواقع أنه لا تغير مطلقاً) يكون غالباً بسبب الاشتقاق ، فيرجع بالكلمة إلى ثابتها فى صيغته اللاتينية ، فيقال مثلاً فى كلمة :] peur : peur-eux وفى chaleur-eux وفى valeur : valeur-eux [.

ولكن يقال فى كلمة :] vapeur : vapor-eux, vapor-iser وفى liqueur : liquor-eux وفى valeur : valor-iser [.

هذه المجموعات من أسرات الكلمات إنما تكشف عن (آلية) لغوية ، ولكن تبقى بالنسبة إلى الاستعمال العام تدريبات يضعها النحويون أو المدرسون ، لأن الثوابت المستنبطة ليست سوى وحدات نحوية قلما يكون لها واقع فى وعى الفرد المتكلم .

أما النظام العربى فهو على نقيض ذلك تماماً ؛ إنه يستخدم جذراً – racine ، لا جزءاً ثابتاً radicale ، والجذر مكوّن من صوامت (صوامت فحسب) ، تتصل بمجموعها فكرة عامة أقل أو أكثر تحديداً ، ويتم تحويل هذه الفكرة إلى الواقع فى كلمات مستقلة بوساطة المصوتات التى توضع فى داخل الأصل . فالمصوتات إذن هى التى تعطى « صيغة » الكلمات فى هذا النوع من المادة المبهمة ، أى : فى نطاق تلك الفكرة العامة التى يعبر عنها الجذر .

والجذر ليس سابق الوجود ، ولا يوجد بذاته ، إنه جزء من الكلمات المختلف بعضها عن بعض ، وإنما ينكشف وجوده بوساطة التحليل ، وهو فى هذا يشبه « الثابت » ، ولكن هذا الثابت ليس سوى « وحدة » نحوية ، أما « الجذر » فهو ذو واقع لغوى حقيقى مكوّن من : دالّ : هو مجموعة صوامت معينة ، ومدلول : هو الفكرة العامة المرتبطة بهذه المجموعة من الصوامت [1] .

---

(١) انظر الخاتمة.

وفضلاً عن ذلك إن المتكلم على وعى بهذا الواقع اللغوى ، وإن كان وعيه غير قائم على تفكير .

وفى العربية عدد قليل من الجذور ذوات الصامتين ، أى : الثنائية ، وهى مقتصرة على سبع وثلاثين كلمة هى فى ذاتها جذورها ، وذلك نحو : « يد » ، هذه الكلمات ترجع إلى أصل لغوى سحيق ، وهى تسهم فى إثارة مشكلة الحالة الثنائية البدائية ، (رقم ٣ فى المذكرات) .

وهناك عدد كبير من الجذور ذوات الصوامت الأربعة ، أى الرباعية ، وهى مسجلة فى المعاجم ، ولكن بعض الإحصاءات التى أجريت على النص القرآنى كشفت عن وجود خمسة عشر جذراً رباعياً فحسب ، فى مقابل (١١٦٠) جذراً ثابتاً [١] ، وهى نسبة جد ضعيفة فى نص يعتبر أساسياً فى رصيد اللغة ، فهذا يدل إما على قلة استعمال هذه الجذور الرباعية ، وإما على أن لها مصدراً آخر غير النصوص (وربما صدق ذلك أيضاً على الثنائى) . والواقع أن بعض علماء المعاجم العرب ، كالأزهرى مثلاً ، قد جمعوا الثروة اللغوية مباشرة من الوسط البدوى ، فالجذور الرباعية قد يكون مصدر جانب منها التوسع فى أصل ثلاثى ، على ما هو مبين فيما بعد (ص ١٩٧) ، وإن ظلت هذه الجذور من حيث الاشتقاق منتجة بقدر غير كبير .

والجانب الأكبر من المفردة العربية يأتى من جذر ذى ثلاثة صوامت : الجذر الثلاثى ، ويبقى هذا الجذر أساس هذه المفردة ، ولسوف نسوق مثالاً على نوع الاشتقاق ابتداء من الأصل ، فلعل ذلك يفهمنا بوضوح ما سبق أن سقناه من حقائق مجردة .

وليكن ما نختاره هو الأصل (ك ت ب) ، الذى يدل على « الكتابة » من حيث هى فكرة عامة ، ومنه يشتق « كَتَبَ » ، و « كُتِبَ » ، و « كتّب » ،

(١) انظر : GLECS, VI, p. 71 .

و « كَاتَبَ » ، و « كُوتِبَ » ، و « كِتَابٌ » ، و « كَاتِبٌ » ، و « كُتُبٌ » ، ـ و « كُتَّابٌ » [1] .

الآن نفهم الفرق الكلى بين هذا النظام الاشتقاقى ونظام اللغة الفرنسية ، فنحن نستخدم فى الفرنسية جزءاً ثابتاً لا يتغير ، وهو فى الواقع مكوّن من صوامت ، ومصوتات متداخلة فى هذه الصوامت ، بحيث يصاغ من العنصرين كلٌ لا يقبل التجزئة . ولكى نكون الكلمات نضيف إلى هذه الأجزاء الثابتة زوائد ، سواء فى صدرها ، وهى السوابق ، أم فى عجزها ، وهى اللواحق . أما اللغة العربية فإنها تبدأ من الجذر ، وهو الهيكل الصامتى الذى يشكل بنْيَات مختلفة بإدخال المصوتات ، ففى الكلمات التى ذكرناها جميعاً نجد جذراً واحداً هو : (ك ت ب) متضمناً ذلك المعنى العام « الكتابة » ، والواقع أن هذه الكلمات المشتقة لا يختلف بعضها عن بعض فى حقيقة الأمر ، وإنما تأخذ معانيها المحددة بوساطة المصوتات المقحمة داخل « الجذر » :

كَتَبَ a - a (فتحتان قصيرتان) فى katab (a)

كَاتَبَ ā - a (فتحة طويلة + فتحة قصيرة) فى kātab (a)

كُتِبَ u - i (ضمة وكسرة قصيرتان) فى kutib (a)

كُوتِبَ ū - i (ضمة طويلة + كسرة قصيرة) فى kūtib (a)

كَتْب a (فتحة قصيرة) فى katb

كِتَاب i - ā (كسرة قصيرة + فتحة طويلة) فى kitāb

كَاتِب ā - i (فتحة طويلة + كسرة قصيرة) فى kātib

كُتُب u - u (ضمتان قصيرتان) فى kutub

---

(١) سوف نحدد فيما بعد (ص ١٨٢) وما بعدها كيف ينبغى فى رأينا تقسيم الفعل العربى وتلقيبه .

فإدخال المصوتات داخل الجذر الاشتقاقى طريقة أساسية من خصائص العربية ، ولكنا إذا تأملنا المصوتات التى دخلت فى الأمثلة المذكورة لاحظنا أن المسألة ليست متعلقة بطوابع المصوتات فحسب ، بل بمدتها ـ طويلة أو قصيرة ، فالأمثلة : كَتَبَ katab (a) ، وكَاتَبَ kātab (ā) ـ كُتِبَ kutib (a) ، وكُوتِبَ kūtib (a) ـ لا يختلف بعضها عن بعض إلا بطول مصوت الصامت الأول من الجذر ، والمثالان : كِتَاب kitāb وكَاتِب kātib يختلفان فى طول المصوت (ā) ، ومكانه بالنسبة إلى المصوت (i) .

وهكذا نرى الأهمية الأساسية للمصوتات فى العربية ، إذ إن لها دوراً بنائياً ، أما فى الفرنسية فلا معنى للمصوتات الطويلة ، إذ نشعر بفرق ضئيل فى المدة بين الفتحتين فى الكلمتين (patte و pâte) (مصوت â ذو مدة متوسطة) ، كما أن بينهما فرقاً فى طابع المصوت أيضاً ، فـ (a) فى patte غيرها فى pâte ، ولكن حالات كهذه لا تكفى للتدليل على ميزة طبيعية لهذا النطق الخاص بالمصوتات الطويلة [١] . ولذا يجب أن نكون حذرين فى هذه النقطة ، وإلا عجزنا عن الفهم ، أو ضحكنا من أنفسنا : فكلمة (gamāl ـ جمل) تعنى حيواناً ، ولكن (gamal ـ جمال) تعنى وصفاً شريفاً [٢] .

رأينا أن كلمة « كُتَّاب » هى جمع « كاتب » ، والصوت الثانى فى الجذر وهو التاء مضعف ، وقد جرت الكتابة العربية على أن تستخدم فى هذا الصدد علامة « التشديد » ، بخلاف التسجيل بالرموز الصوتية ، حيث نكتب الصوت المضعف مرتين متواليتين . والواقع أن التضعيف يمثل فى الذوق اللغوى العربى

---

(١) لدراسة المدى الذى يجعل من المصوتات القصيرة فى الفرنسية مصوتات ذات مدة متوسطة (أى ليست طويلة بالمعنى الصحيح) . انظر Le systèm de la qualité vocalique فى كتاب Phonétique historique du français ، للأستاذ فوشيه P. Fouché ، Introduction باريس ١٩٥٢ ، pp. 88-89 .

(٢) أى ليس الفارق بينهما سوى طول المدة فى المصوت الثانى ، وشتان ما بين معنييهما . (المعرّب) .

عملية النطق بالصوت الصامت مرتين متواليتين تمثيلاً جيداً ، دون انفصال فى استمرار النطق .

والواقع من ناحية أخرى أن تأثير الصياغات الصرفية قد يؤدى إلى فصل الصوتين إلى فونيمين متميزين ، ولنأخذ على ذلك مثالاً ، كلمة : تُفّاح (اسم جماعة) ، (وهى فى ظاهرها بزنة « كُتّاب » ذاتها) فجمعها المكسر (تفَافِيح) .

وينبغى أن تراعى الدقة فى النطق بالتضعيف ، فالنطق بكلمة (كُتّاب) : بصورة (كُتَاب) لا يكون مفهوماً ، لأن هذه الكلمة لا معنى لها ، وهى بعامة لا وجود لها . وهناك كلمات لا يفرق بينها سوى التضعيف وحده ، ومن ذلك الصيغة الأولى والثانية للفعل : (قَتَلَ وقَتَّلَ ، وكَذَبَ وكَذَّبَ ، وكَشَفَ وكَشَّفَ) ، وبذلك يظهر لنا أن للتضعيف دوراً بنائياً فى اللغة العربية .

أما الفرنسى فإنه يخضع لعاداته اللغوية عندما يصادف كلمات ذات تضعيف ، فهو يكتب الصوت المضعف هكذا : Dictionnaire, grammaire ، ولكنه لا ينطقه [1] ، على حين أن العربى إذا فاتته ملاحظة التضعيف لا يعد نطقه غير دقيق فحسب ، بل يكون غير مفهوم أيضاً .

وخلاصة القول أن الطرق الأساسية فى اللغة العربية هى : أن يؤخذ من الجذر المكوّن من أصوات صامتة فحسب ، كلمات متميزة بإضافة المصوتات داخل هذا الجذر ، وإضافة هذه المصوتات ليست اعتبارية ، وإنما هى مقيدة

---

(١) يأتى فى داخل الجملة أحياناً عدد من المضعفات ينشأ عن تمثل الصامت الأخير فى كلمة مع الصامت الأول فى أخرى تالية لها ، كما فى : un bec crochu - ça ne coup(e) pas ، ومع ذلك إن الفرنسية ليست لغة ذات تضعيف ، فليس فى داخل كلماتها مضعف ، ما خلا ظروفاً خاصة .

بطابع المصوت وكميته ، وتضعيف الصامت الثانى أو الثالث من الأصل يعتبر إضافة لعنصر آخر أساسى إلى إمكانات هذه التغيرات الداخلية . ويطلق على هذا النظام : « نظام تعاقب المصوتات » ، أو « نظام التحول الداخلى » . ويبدو لنا أن التسمية الأخيرة أفضل ، لأن الأولى تقتصر على أثر المصوتات ، أما الثانية فتسمح بإدخال التضعيف ضمن مجموع التغييرات الداخلية ، وفضلاً عن ذلك فإنها تحدد وصف هذه التغييرات بأنها « داخلية » .

لقد أفضنا فى الحديث عن هذا التحول الداخلى ، فهل معنى ذلك أن اللغة العربية تجهل نظام السوابق واللواحق ؟ ... كلا ... فإن لديها عدداً قليلاً من كلا النوعين ، وهذا الإلصاق يمنحها وسائل ثراء ذات بال ، ولكنها خاضعة لتأثير التغير الداخلى . ولسوف نعالج موضوع « الإلصاق » فى مكانه .

هذا الذى قدمنا من الحقائق كان الغرض منه أن نشير بعامة إلى طرق الاشتقاق فى العربية ، مع بعض أمثلة تمثل هذا العرض المجرد ، ولكن من الواجب أن ندرس الآن فى كثير من التفصيل طريقة حدوثه .

ولتقريب آثار هذا التحول الداخلى فى كلمة ما إلى الأذهان ، فى سرعة وبساطة ، يؤتى بجذر من الجذور اللغوية ـ كيفما اتفق ـ والهدف منه تحقيق الصوامت الثلاثة فى الجذر الثلاثى ، بطريقة مجردة ، كما هى فى أصل وضعها اللغوى . وقد اختار النحاة العرب الجذر (ف ع ل) (الذى يأتى منه الفعل : فَعَلَ) . أما اللغويون الأوربيون فيختارون بدلاً منه غالباً الجذر (ق ت ل) (الذى يأتى منه الفعل : قَتَلَ) ، والغرض من ذلك تحاشى صعوبة النطق بالعين ، كما يتفادون بذلك احتمال التشابه فى التسجيل [1] : فالفاء أو القاف تحدد الصامت الأول من الجذر الثلاثى ، والعين أو التاء تحدد الصامت الثانى ، واللام تحدد الثالث . ونحن نستخدم هنا الجذر (ق ت ل) .

(١) يريد تشابه صورة العين (ʿ) بصورة الهمزة (ʾ) . ويلاحظ القارىء أننا تبعنا فى التعريب اختيار النحاة العرب . (المعرّب) .

وبعد أن يؤتى بهذا الجذر المتفق عليه يضاف إليه ما تتميز به صيغة الكلمة المصوغة ، وبذلك يتحصل لدينا مثالها الأصلى الذى ترجع إليه ، أى : صورتها [1] وهو ما أطلق عليه العرب فى مصطلحاتهم كلمات : « وزن » أو « صيغة » أو « بناء » .

فكلمة « كُتَّاب » التى سبقت بزنة « فُعَّال » ، وكلمة « كَاتب » بزنة « فَاعِل » وهكذا . وهى طريقة سهلة ، سوف نستخدمها ـ منهجاً تعليمياً ـ لتقديم الأمثلة الأصلية التى تجرى عليها صياغة الكلمة العربية .

ومن هذا المنبع السهل : منبع التحول الداخلى ، استمدت العربية الفصحى من جذورها الثلاثية ثروة هائلة من المفردات ، مع أنها لم تحاول أن تفيد من جميع التشكيلات الممكنة فى تقابل المصوتات ، وهذا واضح فى الصياغة الاسمية التى سوف نعالجها ابتداءً ، وقد نتج من هذا التحول الداخلى أن نمت الكلمات العربية فى مجموعات ، سوف نبدأ فى علاجها بالأسهل ، ثم نتابع تقدمنا تبعاً لكثرة العناصر الداخلة على الأصل الاشتقاقى .

* * *

(١) يستخدم بعض اللغويين هنا كلمة : « schéme » (ومعناها النموذج أو الصورة المبسطة) ولقد استخدمنا هنا – فيما عدا أحوالاً نادرة – كلمة (forme) ، وهى التى جرى على استخدامها النحو العربى ، وهى أيضاً أكثر إلفاً . ولقد نستخدم اتفاقاً كلمة : « وزن » التى استخدمها العرب ، ولها ولاشك فائدة ، هى خلوها مما يتوارد فى الفرنسية على كلمات مثل : « forme » أو « schéme » .

أوليات فى الصرف الاسمى

أ ـ « الإعراب »

ينبغى ضرورة أن يشار فى نطاق الجملة إلى علاقات الكلمات بعضها ببعض ، وبعبارة أخرى : إلى وظائفها . فالفرنسية تحدد وظيفة الأسماء بموقعها فى الجملة ، أو بأن تزودها بأداة من الأدوات ، وهذا التحديد يبقى دائماً خارج الأسماء ، ولنأخذ مثلاً الجملة : « Le loup a mangé l'agneau » (الذئب أكل الحمل) ـ فكلمة « Le loup » مسند إليه كما نعلم ، لأنها تسبق الفعل ، وكلمة « l'agneau » مفعول به مباشر لأنها جاءت بعد الفعل . ويكفى أن نقلب المواقع حتى يعكس المعنى أيضاً : « l'agneau a mangé le loup » (الحمل أكل الذئب) . هذا التغير إذن هو الذى يبرز القيمة المحددة لموقع الأسماء بالنسبة إلى وظائفها : مسنداً إليه ومفعولاً مباشراً . ولو أننا أردنا أن نحدد أى حمل هو ؟ ... لأمكننا أن نقول : «l'agneau du berger» حمل الراعى » ، فكلمة : berger ـ أصبحت مفعولاً به معرفاً باستعمال الأداة : de (du=de le) .

وهناك لغات تشير إلى وظائف الأسماء فى الجملة بإضافة لاحقة ـ تتغير تبعاً لهذه الوظائف (وقد يشمل ذلك إشارات إلى النوع والعدد وغير ذلك) .

هذه اللاحقة لا تقبل الانفصال عن الاسم الذى يستشعر الذهن فيه وحدة قائمة بذاتها ، فتحديد وظائف الاسم قد أصبح متصلاً بالاسم ، وذلك ما يطلق عليه Déclinaison أو « الإعراب » ، والذين درسوا اللاتينية يعرفون فيها خمسة أوجه إعرابية فى ست حالات ، كما نجد بين اللغات الأوربية الحية أن

الألمانية واللغات السلافية تتصف بالإعراب . والعربية الأدبية الفصحى هى كذلك لغة ذات إعراب ، وفى ضوء هذه العلاقة سوف ندرس : المفرد والمثنى والجمع .

١ـ « المفرد »

للاسم المفرد فى العربية إعرابان : الأول فى ثلاث حالات ، وهو قديم ، موروث ، والثانى فى حالتين ، وهو خاص بالعربية [١] ، ومما يلاحظ أن الإعراب لا ينفصل عن تعبير التعريف والتنكير .

الإعراب الأول :

وحالاته الثلاث هى : الرفع والجر والنصب [٢]

فالرفع : حين يكون الاسم مسنداً إليه (فاعلاً أو مبتدأ) ، أو مسنداً (خبراً) ، ولاحقته : (u) (الضمة فقط) حين يكون معرفة ، و (un) (الضمة + التنوين) حين يكون نكرة .

والجر : حين يكون الاسم مفعولاً به مخصصاً أو معرفاً (أى : محدداً determinatif) ، وعلامته (i) (الكسرة فقط) حين يكون معرفة ، و (in) (الكسرة + التنوين) حين يكون نكرة .

والنصب : وهو حالة المفعول به المباشر ، ولاحقته (a) الفتحة فقط ، حين يكون معرفة ، و (an) (الفتحة + التنوين) حين يكون نكرة .

ومثال هذا الإعراب الأول :

---

(١) يطلق غالباً على كلمات الإعراب الأول Triptôte : أى : ذات أوجه إعرابية ثلاثة ، ويطلق على كلمات الإعراب الثانىDiptôte : أى : ذات وجهين إعرابيين .

(٢) هذه التسميات (يقصد ما يقابلها فى الفرنسية : (nominatif, génitif, accusatif) مأخوذة عن النحو اللاتينى، وهى معروفة وسهلة ، ولكنا بداهة لا ندخل هنا النحو اللاتينى ولا مفاهيمه .

فى الرفع : الرجلُ ar-rağulu (معرفة) ، ورجلٌ rağulun (نكرة) .

وفى الجر : الرجلِ ar-rağuli (معرفة) ، ورجلٍ rağulin (نكرة) .

وفى النصب : الرجلَ ar-rağula (معرفة) ، ورجلاً rağu-lan (نكرة) .

هذا التمثيل يسمح بتحديد المراد من مصطلح « المعرفة والنكرة » : فاللواحق : (an, in, un) تستتبع بذاتها التنكير ، واللواحق (a, i, u) تضاف إلى الاسم المعرفة : سواء أكان معرفاً بالأداة كما فى المثال ، أم بدونها ، بأن كان مفعولاً محدداً (بالإضافة) ، كما فى قولنا : (رأسُ الرجلِ) أو (رأسُ رجلٍ) . (رقم ٨ فى المذكرات) .

الإعراب الثانى :

وهو يجعل الرفع فى مقابل الحالتين الأخريين ، فلاحقة الضمة (u) للمسند والمسند إليه ، ولاحقة الفتحة (a) مشتركة بين حالتى النصب والجر .

أ ـ فعندما يلحق هذا الإعراب الأسماء الأعلام : الأعلام الأجنبية (الأعجمية) ، وجانباً من الأعلام العربية ، يكون إعراب معرفة ، ذلك أن العلم هو المعرفة بمعناها الحق ، وهو فى هذه الحالة لا تتصل به أداة ، لأنه معرفة بذاته ، واللاحقتان :الضمة (u) والفتحة (a) هما لاحقتا اسم معرف بطريقة أخرى [1] . مثال ذلك :

---

(١) أى طالما ظلّت أعلاماً ، فإن هذه الأعلام الأعجمية تحتفظ بهذا الإعراب الثانى، فإذا ما عمم هذا العلم بأن أصبح اسماً مشتركاً فإنه يرجع طبيعياً إلى الإعراب الأول ، فيقال مثلاً افتراضاً : « ربَّ بيروتٍ رأيتها » ، أى فى أسفارى .

فى الرفع : بيروتُ bayrutu ـ عمرُ umaru'

وفى النصب والجرّ : بيروتَ bayruta ـ من بيروتَ ، عمرَ umara '
ـ من عمرِ .

ب ـ وعندما يلحق الأسماء المشتركة أو (الصفات) ، فهو إعراب للنكرة ، وهذه ملاحظة صادقة تمام الصدق ، حتى إنه عندما تصبح هذه الأسماء (أو الصفات) معرفة ، سواء بالأداة ، أم بالإضافة ، أى : بمفعول به معرف ، فإنها تهجر هذا الإعراب ، لتتبع الإعراب الأول ، من الحالة الأولى إلى الثالثة . فلاحقتا : الضمة (u) والفتحة (a) تستتبعان إذن بذاتهما التنكير ، ومثال ذلك :

حالة الرفع :

صحراءُ (saḥrā'u) نكرة مرفوعة ، ولكن المعرفة : الصحراءُ -aṣ)
ṣaḥrā'u) .

حالتا الجروالنصب :

صحراءَ (ṣaḥrā'a) نكرة مجرورة ، ولكن المعرفة : الصحراء -as)
ṣaḥrā'i) .

صحراءَ (ṣaḥrā'a) نكرة منصوبة ، ولكن المعرفة : الصحراءَ -aṣ)
ṣaḥrā'a) .

ملاحظات :

أولاً : الأعلام العربية التى لا تتبع هذا الإعراب الثانى ، تدخل فى الإعراب الأول ، فبعضها تتصل به الأداة مثل « الحارث » ، والآخر تتصل به لواحق التنكير وهى : الضمة (un) ، والكسرة (in) ، والفتحة (an) ، مثل :

(جعفرٌ ومحمّد) ، وهذه اللواحق تتنافى مع كون الاسم علماً ، حيث ينشأ عن ذلك قضية عسيرة فى الصرف العربى هى : كيف نقرر أن علماً من الأعلام الخاصة ، معرفاً على أتم وجوه التعريف ، تتصل به لاحقة هى من علامات التنكير ؟ ... وهذا يحتاج إلى تفسير آخر .

ثانياً : يوجد فى كلا الإعرابين أعلام ، وأسماء مشتركة ، وصفات ، فأما الأسماء المشتركة والصفات فإن أمرها يتوقف على الصيغ : إذ يشمل الإعراب الثانى بعض صيغ جمع التكسير ، وبعض الصيغ التى يتدخل فيها اعتبار السوابق واللواحق ، كما يشمل فضلاً عن ذلك بضعة أسماء فرادى (انظر قواعد النحو) . وهذا الإعراب أقل شيوعاً من الأول ـ أما بالنسبة إلى الأعلام ، فإن الأسماء الأعجمية لا تشتمل على صعوبة ما ، إذ ينطبق عليها الإعراب الثانى (فيما عدا بعض المستثنيات النادرة) ، ولكن فيما يتعلق بالأسماء العربية التى تتقاسم بين الإعرابين فإن الأمر معقد ، بحيث ينبغى أن تحفظ الأعلام عن ظهر قلب .

ويبقى أن نشير إلى أن الإعراب فى ذاته ليس عنصراً يميّز بين الأعلام والأسماء المشتركة والصفات (بصرف النظر عن الأعلام الأعجمية) .

ثالثاً : هنالك بعض الأحداث الصوتية التى ينتج منها ما يشبه التصريف الخاص ، للأسماء والمشتقات ، والصفات التى يكون الصامت الثالث فى جذرها معتلاً بالواو أو بالياء ، ومثال ذلك فى حالتى الرفع والجر : قاضٍ qāḍin ، القاضى al-qāḍī ، وفى حالة النصب :قاضياً qāḍiy-an ، القاضى -al qāḍiya ، (الأصل : ق ض ى) ، ونحن وإن كنا قد ذكرناه هنا فى يسر ، فإن القارىء مرجو أن يرجع إلى كتابنا : (دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣) .

رابعاً : هناك كلمات من هذه الجذور ذاتها ـ المعتلة بالواو أو الياء ، تلزم

حالة واحدة فى نهايتها : فتحة طويلة (ā) دائماً ، وتتغير هذه الفتحة الطويلة إلى : فتحة قصيرة + تنوين (an) فى التنكير . ومثال ذلك : الهدى al-hudā (وهدىً hudan) ، والمعنى al-ma'nā (معنىً ma'nan) ، وهذا يحدث على وجه التحديد عندما تكون هذه الفتحة الطويلة نتيجة تطور الأصل الثالث الضعيف ، وهو هنا الجذر : هـ د ى – فى المثال الأول ، والجذر : ع ن ى – فى المثال الثانى ، ولكنه لا يحدث حين يكون المصوت الطويل لاحقة (هى ألف التأنيث المقصورة) . هذه الأحوال كلها لا إعراب فيها ، وقد قدمنا تفسيراً صوتياً لهذه النهاية فى كتابنا : (دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٥٣) .

أما الضمة (u) الأخيرة التى لا تتغير فى أواخر بعض الظروف مثل (قبلُ ، من قبلُ) ، و (فوقُ وإلى فوقُ) ، فليس يفسرها سوى تاريخ اللغة القديم ، إذ هى بقية حالة ظرفية تكميلية فى السامية المشتركة ، وقد احتفظت هذه الحالة بحيويتها فى اللغة الأكّدية .

٢- الجمع الخارجى والمثنى

ينبغى أن نميز بين نوعين من الجموع : الجمع الخارجى ، والجمع الداخلى . فالجمع الخارجى يصاغ بإضافة لواحق وقفنا لعلاجها هذا المبحث .

ولكل من الجمع الخارجى والمثنى حالتان إعرابيتان : حالة الرفع ، فى مقابل حالتى النصب والجر ، ولهاتين الحالتين لاحقتان :

المذكر : الجمع المرفوع : ونَ (ūna) (ū + na) ، والمثنى المرفوع : آنِ (āni) : (ā + na>ni) .

الجمع المنصوب والمجرور : ين (īna) (ī + na) ، والمثنى المنصوب والمجرور : أينِ (ayni) (ay + na>ni) .

المؤنث : الجمع المرفوع : آت (ātun, ātu) ، والمثنى المرفوع : آن (āni) .

المنصوب والمجرور : آت (ātin, āti) ، والمثنى المنصوب والمجرور : ايْنِ (ayni) .

ولنأخذ على ذلك أمثلة من الكلمات : **فكلمة « مؤمن » و« مؤمنة »** :

المذكر :

الجمع المرفوع :	المؤمنونَ
المنصوب والمجرور :	المؤمنينَ
المثنى المرفوع :	المؤمنانِ
المنصوب والمجرور :	المؤمنينِ

المؤنث :

الجمع المرفوع :	المؤمناتُ
المنصوب والمجرور :	المؤمناتِ
المثنى المرفوع :	المؤمنتانِ
المنصوب والمجرور :	المؤمنتينِ

ملاحظات :

أولاً : في مثنى المذكر وجمعه نجد أن اللواحق مركبة كما هو مبين ، و(نَ) (na) هي أيضاً قابلة للانفصال ، فعندما يضاف الاسم إلى مفعول به

محدد لا تتدخل (na) ، وبذلك تأخذ اللواحق صورتها القديمة ، ففى الجمع : ضمة طويلة (ū) ، وكسرة طويلة (ī) ، وفى المثنى : فتحة طويلة (ā) ، ومصوت مزدوج (ay) ، و(هذا الاسم لا تلحقه أداة التعريف) . وذلك مثل : (مؤمنو لبنان) . وهذه هى الحالة الوحدة التى يكون فيها للواحق الجمع والمثنى دور التعريف أو التنكير .

أما فى المثنى فقد تحولت (na) إلى (ni) بتأثير المخالفة (انظر ص ٦٣ ـ ٦٤) ، وقد تدخلت هذه الظاهرة نفسها بالنسبة إلى جمع المؤنث فأحالت علامة المنصوب (ātan) إلى (ātin) ليماثل المجرور .

لكن لواحق جمع المؤنث هذه ليست قليلة الأهمية فى التعريف أو التنكير ، كلواحق جمع المذكر والمثنى ، فالأسماء والصفات التى تتصل بها لواحق جمع المؤنث تسلك مع هذه العلاقة مسلك الأسماء أو الصفات المفردة فى الإعراب الأول ، مع فارق هو : تحوّل نهاياتها من (ātan-āta) إلى (ātin-āti) .

ثانياً : فى مثنى المؤنث تضاف لواحق التثنية كما هى إلى اللاحقة الدالة على التأنيث ، (إذ إن هذه اللواحق لا تدل على النوع) ، ففى « مؤمنة » نجد لاحقة التأنيث هى (التاء ـ at) ، وفى « صحراء » نجدها (آء ـ 'a'u) (١) ومثناها : صحراوان (ṣaḥrāw-āni) ، وفى « أُنثَى » نجدها (ا ـ ā) (٢) ومثناها : « أنثى ـ انَ » ('unṯay-āni) .

ثالثاً : هذه اللواحق : (ū-ūna) فى جمع المذكر ، و (ā-āni) فى

(١) هى ألف التأنيث الممدودة . (المعرّب) .
(٢) هى ألف التأنيث المقصورة . (المعرّب) .

المثنى ـ سوف نجدها بهذه المعانى ذاتها فى تصريف الأفعال ، وفى الضمائر [1].

ب ـ « الجمع الداخلى »

كان حديثنا عن الإعراب طريقاً إلى عرض وسائل التعبير عن المفرد ، والجمع (الجمع الخارجى) ، والمثنى . هذه المعانى لا تنفك فى الواقع عن معنى لواحق الإعراب ذاتها ، تلك اللواحق ذات الصلة بالتعريف والتنكير أيضاً .

أما الجموع الداخلية ـ جموع التكسير ـ فإنها تخرجنا من نطاق هذه الخصائص المتصلة بلواحق الإعراب . فهذه الجموع المكسرة ليست جمعاً لمفرد ، شأن الجمع الخارجى [2] ، وإنما هى تسلك مسلك كلمة أخرى بالنسبة إلى المفرد ، وهى فى حالات إعرابها مشابهة لسائر الأسماء المفردة، سواء فى ذلك أسماء الإعراب الأول أو الثانى ، بحسب الصيغ .

وقد حدثت هذه الجموع المكسرة ، لا بوساطة الإلحاق ، ولكن بتأثير التحول الداخلى ، الذى تكاثرت أشكاله هنا بصورة مدهشة ، وسجل رايت فى (الجزء الأول صفحات ١٩٩ وما بعدها) ثمانياً وعشرين صيغة لهذه الجموع ، فضلاً عن خمسة جموع أخرى خاصة ، لما يطلق عليه لدينا بطريقة غير دقيقة ، ولكنها مناسبة : (جموع الرباعى) ، فيتحصل لدينا ثلاث وثلاثون صيغة .

---

(١) الجمع الخارجى هو الجمع الخاص بالمشتقات (اسم الفاعل ، والمفعول) ، وبالصيغ فَعّال (اسم فاعل للمبالغة ،واسم حرفة) ، وفَعِل (صفة) ، وبالصفات ذات النسبة (اللاحقة ىّ ـ iyy ـ) . (ونجده أيضاً فى بعض الحالات الأخرى ، انظر : رأيت جـ ١ ص ١٩٥) . وبالنسبة إلى الاستعمالات الأخرى لجمع المؤنث الخارجى انظر نفس المرجع ص ١٩٧ . ومع ذلك إن الجمع الخارجى يظل مقيد الاستعمال ، وتفضل اللغة عليه فى الأسماء الصِفاتِ الجمع الداخلىّ الذى سيكون موضوع الحديث .

(٢) لا يمكن أن نرى علاقة مباشرة بين المفرد والجمع إلا فيما يتصل بالمفرد بزنة (فِعْلَة و فُعْلَة) ، (وفى النادر فَعْلَة) حيث يصير الجمع (فِعَل وفُعَل) ، مثل : قِطْعَة وقِطَع ، وصورة وصور .

هذه الجموع ليست من الصعوبات الدقيقة في اللغة العربية ، ومن أمثلتها : « كَلْب » الذى يجمع على « كلاب وأَكْلُب » ، ثم على « أكالب » ، و « جَمَل » الذي يجمع على « جِمَال ، وأجمال » ، و « رَغِيف » الذى يجمع على « رغف ، ورغف ، ورُغْفَان ، وأرغفة » ، و « مدرسة » التى تجمع على « مدارس » ، و « تلميذ » الذى يجمع على « تلاميذ ، وتلامذة » ، ومن السهل أن نميزَ في هذه الأمثلة الجموع التى تتبع الإعراب الثانى ، وهو أمر ذو استقلال كامل عن المفرد .

وتفرق العربية فى الجمع بين قلة العدد وكثرته ، وقد جعلت للعدد القليل ، وهو ما كان من ٣ ـ ١٠ ، صيغَ : (أَفْعُل وأَفْعَال وأَفْعِلَة وفِعْلَة) ، وجعلت للعدد الكثير وهو ما كان من (١١) إلى ما فوق : مَا تبقَّى من الصيغ .

وفى رأينا أن الصيغ الثلاث الأولى ـ وهى الأكثر استعمالاً ـ ربما أمكن تفسيرها بوساطة السابقة ('a) أو (الهمزة) ملصقة بجمع مكسر : فـ / ءَ + فعل ، أفْعُل ، و ءَ + فعَال ، أفْعَال ، وءَ + فعل ، أفْعِل ، أفْعِلــــة (at) ، وبذلك تكون السابقة (ءَ – 'a) طريقة للدلالةَ على تقْلِيل فيَ العدد [1] ، أى على قلة العدد .

والجموع المكسرة هي ثمرة التحول الداخلى ، ولكنها لم تكن فى جميع تفصيلاتها جموعاً : بل تأتى من طريق (أسماء الجماعة) (collectifs) ، التى أصبحت جموعاً ، وأسماء الجماعة هذه ذات صلة بالأسماء المجردة ، أسماء المعنى ، أى : المصدر وغيره . ولعلّ ذلك يتطلب منا علاجاً خاصاً لا نجد له مكاناً هنا .

---

(١) انظر فيما بعد (صفحة ١٢٥ وما بعدها) الصلة بين التصغير والتكبير : فـ (ءَ ـ 'a) أداة تكبير في صيغة أفْعَل التفضيل ، ومن الممكن أن تعبّر عما له ارتباط بغيره ، وهو التصغير . ولكن لما كان الحديث متصلاً هنا بالعدد فإن من اللائق بلا شك أن نستعمل كلمة (التقليل) في مقابل (التكثير) الذي يتجلي في جموع الجمع .

ج - اسم الجماعة

استطاعت جموع التكسير أن تلقى ظلالاً من الشك حول أهمية أسماء الجماعة فى العربية الفصحى . والواقع أن اسم الجماعة فى هذه اللغة يعتبر فصيلة نحوية ينبغى معالجة فهمها .

فأسماء الجماعة ليست جموعاً ؛ إذ إن الجموع : « تعين تعدداً فى الكائنات أو فى الأشياء المتمايزة » ، ولكن أسماء الجماعة على العكس من ذلك : « قَدْر أو اندماج بين أشياء كثيرة ، دون اعتبار للوحدات المكوّنة [(١)] » . فاسم الجماعة هو الكتلة التى تتلاشى فيها فردية أجزائها ، هو تلك الكتلة التى نتصورها وتؤلف - من حيث هى وحدة - نوعاً من المفرد . واسم الجماعة على هذا الاعتبار لا يمكن أن يكون متعدداً ، اللهم إلا إذا قصدت به الإشارة إلى تعدد الوحدة الممثلة بوساطة اجتماع أفرادها .

ففى الفرنسية نجد أن كلمة confrérie (زمالة) اسم جماعة يمكن أن يدل على أربع وحدات ، فيقال : 4 confréries (أى أربع زمالات) ، ولكن لا يمكن أن يكون بمعنى (أربعة زملاء) .

وعندما يكون من الممكن أن يدل اسم الجماعة على تعدد عناصره فتلك أمارة على أنه خرج من فصيلته ، من حيث هو اسم جماعة ، ليصبح جمعاً ، ففردية الأجزاء قد تمايزت ، ومن هنا يمكن أن تتوزع بحسب الأعداد المختلفة .

---

(١) انظر معجم المصطلحات اللغوية lexique de la terminologie linguistique ، للأستاذ J. Marouzeau باريس ١٩٣٣ - ص ٥٦ و ١٦٩ . وتأكيد هذه النقاط من عملنا نحن .

ولقد تطور كثير من أسـماء الجماعة إلى جموع تكسـير ، ولكن صيغة « فَعْل » ظلّت في حالة اسم الجماعة ، ولم تتحول مطلقاً إلى متعدد : وذلك مثل : رَكْب وصَحْب وحَضْر ، إلخ ...

وقد عرفت العربية أيضاً كثيراً من أسماء الجماعة فى مقابل (اسم الوحدة nom d'unité) (المشار إليه فيما بعد) ، بزنة : فَعْل ، وفَعَل ، وفَعَال إلخ ... ولكن من الواجب أن نذكر صياغة لاسم الجماعة بوساطة إلحاق (التاء المربوطة ـ at) باسم الفاعل ، نحو : المارّة والمسلمة ، أو إلحاقها بالصفة ذات النسبة ، هذه الطريقة ـ التى مازالت مستعملة كثيراً ـ تسمح بتعيين الطوائف والمجموعات والأحزاب ، فيقال : المروانية ، والإسماعيلية [1] ، وتضع العربية فى مقابل اسم الجماعة (اسم الوحدة) ، الذى يعين الفرد بالقياس إلى الجماعة ، ويصاغ هذا الاسم أيضاً بوساطة التاء المربوطـة الملحقـة ، بأن تلحق بأسـماء الجماعة المطلقة على الحيوانات ذات الغريزة الجماعية ، وعلى الحشرات الاجتماعية ، وعلى النباتات المتجمعة ، وعلى سائر الكائنات المتكتلة بفعل الطبيعة ، وذلك حين تراد الدلالة على الواحد بالنسبة إلى هذه التكتلات الطبيعية ، فلفظ (حمام) اسم جماعة يأتى منه اسم الوحدة (حمامة) ، ولفظ (نحل) اسم جماعة يأتى منه (نحلة) ، ولفـظ (نخل) يأتى منه (نخلة) ، ولفظ (ورق) يأتى منه (ورقة) ، إلخ ...

د ـ النوع

تفرق العربية بين المذكر والمؤنث ، فللمؤنث لواحق ، وليس للمذكر شىء [2] . هذا النوع المعبر عنه بالمؤنث (نوع نحوى) ، لا ينطبق على النوع

(١) النسبة إلى مروان وإسماعيل : مروانى وإسماعيلى ، ثم تلحق التاء بالنسبة . (المعرّب).

(٢) لا يدخل فى هذا الكلام الإشارة إلى جمع المذكر باللواحق : الضمة الطويلة (ū) ، والضمة والنون (ūna) ، والكسرة الطويلة (ī) ، والكسرة والنون (īna) ، وهى اللواحق التى تحدد حالته الإعرابية .

الطبيعى ، الجنسى ، فقد يتوافق معه ، وقد يختلف عنه تماماً . ومن ذلك أن الكلمات التى تعبر عن حالات مؤنثة بصورة نوعية تتمثل عادة بغير لاحقة تأنيث : نحو : عاقر ، حامل ، ومرضع .

وأكثر من ذلك نجد أنه قد يشار إلى النوع الطبيعى بكلمات مختلفة ، فكلمة : « حمار » مؤنثها : « أتان » ، وكلمة « ديك » مؤنثها : « دجاجة » ، وهناك أيضاً عدد من الكلمات لم تلحقها علامة التأنيث ، ومع ذلك عولجت نحوياً على أنها مؤنثة ، ومن ذلك أسماء الأعضاء المزدوجة فى الجسم نحو : يد ورجل وعين ، إلخ ... وأسماء الرياح والقرى والمدن ، وأولها كلمة « أرض » ، إلخ ...

وهناك قرابة ثلاثين كلمة بالإضافة إلى أسماء الحروف الهجائية ، معدودة من النوع المشترك بين المذكر والمؤنث ، ومثال ذلك : سكين ، وسِلْم ، وخَمْر .

ولواحق المؤنث ثلاثة : (التاء المربوطة -at) ، و(الألف الممدودة -ā'u) ، (والألف المقصورة -ā) . وهذه الثلاثة مستعملة ، ولكن الأخيرتين منها مقتصرتان على بعض الصيغ ، كما أن كلاً من هذه الصيغ الثلاث يأتى نهايةً للمصادر أو جموع التكسير ، وليس من اللغو أن نضيف لاحقة رابعة هى (الكسرة الطويلة ī) ، وهى لاحقة مستعملة بكثرة فى الضمائر والأفعال ، حيث إن (الكسرة القصيرة i) قد انقرضت فلم يبقَ منها سوى بقايا .

ومن الأمثلة على ما قدمنا :

التاء المربوطة : المؤمنة ، الظلمة .

الألف الممدودة :صحراء ، حمراء (مؤنث : أحمر ، زنة أفعل) .

الألف المقصورة : الفضلى (أنثى الأفضل : اسم تفضيل) وسلوى [1] .

هذه اللواحق الثلاث (بل الأربع) الخاصة بالمؤنث النحوى (رقم ٩ فى المذكرات) تجرّنا إلى تصور حالة من حالات اللغة ضاربة فى القدم ، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات ، ويبدو أنها قد التقت فى طبقة يمكن تمييزها : طبقة الأقل قيمة أو الأدنى ، وهى التى يمكن أن تفسر فصائل الكلمات المختلفة التى قد تضمها : كالتصغير والتحقير واسم الجماعة ـ وكلمات المعانى المجردة .

وتبعاً لهذا التخمين ـ (الأقل قيمة ـ الأدنى) تلقت هذه الفصائل لواحقها (موزعة دون شك تبعاً لدرجات وألوان لم يعد فى وسعنا أن نبلغها) ، وربما حدث بعد ذلك أن بقيت هذه الفصائل من الكلمات بلواحقها ، ثم تحولت عن معناها الأول إلى تنظيم من التأنيث النحوى .

وهناك واقع آخر يدعم ما نذهب إليه : ذلك أن اللغة العربية لا تضيف إلى جانب المذكر والمؤنث مجموعة الأسماء المحايدة . وعليه فإن هذا المؤنث النحوى (مفرداً أو جمعاً) هو الذى كان ـ فى بعض الحالات ـ وسيلة للتعبير عن المحايد ، من مثل : الصالحات ، السيئات ، من لغة القرآن [2] . وكثيراً ما تستخدم اللغة الحديثة ذاتها ـ تقليداً لطريقة قديمة ـ جمعاً مؤنثاً بالألف والتاء كيما تعين بعامة طائفة من الأشياء ، فتقول : المشروبات والمنسوجات .

ولعل من اليسير أن تكون للمحايد أصوله فى طبقة (الأقل قيمة) .

وفضلاً عن ذلك فعندما يقتضى السياق المطابقة نلاحظ تفرد اسم الجماعة

---

(١) طائر السمان الوارد في العبارة القرآنية (المن والسلوى) . (المعرّب) .

(٢) تعبّر اللاتينية في هذه الحالة عن المحايد الجمع بالكلمتين : mala/bona .

حين يكون فاعلاً ، حيث يمكن أن يوضع الفعل فى المفرد المؤنث ، وحين يكون موصوفاً ، حيث يمكن أن يجعل النعت أو التابع مفرداً مؤنثاً أيضاً . فمثال الأول قوله تعالى : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت** ﴾ [الغاشية : ١٧]، ومثال الثانى : « **غنم راعية** » [1] .

فإذا وجدنا أن اسم الجماعة قد تطابق مع الجمع كان ذلك أمارة على أنهم قد لاحظوا فى استعماله الأفراد دون الكتلة ، وأنه قد تطور إلى جمع ، دون أن يتغير شىء من شكله الخارجى .

ولكن لماذا تطلّب اسم الجماعة مفرداً مؤنثاً عند اقتضاء المطابقة ، إن لم يكن ذلك حينئذ استمراراً آلياً ـ قل أو كثر ـ لطريقة فى النظر قديمة ؟..

ومن ناحية أخرى فإن المطابقة بين الاسم وتابعه أو صفته تستوجب فى الأعم الأغلب أن يتحقق بصورة كاملة تقعيد المؤنث المفرد فى تلك اللغة العربية الصحراوية : وهناك حالات لا تتصل فيها علامة المؤنث بتابع الاسم ـ الذى اتصلت به لاحقة المؤنث أو حتى المؤنث بالطبيعة ـ أو بصفته ، ومن ذلك جميع الصفات بوزن « فَعُول » ، فيقال : أم حنون ، وكذلك فَعيل بمعنى مَفْعُول ، مثل ناقة جريح ، وكذلك أيضاً صيغ التكبير بوزن : مِفْعَل ومِفْعَال و مِفْعِيل (انظر ص ١٢٥ فيما بعد) كما فى : « جارية مِعطار » [2] . وهنا نتساءل : لماذا لم تكن فى هذه الأمثلة مطابقة نحوية ؟ ... لاشك أن اعتبارات قديمة هى التى أثرت قليلاً أو كثيراً ـ تأثيراً صامتاً فى اللغة .

---

(١) انظر : رايت جـ ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) وفضلاً عن ذلك فلا يندر فى معاجم اللغة وجود الأسماء المؤنثة دون لاحقة التأنيث وذلك مثل « حَرْف » وهى الناقة الكبيرة العجفاء ، و « دِلْقِم » الناقة العجوز الثرماء (لا أسنان لها) ، و « دِنَاك » الناقة السمينة القوية إلخ ... (انظر القائمة الطويلة فى المزهر جـ ٢ صفحات ٢٠٦ - ٢١٥) .

وبعد : فإذا كان صواباً أن نتحدث عن « نوع نحوى » فى هذه العربية الصحراوية ، فيجب أن نضيف : أن التقعيد لَـمَّـا يبلغ كماله ، ولسوف نرى مع هـذا ، أن اللغة تواصل اتجاهها نحو ضبط التعبير عن المؤنث بإضافة اللاحقة [1] .

* * *

---

(١) من خير الأمثلة على ذلك كلمة « زوج » (امرأة) فقد جرى العرب على أن يقولوا «زَوْجُهُ» ونادراً ما يقولون « زَوْجَتُه » (الأمالى للقالى جـ ١ ص ٢٠ سطر ٦ و ٧) ، ثم أصبحت هذه الصيغة الأخيرة هى المستعملة .

القسم الأول

التحول الداخلى فى الصياغة الاسمية

أ ـ التحول الداخلى المحض

١ ـ المراتب السبع للصيغ

المرتبة الأولى : (مصوت قصير) :

وكلمات هذه المرتبة ليس فيها سوى مصوت قصير بعد الصامت الأول من الأصل الاشتقاقى ، وهى صيغ بزنة : فَعْل ، وفِعْل ، وفُعْل ، ومن أمثلتها : كَلْب ، ورِجْل ، وأُذْن .

وينبغى أن يكون هذا المصوت القصير بعد الصامت الأول الأصلى ، أما الصيغ بزنة : فْعَل f'al ، وفْعِل f'il وفْعُل f'ul ، فلا يمكن أن توجد بسبب مجموعة الصوامت فى بداية الكلمة ، وهو ما لا تسمح به اللغة العربية الفصحى (انظر ص ٥٧ ـ وما بعدها)[1] .

المرتبة الثانية : (مصوتان قصيران) (رقم ١٠ فى المذكرات) :

ويقع المصوت الأول فى هذه المرتبة بعد الصامت الأول من الأصل . ويقع الثانى بعد الصامت الثانى ، تبعاً للنظام الذى تشير إليه الأمثلة ، والصيغ هى : فَعَل وفِعَل وفُعَل وفَعِل وفِعِل وفُعُل ، (وفَعُل وفِعُل لا

---

(١) هناك كلمتان خرجتا عن هذه القاعدة هما : مرْؤٌ زنة فْعُل و ـ مْرأةٌ زنة فْعَلَة ، ولكنهما تستخدمان عادة متصلتين بالمصوت الأخير من الكلمة السابقة فى مثل : قال مرؤ ، ويكون تقسيمهما المقطعى هكذا : قَا / لَمْ / رُ / ءٌ qā/lam/ru/'un ومع ذلك إن الخروج عن القاعدة ليس سوى ظاهرى ؛ فهما تنطقان مع أداة التعريف هكذا : المرء والمرأة .

وجود لهمـا) ، والأمثلة هى : ذَقَـن (فَعَل) ، وعنَـب (فعَـل) ، وزُمَـل (فُعَل) ، وكَتِف (فَعِل) ، وعَضُد (فَعُـل) ، وإبِـل (فِعِـل) ، وكُتُـب (فُعُل) .

هاتان المرتبتان الأوليان لم يستعمل فيهما سوى المصوتات القصيرة ، التى لا يختلف بعضها عن بعض إلا بالنوع أو الطابع . أما المرتبتان التاليتان فيُدخلان مدة المصوتات : مصوتات طويلة (أو مزدوجة) ، فيطول فيهما الأول أو الثانى من المصوتات القصيرة ، فتصبح فَعِل : فَاعِل أو فَعِيل .

المرتبة الثالثة : (مصوت طويل [أو مزدوج] ـ مصوت قصير) [1] :

وصيغها هـى : فَاعِـل وفَاعَـل وفَيْعَـل وفَوْعَـل . وأمثلتـها : طَـالِب (فَاعِل) ، وعَالَم (فَاعَل) ، وبَيْدَر (فَيْعَل) ، وحَوْصَل (فَوْعَل) . ومـن اليسير معرفة الصيغ غير الموجودة في اللغة وهى : فِيعَل fī'al ، وفُوعَل fū'al ، وفَاعُل fā'ul ، وفَيْعُل fay'ul وفُوعُل fū'ul ، وفِيعِل fī'il وفَوْعُل faw'ūl ، وفَيْعِل fay'il ، وفَوْعِل faw'il [2] .

المرتبة الرابعة : (مصوت قصير ـ مصوت طويل أو مزدوج) :

وهذا الوضع على نقيض سابقه ، وقد استخدمت إمكاناته على نطاق واسـع ، وصيغه هى : فَعَال وفِعَال وفُعَال وفَعِيل وفُعَيْل وفِعُول وفُعُول ، وكل

---

(١) فى هذه المرتبة والمراتب التالية سوف يكون العنصر المصوت دائماً بعد الصامت الأول من الأصل الثلاثى ، كما يكون الثاني بعد الثانى .

(٢) وهناك صيغ يطول فيها المصوت الثانى القصير ، وذلك مثل : غَيْدَاق ġaydāq ، أي (كـريـم) : (فَيْعَال) ، وحَيْزوم (صـدر) : (فَيْعول) ، وتَوْراب tawrāb (غبَـار) : (فَوْعَال) ، وصَوْليب ṣawlīb (البـذر الذي ينثـر علي الأرض) : (فَوْعيل) وهي صيـغ نادرة أو ذات استعمال خاص ، وقد درس الأستاذ ى . ليتمان E. Littmann صيغة فَيْعول (Z.S., IV, pp. 24-31) ، ومن الممكن أن نلمس فيها صورة التعقد . أما صيغة فَاعُول fā'ūl (فانظر فيما بعد ص ١٢٢ - ١٢٣) ، وأما صيغة فِيعَال fī'āl (فانظر ص ١٠٤) .

هذه الصيغ منتجة ، وأمثلتها : أتان (فَعَال) ، وحمار (فعال) ، وغُراب (فُعال) ، ورَغيف (فَعيل) ، وزُمَيْل (فُعَيْل) وكذلك كُلَيْب ، ورَسُول (فَعُول) ، وعُلُوم (فُعُول) .

ولم ترد شواهد للصيغ : فُعِيل fu'īl ، وفَعَوْل fa'awl ، وفِعَوْل fi'awl ، وفِعَيْل fi'ayl . وقد وجدت صيغة فِعِيل fi'īl ، ولكن في نطاق اللهجات [1] .

وتميزت المرتبتان الثالثة والرابعة عن المرتبتين الأوليين باستخدام طول المصوتات ، أما المراتب : الخامسة والسادسة فيدخل فيها التضعيف : تضعيف الصامت الثانى من الجذر الثلاثى فى (الخامسة والسابعة) ، وتضعيف الصامت الثالث فى (المرتبة السادسة) .

والمرتبتان الخامسة والسادسة على نسق المرتبة الثانية (بمصوتين قصيرين) ، ولا يزاد فيهما سوى هذا التضعيف . أما المرتبة السابعة فمن الممكن أن يكون لها أصل مزدوج : فإما أن يكون على نسق المرتبة الرابعة (مصوت قصير ومصوت طويل) (وهذا هو الشائع) ، ولا ينضاف إليه سوى التضعيف ، وإما أن يجرى على نسق المرتبة الخامسة مع تطويل المصوت الثانى القصير (وهذه إمكانة قليلة الاستعمال) .

المرتبة الخامسة : (مصوتان قصيران - تضعيف الصامت الثانى من الأصل الثلاثى) :

والصيغ هى : فَعَّل Fa''al ، وفِعِّل Fi''il وفُعُّل Fu''ul ، وفِعَّل Fi''al وفُعَّل Fu''al ، وأمثلتها : أَيَّل ayyal' (اسم جبل) : (فَعَّل) وحِمِّص : (فِعِّل) ، وتُبُّع (ظلّ) : (فُعُّل) ، وخِنَّب (ذو الأنف الغليظ) : (فِعَّل) ، وسُلَّم : (فُعَّل) .

---

[1] انظر : رايت جـ ١ ص ١٣٦ .

هذه الصيغ قليلة الإنتاج ، فيما عدا (فُعُل) التى يجىء منها عدد غير قليل من جموع التكسير . ويلاحظ أن (فَعِل وفَعُل) لم يتكررا هنا فى صيغتى : فَعِّل وفَعُّل . أما الصفات مثل طَيِّب وجَيِّد ـ فالواقع أنها متطورة عن صيغة قديمة بزنة فعيل fa'īl (انظر كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٨٠ ـ ٢٨٢) .

المرتبة السادسة : (مصوتان قصيران ـ تضعيف الصامت الثالث من الجذر الثلاثى) :

والصيغ هى : فَعَلّ وفَعِلّ وفِعِلّ وفُعُلّ ، وفى هذه الصيغ نرى صورة صيغ أخرى هى : فَعَل وفَعِل وفِعِل وفُعُل من المرتبة الثانية ، وهى التى ينضاف إليها تضعيف الصامت الثالث فَحَسب ، من الأصل المدعم بوساطة مصوتات الإعراب الأخيرة [1] ، مثل : عَبَنّ abann' (الجمل السمين) : (فَعَلّ) ورِفَلّ (الثوب الواسع) : (فِعَلّ) ، وفِلِزّ : (فِعِلّ) ، ودُجُنّ : (فُعُلّ) .

وقد استخدمت هذه المرتبة السادسة تقريباً جميع الإمكانات التى تقدمها المرتبة الثانية ، والواقع أننا نجدها أيضاً مضافاً إليها نهاية المؤنث : دُرَجَّة (فُعَلَّة) : (fu'all-at) ، وعُرَضَّى ('uraḍḍā) : (فُعَلَّ ـ ى) (fu'all-ā) ، وتَلُنَّة (talunnat) : (فَعُلَّـة) (fa'ull-at) ، والصيغة الوَحِدة غير الواردة هى : فَعِلّ .

هذه المرتبة كلها تتمثل فى مفردات البدو القديمة التى سقطت فى طوايا الإهمال بعد ذلك ، ولكن يبدو أن (فَعَلّ) كانت أكثر إنتاجاً .

المرتبة السابعة : (مصوت قصير ـ مصوت طويل ، وتضعيف للصامت الثانى من الجذر الثلاثى) :

---

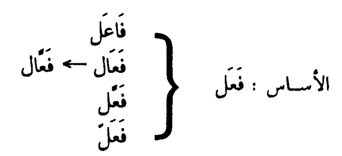
(١) وبدون هذه المصوتات الإعرابية قد يصبح من المستحيل صرفياً إنشاء هذه المرتبة السادسة فى اللغة الفصحى ، وهذا المثال يدل تماماً على أن هذه المصوتات ليست تابعة تتفاوت فى درجة اصطناعها ، وإنما هى متصلة بصميم البناء اللغوى .

هذه المرتبة هي التطور الطبيعي للمرتبة الرابعة ، فهي تحوّل الصيغ : (فَعَال وفَعيل ، وفَعُول ، وفُعَال ، وفُعَيْل) إلى الصيغ : فَعّال ، وفَعّيل ، فعّيل ، وفَعُّول (ومن تصاريفها فُعُّول) ، وفُعّال ، وفُعَيْل . وأمثلتها : طَمّاع (فَعّال) ، وشرّيب (فعّيل) ، وفرُّوق (فعُّول) ، وقُدُّوس (فُعُّول) ، وعُظّام (فُعّال) ، وزُمَيْل (فُعَيْل) .

أما إمكان تحوّل المرتبة الخامسة من الصيغ إلى المرتبة السابعة بوساطة تطويل المصوت الثانى ، فأمر تدل عليه أمثلة من مثل : دنّب ودنّاب (قصير القامة) ، وخنّب وخنّاب (كبير الأنف) (فِعّل ، فِعّال) ، ولكن يبدو أن ذلك لم يقع كثيراً .

٢ـ مخطط يمثل الصيغ

لم نتجاوز فى هذه المراتب السبع من الصيغ حدود الإمكانات التى تتيحها خاصة « التحول الداخلى » ، فهى تظهر أولاً فى مصوت واحد فحسب ، فى صيغ (فَعْل وفِعْل وفُعْل) (وهى صيغ لم تتعرض لأى تطور آخر يخرج بها عن الخط الراهن) ، ثم تظهر فى مصوتين قصيرين ، ومن ذلك صيغ : فَعَل ، وفَعِل ، إلخ ... وفى هذه الدرجة من التحول يحدث تطور فى الصيغ إلى خمسة أنواع ، ويمكن تخطيط نظامنا على الوجه الآتى :



الأســاس : فُعَل

- فُعَال
  - فُعَيِّل ← فُعَّيْل
  - فُعَّال
- فُعَّل
- فُعَلّ
- فُعَيِّل ← فُعَّيْل

الأســاس : فَعِل

- فَاعِل
- فَعِيِّل ← فِعِّيل

الأســاس : فَعُل

- فَعُول
  - فَعُّول
  - فَاعُول
- فَعُلّ

الأســاس : فُعُل

- فُعُول
- فُعُلّ

الأســاس : فِعَل { فِعَال ← فِعّال
فَعِّل
فَعَلّ

الأســاس : فِعِل ← فِعِلّ

هذا المخطط يرينا صورة التدرج فى آثار التحول الداخلى ، تلك الحركة الداخلية للغة . وليس مما يدعو إلى الدهشة مثلاً أن نجد كلمة مثل : يبرود yabrūdu (اسم قرية فى سورية) ، وهى فعل قديم ، قد أصبحت (اسم ذات) بما طرأ عليها من طول فى أحد مصوتاتها . والفعل من هذه الكلمة ذاتها هو : « يبرُدُ » yabrudu . وكان من الطبيعى وقد دخلت هذه الكلمة فى نطاق الأسماء أن يطرأ عليها طول فى مصوتها الثانى ، وربما كان ذلك لغاية بيانية (نظراً لبرودة شتائها) ، فصارت لذلك « يبرود » yabrūdu (انظر ص ١٤٢ ـ ١٤٣) .

وهذا المخطط يكشف لنا فى التحول الداخلى عن آلية أساسية للتطور اللغوى شديدة الأصالة ، بحيث ينبغى إدراكها جيداً ، ولكنه كأى مخطط يبسط لنا ، وقد ينسينا ، أن الواقع اللغوى هنا معقد . ولسوف نضيف الإيضاحات الضرورية لفهم أهميته ، وأهمية عرضنا للمراتب السبع التى أوجزها .

٣ـ إيضاحات

أولاً : دخول كلمات أعجمية :

هناك كلمات أعجمية مقترضة تم تعديلها على الصيغ المختلفة ، ولقد كان من الممكن أن يجرى تعريبها إلى الحد الذى يتلاشى معه أصلها ، ولكن

التعريب لا يفترض وجود سلسلة الاشتقاق المشار إليها قبل : فمثلاً الكلمة القرآنية « صراط » ṣirāt (طريق) ، تلك التى تبدو بزنة الصيغة « فعَال » ، ليست سوى الصورة النهائية ـ الإغريقية والآرامية ـ للكلمة اللاتينية ـ stra-ta ـ . وكلمة « قميص » بزنة فَعِيل ، كلمة من كلمات الشعر القديم ، تأتى من الكلمة الإغريقية kamision إلخ ...

ثانياً : أثر القوانين الصوتية :

أثرت بعض القوانين الصوتية فى داخل هذه اللغة العربية ، فكثير من الكلمات التى وردت بزنة « فعِال » هى ببساطة من أوزان « فَعَال » مع ما دخل عليها من المخالفة بين الفتحة القصيرة (a) والفتحة الطويلة (ā) ، (انظر ص ٦٣) .

ومن الممكن أيضاً أن نجد الصيغتين مرويتين ، نحو : وَثَاق ، ووِثاق ، وصَدَاق وصِداق ، وغُمَار وفُواق روايتان أيضاً فى الكلمتين : غَمَار وفَوَاق بنفس المعنى ، ولكن الفتحة قد صارت ضمة (a>u) بتأثير عامل المماثلة فى الصامت الشفوى المتصل بها . ويصدق هذا بالنسبة إلى كلمات أخرى بزنة (فُعَال) . وما المصادر بزنة (فِعَال) من الصيغة الثالثة للفعل سوى تمثيل لصيغة (فِيعَال fī'āl) (الثقيلة) ، المروية ، إلخ ...(رقم ١١ فى المذكرات) .

ثالثاً : التأثير العميق للقياس :

كان للقياس على وجه الخصوص أثر عميق ، وخير مثال على ذلك صيغة (فَعَّال) ، ففى اللغة القديمة كان من الممكن بناء هذه الصيغة فى جميع الأفعال المبنية للمعلوم تقريباً ، على أنها صيغة مبالغة لاسم الفاعل بزنة (فاعل) ، تعمل مثله عمل الفعل . فصيغة (فَعَّال) هى التطور النهائى لاسم

الفاعل القديم (فَعَلْ fa'al) ، الذى تطور إلى (فَعَال) ، ثم إلى (فعّال) [1] .

وقد ورد على صيغة (فَعَل) بعض البقايا من مثل : حَكَم ، وتَبَع ، ثم أريدت تقويتها فحوّلت إلى (فَعَال) فى مثل : صَنَاع ، ووَقَاح . ولكنها قد تحولت إلى (فعَال) أحياناً (بتأثير المخالفة ـ انظر ص ٦٣) ، وبذلك أفادت كثيراً من أسماء الآلة مثل : نصَاب ووعَاء ، وكتَاف ، وردَاء ، إلخ ...

وقد فقدت صيغة (فَعّال) اتصالها بأصلها الأول ، فهى تدل على مضمونها باتصالها نفسياً باسم الفاعل بزنة (فاعل) على أنها مبالغة منه .

وزادها القياس إخصاباً وثراء ، ولكن على نموذج أمثلة فَعّال الموجودة ، باعتبارها منتهى ما بلغته سلسلة الاشتقاق .

وأكثر من ذلك أن صيغة (فَعّال) ـ تلك التى لم تكن فى لغة الشعر القديمة وفى لغة القرآن سوى اسم فاعل للمبالغة ـ قد تحولت بتأثير الآرامية إلى التعبير عن أسماء الحرف ، ومن ذلك : نَجّار وبنّاء وفَخّار، وزادها القياس فى هذه الوظيفة التعبيرية الجديدة خصوبة وسعة ، حتى إننا نجدها أيضاً مستعملة لقباً فى مثل : كَلاب (مربى الكلاب) ، وجَمّال (حادى الإبل) ، وفَيّال (مروض الفيلة) ، وكل هذه الأمثلة لصيغة (فَعّال) فى أسماء الحرف لا تلحظ فيها أية علاقة بسلسلة الاشتقاق ، ومن هذا الباب عدد كبير مما جاء على (فَعّال) اسمَ فاعل للمبالغة ، وهو مجرد ثمرات للقياس .

أما صيغة « فُعّيل » فقد تأتى من « فُعَل » ، بتنمية المصوت القصير وتحويله إلى مصوت مزدوج [2] ، ومثل هذا : زُمَل وزُمّيل .

---

(١) انظر دراستنا : (اسم الفاعل « فَعَلْ » . النشرة الثانية والثلاثون من سلسلة Mélanges) ص ٦٧ وما بعدها .

(٢) قارن صيغة : « إفعول 'if'awl » المأخوذة من (أفعل 'af'alu) .

وقد تأتى « فُعيّل » من (فُعَال) بإحلال المصوت المزدوج محل المصوت الطويل ، وتلك طريقة ثانوية فى الصياغة مماثلة لسابقتها ، تمنحنا إمكانة جديدة فى التعبير عن طريق التغيير (رقم ١٢ فى المذكرات) .

وقد استطاع الاستعمال اللغوى أن يستخرج من ذلك عدداً من الكلمات بإحدى الطريقتين وبالأخرى [١] .

ولكن هذه الأمثلة من صيغة (فُعيّل) لا يمكن أن تقارن بما هو موجود منها فعلاً ، وبما يمكن أن يوجد .

والواقع أن صيغة (فُعيّل) يمكن أن تبنى على أى اسم ثلاثى للتعبير عن التصغير ، وهى طريقة بسيطة للتوسع بالقياس . وقد امتدت هذه الصياغة أيضاً وطبقت على الأسماء الرباعية بزنة فُعَيْلِل ، وفُعَيْلِيل ، فأصبحت : جَعْفَر : جُعَيْفِر ، وعُصْفُور : عُصَيْفِير [٢] .

هذا التوسع لا شذوذ فيه ، إذ إن من خصائص الصيغ الحية أن تشيع بمجرد القياس ، أى باستخدام نموذج معين .

وقد نجمت – فى كل مرحلة من المراحل المشار إليها فى مخطط الصيغ وتدرجها – ألوان من التوسع القياسى المحض بشكل عادى ، تبعاً للفائدة التى يلمسها فيها الذوق اللغوى ، ولسوف نبين ذلك بإحصاء نجريه على الكلمات التى جاءت بزنة (فَعُول وفَعِيل) فى مختلف أشكالهما .

---

(١) هذا فى رأينا – وبخاصة بوساطة الطريقة الثانية لما كان من باب التصغير .

(٢) انتشرت هذه الصياغة أيضاً وتعدت نطاق الأسماء : أسماء الذوات والصفات ، حتى أصبحت هذه حالة خاصة سوف نشير إليها فيما بعد (ص ١١٦) . وما قلناه هنا يكفى .

رابعاً : أمثلة بزنة فَعُول ـ شواهدَ على دور القياس :

أ) فَعُول وفَعِيل فى كتاب « مفردات عربية ـ فرنسية » للأستاذ بلو Belot :

صيغتا « فَعُول وفَعِيل » هما النمو الطبيعى لصيغتى (فَعُل وفَعِل) مع مد المصوت الثانى ، وأسفر إحصاء كلمات الحرف (ف) فى كتاب : (مفردات عربية ـ فرنسية) للأستاذ « بلو » عن الأرقام الآتية :

فَعُل : ٣ فَعُول : ١٧

فَعِل : ١٨ فَعِيل : ٤٩

وواضح هنا عدم التناسب .

هذه الصيغ جميعها ، أسماء أو صفات (مبنية للمعلوم أو للمجهول) ، متوزعة كما يلى :

فَعُل : ● اسم ذات واحد : فَجُل (وفيها أيضاً فُجْل)

● صفتان : فَرُق (خائف) ، وفروق بنفس المعنى

فَطُن (ذكى) ، وفَطُون بنفس المعنى

والخمس عشرة صيغة الأخرى بزنة « فَعُول » ليس لها نظير ظاهر بزنة « فَعُل » . أما حالات « فَعِل ـ فَعِيل » فهى أكثر تعقداً ، وهى تعطى فكرة أحسن عن الموضوع :

● اسما ذات هما :

« فَخِذٌ » ، و « فَرِخُ » الشجرة (أى فرعها) .

● ست كلمات لها صيغها المزيدة ، هى :

فَرِدٌ	وفَرِيدٌ	(منعزل ، لا نظير له)
فَشِلٌ	وفَشِيلٌ	(البليد الكسول ، الضعيف الواهن)
فَطِنٌ	وفَطِينٌ	(ذكى ، ألمعى)
فَقِرٌ	وفَقِيرٌ	(منكسر فقار الظهر)
فَقِهٌ	وفَقِيهٌ	(عالم فى الفقه الإسلامى)
فَنِعٌ	وفَنِيعٌ	(الذى أصاب الغنى)

ويضاف إلى هذه الكلمات الستة كلمة سابعة هى :

فَهِمٌ	وفَهِيمٌ	(سريع الفهم)

بيد أن كلمة « فَهِيمٌ » هى من إضافة الأستاذ بلو Belot ، على أنها ليست فصحى وإنما هى لهجية ، يبدو أن علماء اللغة قد ذكروها فيما بعد .

● خمس كلمات لا مزيد لها مروياً بزنة (فَعِيل) ، وهى :

فَئِرٌ	(أفسدته الفئران) (لبن أو طعام)
فَرِقٌ	(وجل خائف)
فَرِكٌ	(نواة قشرتها سهلة الكسر)
فَغِمٌ على	(حريص على)

فَهِدٌ (مهمل مفرط)

● أربع كلمات ليس لها (فَعيل) ولكنها ذات علاقة بصيغة (فَاعِل) وهى :

فَرِح	وفَارِحٌ
فَرِهٌ	وفَارِهٌ
فَزِعٌ	وفَازِعٌ
فَكِهٌ	وفَاكِهٌ

وقد أضاف الأستاذ « بلو » كلمة أخرى بزنة (فَعِل) هى : فَرِطٌ (رخيص الثمن) . على أن هذه الكلمة لهجية ، وهى ليست معدودة .

وهكذا بان لنا أن سبعة أمثلة من الثمانية عشر بزنة (فَعِل) ، قد تطورت إلى (فَعِيل) ، فإذا ما عكسنا المقارنة وجدنا أن سبعة فقط من التسعة والأربعين بزنة (فَعِيل) ـ تكشف لنا ارتباطها بسلسلة الاشتقاق . ومعنى هذا أن هناك ميداناً واسعاً للتكاثر القياسى لصياغة كلمات كثيرة بزنة (فعِيل) .

ومع ذلك فيجب أن نسجل هنا الملاحظات التالية :

أن اسمى الذات : « فَخِذٌ وفَرخٌ » ليسا قابلين لإطالة مصوتهما الثانى ما بقى لهما معناهما الخاص ، من حيث هما كلمتان ذاتا دلالة حسيّة ، فإذا ما صغرتا أصبحتا : فُخَيْذ وفُرَيْخ ، مع إمكان أن يكونا بنفس الصيغة فى حالة التكبير . (انظر فيما بعد ص ١١٨) .

والكلمات التى جاءت بزنة (فَعِل) ، وهى ذات علاقة

بصيغة (فَاعِل) ، ترينا أن فى « فَعِل » إمكانة التطور إلى « فَاعِل » ، وهذا يعتبر اتجاهاً آخر .

ب) مقارنة بكتاب : « القاموس العربى » للأستاذ هـ . ڤير :

والحق أنه لم يعد بوسعنا أن نجد جميع الكلمات بزنة (فَعِل) ، والتى تحولت إلى (فَعِيل) ، لأن صيغة « فَعِل » وهى أضعف بياناً ـ ومن ثَمَّ أقل استعمالاً ـ قد استطاعت أن تخرج من الاستعمال وتختفى .

ومقارنة كتاب (القاموس العربى ، للأستاذ هـ . ڤير) تجعلنا نلحظ هذه الحقيقة بالنسبة إلى اللغة العربية الحديثة . فهذا الكتاب يقدم لنا المفردات التى كان المؤلف عثر عليها فى نصوص الفصحى التى كتبت حديثاً .

وللمقارنة قيمتها فى حالة استقصاء المؤلف للمفردات ، وهو استقصاء ذو أهمية كبيرة [1] . ثم إن المقارنة التى أسلفناها تعظم قيمتها حين يكون عمل « بلو » فى جميع المفردات العربية الفرنسية كاملاً .

ومن المحتمل أن تجىء أكثر اندفاعاً وتقصياً تثرى هذه المجموعات ، ولكنها ـ فيما نحسب ـ قليلاً ما تستطيع تعديل النسب ، وإليك إذن ما قدمه لنا قاموس « ڤير » :

● لم يبق من اسمى الذات غير واحد فقط هو (فَخِذ) .

● أما مجموعة : فَعِل ـ فَعِيل :

فقد اختفت منها : « فَنِع وفَنِيع » ، وبقيت : « فَقِر وفَقِير » ، ولكن

---

(١) هذه المقارنة خاطئة قليلاً ، فإن مفردات (بلو) تقدم لنا فى الواقع مفردات لغة فى كامل صحتها ، أما قاموس (ڤير Worterbuch) فإنه يقدم مفردات لغة منبعثة جزئياً بعدما غفت قروناً كثيرة ، فقد تعرّضت الرواية اللغوية لبعض الانتقاص ، ومع ذلك إن المقارنة التى أثبتناها تظل على أية حال ملهمة وذات مغزى .

بمعنى آخر ، كما بقى « فَطِن وفَطين » بمعناهما ، وانضاف كذلك « فَهِم » إلى « فَهيم » وهى – كما رأينا من قبل – لفظة لهجية .

واختفت (فَعِل) وبقيت (فَعيل) فى : فريد وفقيه .

والغريب أن تروى كلمة (فَشِل) دون (فشيل) ، وإن كان القول النهائى فى هذه المسألة يحتاج إلى أن يؤيد ببحث مستوفىً لهذه الحالة وما يشابهها .

وجملة القول : أن زوجين من الكلمات قد اختفيا ، وزوجين بقيا ، وزوجين فقدا (فَعِل) واقتصرا على (فَعيل) ، وزوجاً واحداً رُوى بصيغة (فَعِل) وحدها .

وقد اختفت أربع كلمات من الست الواردة فى الفصحى بزنة (فَعِل) وحدها ، وهى : فتِر ، وفرِك ، وفغِم على ، وفهِد . وبقيت كلمتان هما : فكِه ، وفرِق . وظهرت كلمة (فريك) ، ولكن بمعنى لا يشير إلى أدنى علاقة بينه وبين المعنى القديم لكلمة (فرِك) ، أعنى : (مدلوك frotté) ، فهى بمعنى الطعام المتخذ من حبات القمح [1] . والخلاصة أن كلمتين عاشتا فى مقابل أربع ماتت .

● أما مجموعة فَعِل – فاعل فقد بقيت ، فيما عدا كلمتى فرِه وفارِه ، حيث اقتصرت (الرواية) على فارِه .

وجملة القول فى هذا : أن اثنتى عشرة كلمة من الثمانى عشرة بزنة

---

(١) فى القاموس ٣ / ٣١٥ : الفريك « كأمير المفروك من الحب ، وطعام يفرك ويُلَتُّ بسمن وغيره » . وفى اللسان ١٠ / ٤٧٣ ط بيروت : « وبُرٌّ فريك : وهو الذى فرك ونقّى » أى دلك حتى انقلع قشره . (المعرّب) .

(فَعِل) قد اختفت ، ولم يبقَ سوى ست هى : فَخِذ ، وفَرِق ، وفَشِل ، وفَطِن ، وفَكِه ، وفَهِم .

أما كلمة « فَرِط » فهى لهجية ، لم ترد فى مؤلف هـ . فير ، وهى موجودة فى القاموس الفرنسى ـ العربى ، للأستاذ أ. بارتلمي (ص ٦٠١) : فرط / Fərẹt ويبدو أن طابع هذه الكلمة اللهجى ثابت غير منكَر [١] .

* * *

(١) بالرجوع إلى هذا القاموس – قاموس أ. بارتلمى A. Barthélemy فى موضوع صيغة fa'il التى تؤول إلى fa'ẹl – فى الحرف (ف) نفسه لا نجد غير كلمة (فَرِط) المشار إليها ، وفَكِه (ذو الرائحة الزكية) .

خاتمة

هذه الظواهر جميعها : تعديل الكلمات الأعجمية المقترضة بحسب الصيغ ، وانتقال صيغة إلى أخرى بتأثير العارض الصوتى ، والتوسع بالقياس ، والتقليل من شيوع بعض الصيغ ـ هذه الظواهر قد أضافت ظلاً من التعقيد على البساطة التى امتاز بها المخطط . ولكنه برغم ذلك يظل البناء الأساسى الذى احتفظ بكل هذه الأشكال المختلفة ، والذى بدونه ربما لم تكن هذه الأشكال ممكنة . وفى كلمة واحدة : يبقى هو الأساس .

ولقد كان من الواجب لكى تستقر اللغة على أساس من التحول الداخلى أن تُطَوَّرَ عدداً معيناً من الكلمات تبعاً للقاعدة القياسية ، وأن تنشىء أشكال النطق بسلسلة الاشتقاق . و لدينا أيضاً بعض الأمثلة المفيدة من مثل : « فَرِق وزَمَل » .

فَرِق ← فَرُوق { فَارُوق / فَرُّوق } (هَلُوع)

زَمَل { زُمَّل ← زُمَّال / زِمِّيل ← زِمِّيل } (ضعيف – رخو)

والأمثلة المتطورة على هذه الصورة نادرة : ولكن لا غرابة فى ذلك ، لأن هذا البناء القائم على التحول الداخلى قديم ، ولأن الحلقات الأولى بالنسبة إلى كلمة وضعت فى هذه الصورة المتدرجة (وهى أقل إبانة) قد خرجت من الاستعمال بسهولة .

والواقع أن هذا البناء ليس من خصائص العربية وحدها ، وإنما هو موجود

فى اللغة السامية ، وقد ورثته العربية بلا شك كاملاً ـ على الأقل فيما يتصل بالجوهر ـ عن أصولها السامية [1] ، إذ إنها هى التى تبين عن نظام التحول الداخلى فى أجلى صورة وأغناها ، وجملة القول : أكملها ، وفى كلمة واحدة : أكثرها نموذجية بين اللغات السامية القديمة .

اعتبار آخر هام : ويبقى من هذا التحول الداخلى ـ فى الوعى اللغوى

---

(١) هذا التخطيط الذى نقدمه بعناصر عربية لا يعنى أن العربية هى وحدها المسئولة عن كل أشكال وصور نطق سلسلة المشتقات ، فقد قيل أيضاً : إن البناء القائم على التحول الداخلى قديم ، فليس خاصاً بالعربية وحدها ، ولكنه بنية السامية .

بيد أن هذا المخطط يظهر بإجمال الموارد المتاحة بالمعنى اللغوى العربى لتطوير وتجديد ما يحتويه الجذر من ألفاظ . ولكن كيف استقر التحول الداخلى من الناحية التاريخية ؟ وكيف تكونت سلسلة المشتقات ؟ هذه مسألة شديدة الصعوبة ، وهى تختلط مع مسألة أصول السامية . لقد حاول ج . كورى لويز فى كتاب L'apophonie en sémitique (تعاقب المصوتات فى السامية) ـ حاول أن يفكر فى المشكلة من وجهة نظر بنائية ، غير أن معرفتنا بالسامية المشتركة بكل أسف ـ مازالت غير دقيقة ، وبخاصة ما يتعلق بنظام الفعل ، كما ينقصنا الأساس الثابت ، ولذا نبقى فى دائرة الافتراض .

ومع ذلك ينبغى أن نلاحظ أن : البنائية Structuralisme فى ذاتها لا تكفى ، ذلك أن خطرها يعود إلى عقلانية Intellectualisme جامحة ، ذلك أن هذه البنائية تحلل اللغة كما لو كانت ثمرة العقل الإنسانى وحده ، وهو بذلك يردها إلى نوع من العلاقات الجبرية Algébrisme (انظر مثلاً الصفحات ٧ ـ ٩ من الكتاب المذكور آنفاً ، وهى ذلك الواقع شديد الحيوية ، الذى يعبر فيه كل إنسان عن ذاته .

والبنائية جانب من علم اللغة ، مجرد جانب ، وليست هى علم اللغة بأكمله . فهل تستطيع البنائية أن تستوعب ما نطلق عليه فيما بعد الحجم volume ، والقيم Les Valeurs التى ترتبط بهذا الحجم ؟ إن على البنائيين أن يجيبوا .

بيد أننا نستطيع أن نلفت نظرهم إلى ما يلى : فالأوزان فى العربية تقبل التحليل فى ذاتها ، لأن لها فى ذاتها قيمة لغوية (انظر فيما بعد ص ٣١٣ وما بعدها ـ الخاتمة) وهكذا نجد أن التحليل لا يكشف ـ حسب ـ عن مستوى الوحدات فى الجملة ، على ما نرى من التعارض بين كلب / كليب ، ولكنه يكشف أيضاً عن التعارض بين الأوزان ذاتها ، فكل وزن يعارض الأوزان الأخرى ، تبعاً لدرجة الزيادة التى يضيفها التحول الداخلى ، ولسوف نرى أن الكلمة يمكن أن تكسب قيمة بيانية بمحض انتمائها إلى وزن معين ، كما فى كلمة : (شرِّيب) وهى تعنى : (شارب كبير) ، فقد دلت على التكبير لأنها بوزن فعِّيل ، وكذلك (قدُّوس) : بمعنى (عظيم القداسة) لأنها بوزن فعُّول ، وتلك نتيجة محضة للتطور باستعمال القياس على نمط الوزن .

لدى الأفراد المتكلمين ـ أن وسيلة تجديد القدرة البيانية تكون بإطالة المصوتات القصيرة ، (وبأن يحل مصوت مزدوج محل مصوت طويل) ، وبتضعيف صوامت الأصل الاشتقاقى ، ويبقى أيضاً ، إذا ما صادف المتكلم كلمة أعجمية مقترضة ، ذلك الجهد الغرزى الذى يبذله كيما يستخرج منها أصلاً مكوناً من صوامت ، فيدخله بذلك فى نظام اللغة .

إن تاريخ اللغات السامية هو ـ فى جانب كبير منه ـ تاريخ التحول الداخلى ، وربما يدفع ما سبق أن قلناه إلى توقع أنه سيكون تاريخاً معقداً ، ولكنه سيكون أيضاً تاريخاً ناقصاً فى كثير من نقاطه نظراً إلى التفاوت فى درجة ما تصل إليه معرفتنا عن اللغات الأخرى السامية القديمة ، ولسوف يخترق فى مشقة ستار الظلام الملتف حول أصله الأول .

ولربما كان من المفيد ـ دون أن نهدف إلى بعيد ـ أن نقوم ببحث شامل فى المعجم العربى عن الصيغ الكثيرة ، فنجمع أكبر عدد من الأمثلة الممكنة لكل صيغة ، ونتناولها بطريقة التحليل التى اتبعناها من قبل بالنسبة إلى الحرف (ف) ، من باب سبر الغور ، في مفردات « بلو » ، حيث تناولنا ما كان من كلماته على إحدى صيغتى (فَعُول وفَعِيل) ، فمثل هذا العمل النافع يضع حياة العربية الفصحى فى ضوء جديد .

٤ـ تأملات فى الصياغة الاسمية

أولاً : عدم التفرقة بين الأسماء والصفات :

ملاحظة أولى نبادر إليها هى : أن الحد بين اسم الذات والصفة ليس بيّناً [(١)] : فالصيغة الواحدة قد تنتج أسماء أعيان ، وأسماء معان ، وصفات ،

(١) هذه الحالة صادقة أيضاً بالنسبة إلى الصيغ الأخرى الاسمية ، بالتكرير أو الإلصاق ، وسنرى ذلك فيما بعد . ولكن يبدو أن اللاحقة (الكسرة الطويلة – ī) وحدها كانت تحدد أولاً بذاتها صفة (انظر ص ١٤٧ – رقم ١) .

وذلك واضح فى الصيغ التى تكاثرت فروعها على نطاق واسع ، فهى بذلك خير ما يدل على اتجاهات اللغة ، ومن ذلك صيغ المرتبة الرابعة : فَعَال – فعَال – فُعَال – فَعيل – فَعُول ، وأمثلة ذلك : « أتَان » بزنة فَعَال ، (اسم عين) ، وطَواف (اسم معنى) ، وجبَان (صفة) . ويمكن أن نطلق على هذه الظاهرة : ظاهرة تناسل الصيغ .

وتمثل حالة تصغير الصيغة « فُعَيّل » أيضاً حالة مرونة ملحوظة ، وقد قلنا من قبل : إن من الممكن إنشاء هذه الصيغة (فُعَيْل) من كل اسم ثلاثى ، كما ذكرنا إمكان امتدادها وتعديلها على الأسماء الرباعية فى صيغة « فُعَيْلل » ، أو « فُعَيْليل » .

وأكثر من ذلك أن هذه الصياغة يمكن أن تطبق على الصفات ، أفْعَل التفضيل ، وصيغة (ما أفعله) الدالة على التعجب ، وعلى جموع التكسير للقلة ، وعلى أسماء العدد ، وعلى بعض الأدوات [1] .

فمثلاً : الصفة (حُلْو) ، مصغرها : (حُلَيّ ḥulayy-un) ، وأفعل التفضيل (هو أصْغَر منك) ، مصغره : (هو أُصَيْغِر منك) .

وقد عرف تصغير صيغة أفْعَل فى الأسماء الخاصة فى مثل : أُسَيْلِم (دليل الكامل للمبرد ، طبعة رايت ص ٩٠٩) ، والأُخَيْطِل – فى شعر جرير الهجائى ، (مذكور فى المفصل ص ٨٢ سطر ١١) . وفى : ما أحْسَنَه : ما أُحَيْسِنَه ، ولعل هذا الاستعمال الأخير للمصغر من تراكيب النحاة ، ولكن تصغير جمع التكسير للقلة مروى فى نصوص اللغة ، مثل : أُصَيْحَاب (تصغير أصْحَاب) ، (انظر : يوهان فك « تصغير الجمع [2] ») .

---

(١) استخدام عبارة « أدوات » هنا يشمل الحروف والظروف وغيرها مما يمثل علاقةً ما فى الجملة . (المعرّب) .

(٢) انظر: (J. Fuck, Z.D.M.G., Bd 90, 1936, p. 626 sq.) .

ودى ساسى فى كتابه (Gr., I, pp. 429 sq.) يقدم المصغر المصوغ من أسماء العدد في مثل : خمسة : (خُمَيْسَة) . أما الأدوات فقد صغرت : فوق على (فُوَيق) . وهكذا نرى جميع المجموعات النحوية التى يمكن أن تندرج تحت صيغة (فُعَيْل) المصغرة وفروعها [1] .

وقد وقع التصغير أيضاً فى أسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، ولكن دون ذلك صعوبة : فإن هذه الضمائر - فى صياغتها - خارجة عن نظام الأصل الاشتقاقى ، وصيغة « فُعَيْل » - التى تقوم على الأصل الثلاثى - لا يمكن أن تطبق عليها مباشرة . ولكنهم أخذوا من صيغة « فعيل » هذا العنصر الجوهرىّ المعبر (اى - ay) ، وقالوا مثلاً فى : هذا : هَذَيَّا hāḍayya [2] ، وفى : الذى : اللّذَيَّا 'allaḍayyā [3] .

ثانياً : تفضيل الصيغ ذات الإيقاع الصاعد :

الملاحظة الثانية : ذكرنا فى عرض المراتب السبع ما لم يحفظ من الأوزان ، ولا شك أن القيام ببحث حول الصيغ الموجودة يبين - فى سرعة - عن أن اللغة العربية لم تستعمل قدراً متساوياً من الصيغ التى اختارتها ، فقد فضلت صيغاً على أخرى : فالصيغ ذات الإيقاع الصاعد ، أعنى : التى تبدأ من مقطع قصير ثم تستمر على مقطع طويل (وإجمالاً : الصيغ ذات الإيقاع الموافق لما يسمى بالوتد المجموع Rythme iambique) ، هذه الصيغ تكاثرت كلماتها إلى أقصى حد ، وهى صيغ المرتبة الرابعة : فَعَال ، وفِعَال ، وفُعَال ،

---

(١) يمكن أن نقارن هذا فيما يبدو بسلوك بعض اللهجات الألمانية ، وقد سجل E. Littmann هذه الملاحظة بمناسبة حديثه عن التصغير العربى قال : « يستطيع المرء فى بعض اللهجات الألمانية أن يستعمل نهايات التصغير فى كل الكلمات الممكنة » .

(٢) ذَيَّاكَ الغزال - ذكرها J. Fuck فى « العربية » ص ١٥٨ - فقرة ١٠ (طبعة ألمانيا ص ١٠٤) .

(٣) اللسان - مجلد ١٥ ص ٢٤٦ ، وبالنسبة إلى « اللّتَيّا » - انظر ص ٢٤٠ طبعة بيروت . وسوف يأتى موضوع تصغير الإشاريات والموصولات (انظر ص ٢٠٩) .

وفُعّيل ، وفَعِيل ، وفَعُول ، وفُعُول . وفى هذا تناقض غريب مع المرتبة ذات الإيقاع العكسى ، وهى المرتبة الثالثة : التى تبدأ بمقطع طويل ثم تثنى بمقطع قصير ، ويطلق على هذا الوزن (Trochaique) ، إذ يلاحظ أولاً أن عدداً كبيراً من الإمكانات قد أهمل فى هذه المرتبة ، ومن ناحية أخرى نجد أن صيغة « فَاعَل » لا تمثلها سوى ثمانى كلمات ذات أصل أعجمى ، أشهرها خَاتَم ، وطَابَع ، وعَالَم .

وتدين صيغة فَاعل بكثرتها الكثيرة لوظيفتها الصرفية ، من حيث هى (اسم فاعل) ، أما صَيغتا فَيْعَل وفَوْعَل فهما وحدهما اللتان تمثلان مجموعة من الكلمات لا يستهان بها ، وقد سجل السيوطى فى المزهر تسع عشرة ومائة كلمة للصيغة الأولى ، وثمانياً وثمانين للصيغة الثانية [1] .

فإذا جئنا إلى الصيغ المضعفة فى المرتبتين الخامسة والسادسة ، كان على القارىء أن يلاحظ جيداً معنى ما نريد قوله هنا : إذ يتبين لنا نوع من التفضيل بالنسبة إلى المرتبة السادسة ، وهو ما ينبغى أن نتذكره من تفاصيل عرضنا لهذه المراتب .

مقارنة بالأوزان المستعملة فى الشعر

ليس من قبيل المصادفة أن نلاحظ فى الشعر إيثار الأوزان ذات الإيقاع الصاعد : الطويل ، الكامل ، الوافر ، البسيط . ولقد قام ج . فاديه J. Vadet (وزملاؤه) بتحقيق فكرة إحصاء الأوزان وتصفيتها فى كثير من الدواوين ، فى بحثهم : (إسهام فى تاريخ العروض العربى) المنشور فى Arabica, t. II,) 1955, pp. 313-321 (، فأتاحوا لنا بذلك التوسع فى المقارنة التى قمنا بها

(١) ومع ذلك يجب أن نفرق فى هذه القوائم الطويلة بين الأسماء والصفات والأعلام ، وأسماء الأماكن ، والأسماء ذات الأصل الأعجمى ، كما نميز الخطأ فى كلمة (ضيفن) ، بوزن فَيْعَل = ضيف + ن ـ dayf + an ، فقد ذكر المزهر كل ذلك مختلطاً .

على أساس إحصاءات ضيقة ، سقناها نماذجَ نسبر بها طبيعة الموضوع ، وقد أظهر هذا الإحصاء تطوراً حدث بين عهدين ، متجسداً فى لوحتين (ص ٣١٥ ، ٣١٧) .

ولسوف نقف أمام أولاهما [1] : وهى التى تصور العهد الأول ، عهد الشعر البدوى ، إذ إن ذلك يتفق مع دراستنا للعربية : لغةَ الصحراء .

تمت الإحصاءات على أشعار الحطيئة ، وحسان بن ثابت ، وجميل العذرى ، والأخطل ، وكثير عزة ، وذى الرمة ، والفرزدق ، وجرير ، والكميت . (نقلاً عن الطبعات المشار إليها ـ ص ٣١٤) ، وزاد على ذلك دواوين ستة من الشعراء العرب القدامى ، منشورة بوساطة أهلواردت Ahlwardt . ونحن نغفل عمر بن أبى ربيعة ، لأنه ينتظم بين شعراء العصر الثانى ، أصحاب الشعر الحضرى .

ولسنا نفرق فى حسابنا بين القصيدة وجزء القصيدة ، فكلاهما شاهد على استخدام وزن معين .

ولسوف نجد بين هذه الأوزان بحور : الطويل ، والكامل ، والوافر ، والبسيط ، والرجز ، والمتقارب ، والخفيف ، والسريع ، والرمل ، والمنسرح ، والمديد ؛ فهذه أحد عشر وزناً ، من الأوزان الكاملة ، دون أن نعد الأوزان المجزوءة : مجزوء الكامل (١٠) قصائد و (١٤) جزءاً من قصيدة ، أى (٢٤) ، والمجتث (قصيدة واحدة) ، ولم يرد شىء من الهزج .

---

(١) وهى تشمل بكل أسف معلومات غير دقيقة : المديد (.Fr) اقرأ فى المجموع (٦) وليس (٥) والمتقارب (.P) اقرأ حسان : ١٣ لا ٣ ، ولكن يبقى أيضاً فرق (٢) فى المجموع (٢٤) ، والبسيط : (.Fr) والمجموع الكلى يجب أن يكون ١٤٤ لا ١٦٢ ، وقد ارتضيت الرقم ١٦٢ .

فمجموع القصائد والمقطوعات يصل إلى ٢٢٩٣ ، منها ٢١٢٦ ترجع إلى أربعة أوزان ، أى ٩٢,٧١ ٪ تبعاً للنسب الآتية :

الطويل :	١١٥٦	٥٠,٤١ ٪
الكامل :	٤٠٢	١٧,٥٣ ٪
الوافر :	٣١٥	١٣,٧٤ ٪
البسيط :	٢٥٣	١١,٠٣ ٪

أما الأوزان الأخرى الأحد عشر فقد جاء منها ١٦٧ مقطوعة ، أى ٦,٣٩ ٪ :

الرجز :	٥٦	٢,٤٤ ٪
المتقارب :	٥٤	٢,٣٥ ٪
الخفيف :	١٦	٠,٦٩ ٪
السريع :	١١	٠,٤٨ ٪
الرمل :	١٠	٠,٤٣ ٪
المنسرح :	١٠	٠,٤٣ ٪
المديد :	١٠	٠,٤٣ ٪

ولو أننا فحصنا الأوزان الأربعة (المتميزة) فسنلاحظ أن فيها كلها ـ سواء فى بداية وحدتها الإيقاعية الأساسية أم فى نهايتها ـ مجموعة الوتد المجموع واضحة ، بحيث تظل ثابتة لا تمس وسط التغيرات التى يمكن أن تحدث لهذه الوحدة الإيقاعية (ونحن نبينها) :

الطويل :	فعولن مفاعيـلن
الكامل :	متفاعـلن
البسيط :	مستفعـلن فاعـلن
الوافر :	مفاعلـتن

وهكذا نرى أن تفوق الطويل ساحق ، أليس هو شعر الفروسية ، وهو الوزن ذو الإيقاع الصاعد بأتم معناه ؟

أما المتقارب والرجز فهما يكونان صورة متواضعة ، وإن كانا يتقدمان على الأوزان الخمسة الأخرى ، إذ إن فى المتقارب مجموعة الوتد المجموع السالفة الذكر ، فى وحدته الإيقاعية الأساسية : « فعولـن » ، وكذلـك الرجـز : « مستفعلن » . بيد أن هذا الأول قد لاقى حظوة : فقد وردت منه (٥٤) مقطوعة ، ولكن هذا التكرار فى « فعولن » لم يمنحه غير قليل من الشاعرية والشيوع ، فهو لا يبدو وزناً (كبيراً) ، شأن الأوزان الأربعة الأولى .

وللرجز حالة خاصة ، فقد كان زهيد القيمة ، شديد البساطة ، شديد القرب من النثر ، وهذا جميل بالنسبة إلى موقف الارتجال لدى الشاعر الشعبى .

وقد أجريت تصنيفاً للشواهد الشعرية التى رويت فى «كتاب الأضداد » للأصمعى ، ولابن السكيت ، المنشورين بإشراف الأستاذ أ . هفنر (بيروت ١٩١٣) ، وعدد هذه الشواهد ٤٠٦ موزعة كما يلى :

الرجز :	١٢٧	المتقارب :	١٣
الطويل :	١١٤	الرمل :	١٥
الوافر :	٤١	الخفيف :	١٠

الكامل :	٣٩	المنسرح :	٨
البسيط :	٣٣	السريع :	٦
المجموع :	٣٥٤	المجموع :	٥٢

هذان الكتابان فى (الأضداد) ، وهما كتابان تعليميان ، أخذا شواهدهما الشعرية من جميع مجالات الشعر البدوى ، وقد احتل الرجز القمة ، متقاسماً مع الطويل تفوقاً ملحوظاً .

وعنصر إيقاع الوتد المجموع المذكور هو صائغ الإيقاع الصاعد : فيبدأ الصوت بمقطع قصير ، ثم يمتد إلى مقطع طويل ، إحساس بالاجتذاب إلى أمام ، وشعور بوثبة واندفاعة ، يحتَمل تعزيزها بارتفاع الصوت على هذا المقطع الطويل من أجل النبر الموسيقى ، مع كثير أو قليل من تموج الصوت بحسب الأوزان .

ألا يمكن أن يكون هذا هو السبب ، أو أحد أسباب الجاذبية الخفية لوزن الطويل ؟ ... ولسوف نجد هذه المسألة الناشئة عن الوتد المجموع مثارة لدى مؤلفين آخرين . فإذا لم نحل المشكلة برمتها ، فليس معنى هذا أن الحديث عنها غير ذى موضوع .

وهناك واقع آخر هو أن الأوزان القليلة الحظ من الشيوع ، وهى : الخفيف والرمل والمنسرح والمديد ، تتخذ لنفسها مسلكاً آخر بما تضمنت من عنصر ثابت فى وحدتها الإيقاعية . وربما بدا أن السريع فى الظاهر على النقيض منها ، إلا أنه لشدة قربه من الرجز قد أغفل أمره ، من أجل ذلك النقص الدقيق فى ذاتيته . ويبقى أن نفسّر صعود هذه الأوزان الثلاثة فى الشعر الحضرى ، وهى الخفيف ، والمنسرح ، والسريع . وقد حاول ج . ڤاديه J . Vadet أن يكتب

بداية تفسير لهذه الظاهرة ، لا سيما حين وضع علامات استفهام ، وكذلك فعلنا ، وهى إشارات لا تخلو من فائدة .

ويبقى ، بالنسبة إلى موضوعنا ، أن نلاحظ فى هذه العربية الصحراوية - من الجانب الصرفى - نمواً كبيراً فى الصيغ ذات الإيقاع الذى وصفناه بالصاعد ؛ صيغ (المرتبة الرابعة) [1] ، كما نلاحظ من ناحية أخرى - فى شعر هذه العربية حظاً كبيراً ، بل أكبر الحظ للأوزان التى أطلقنا عليها أيضاً « ذات الإيقاع الصاعد » ، والمقارنة بين هذين الجانبين من أهم ما ينبغى أن يكون .

ثالثاً : تفضيل الصامت :

الملاحظة الثالثة : لا وجود فى العربية الفصحى لصيغتى : فَعّل وفَعّل ، ويندر وجود صيغة : فَعّل . فهناك إذن - مجال للقول بأن صيغ : فَعّال ، و * فَعّيل ، فعّيل ، وفَعُّول تجىء من صيغ : فَعَال وفَعِيل وفَعُول ، مزيدة بتضعيف الصامت الثانى من الأصل . وقد حصلت العربية على هذه الصيغ الأخيرة بإطالة المصوت القصير الثانى ، فى كلمات المرتبة الثانية . فلماذا لم تطل - فى عملية التدرج - المصوت القصير الأول بدلاً من اللجوء إلى تضعيف الصامت الثانى من الأصل ...؟ ولربما ظل الوزن الإيقاعى [2] حينئذٍ كما هو ، لأن الإيقاع فى : « فَاعَال » و « فاعيل » و « فَاعُول » ، هو هو فى « فَعّال » و « فَعّيل » و « فَعُّول » ، أعنى : مقطعين طويلين .

لقد ذكرنا فى بداية هذه الدراسة مدى التناقض بين عدد الصوامت وتنوعها . وبين قلة أنواع المصوتات ، وقد سجلت العربية - تبعاً للاحتمال

---

(١) هو تفضيل وليس تخصيصاً ، ومن ناحية أخرى نجد أن وضع الشىء بإزاء نقيضه مفيد ، حتى لو لم يكن الهدف منه يتعدى إبراز قيمة الجانب الأفضل .

(٢) المقصود به الوزن العروضى .

العقلي ـ في هذا الباب أيضاً إيثارها للأصوات الصامتة : فالمصوتان الطويلان في حالتنا هذه يثقلان النطق ، ويسمانه بالتراخي ، وقد سمح التضعيف ـ على العكس من ذلك ـ بانطلاق الكلام واضحاً وقوياً .

أما صيغة « فاعول » [1] فلم نجد منها سوي بضع كلمات عربية خالصة ، دون أن نعثر علي غيرها [2] . وبعد أن انساحت اللغة خارج الصحراء صادفت هذه الصيغة بعض النمو ، وقصة هذا النمو جديرة بالذكر ، فربما لاحظنا من بين ما نلاحظه تأثير السريانية ، الذي منح – دون شك – لغة الصحراء كلمات بهذه الصيغة ، فقد نمّت السريانية ، علي نطاق واسع ، صيغة « فَاعُول » التي اتخذت منها صيغة اسم الفاعل ، (واستخدمت أيضاً فَاعِيل) ، وتبعاً لتأثير السريانية أصبحت صياغة « فَاعُول » حية كاملة النمو في اللهجة اللبنانية .

---

(١) سجلها بروكلمان في : (Gr., I, p. 343) .

(٢) قد كان من السهل قبول صيغة مثل فَيْعُول ، أفلا يرجع هذا في الحقيقة إلى عدم وجود مصوت مزدوج بمعنى الكلمة ، لأن الياء (y) محافظة على نطقها من حيث هي صامت .. ؟ .. (انظر المذكرة رقم ١) .

رابعاً : استخدام الصيغ فى اللغة الانفعالية [1]

الملاحظة الرابعة : ينبغى فى أية لغة من اللغات أن تجد عاطفة الإنسان تعبيرها بطريقة أو بأخرى . فالفرنسية تستخدم طريقتها الشائعة فى الصياغة : طريقة الإلصاق ، كما أنها تعبر عن التصغير أو التحقير سواء أكان ذلك فى الأسماء أم فى الأفعال ، (انظر فيما سبق ص٧٣) : فكلمة : maison (منزل) مثلاً ، مصغرها : maisonnette ، وكلمة : marmot (أحد معانيها طفل صغير) تحقيرها : marmaille ، والفعل : trotter (خبّ فى مسيره) تصغيره : trottiner ، والفعل : fouetter (جلَدَ) تحقيره : fouailler .

وقد استخدمت العربية طريقتها الأساسية فى التحول الداخلى ، وهو ما يجب أن نلاحظه جيداً ، لأن هذه الطريقة فى التعبير بعيدة تماماً عن العادات اللغوية الرومانية ، بما امتازت به من تعبير اللغة الانفعالية .

فالكلمات ذات المصوت القصير أو المصوتين القصيرين (المرتبة الأولى والثانية) تقدم لنا مضمونها ـ إن صح القول ـ دون قصد خاص يصحبها [2] ، وإطالة المصوت الثانى (المرتبة الرابعة) تضيف رنيناً خاصاً [3] . أما صيغتا : « فَعيل وفَعُول » فقد قرر « رايت » بشأنهما ما يأتى : تشير الصفات التى بزنة فَعيل وفَعُول ، وبخاصة هذه الأخيرة ـ غالباً وكما يتضح من الأمثلة السابقة ـ إمَا إلى درجة عالية فى الوصف المعين ، وإما إلى حدث يتكرر وقوعه ، أو يحدث بقوة كبيرة ، ولذا أطلقوا عليها : أبنية المبالغة .

---

(١) مقال ك . بروكلمان : Deminutiv und Augmentativ in Semistischen التصغير والتكبير في السامية] – يعد ذا أهمية كبيرة هنا .

(٢) ومع ذلك إن صيغة فُعَل قد استخدمت لتعيين كائنات ذات مظهر سيء (حقير) نحو : زمل – (ضعيف جبان) ، وغُدَر (خائن) ، وهلَع (الحريص) .

(٣) استطاع التضعيف أن ينتج نفس الأثر ، فجاء من كلمة « زُمَل » : « زُمّل » .

وقد استطاعت صيغة « فَعُول » أن تحتفظ بقوة معينة فى التعبير عن الصفة أو الحدث ، وقد صارت « فَعيل » فى الواقع صيغة بسيطة معتادة لاشتقاق الصفة (عندما توجد هذه الصيغة) . وقد أورد السيوطى فى المزهر (جـ ٢ ص ٢٤٣) « فَعُول » ضمن أبنية المبالغة ، ولكنه لم يذكر « فَعيل » كما لم يذكر « فُعَال » .

وصيغة « فُعَال » هذه كانت جديرة أن تدرس وتروى ، ولكن كان لابدّ من التفرقة .

لقد درس نولدكه [١] هذه الصيغة المعقدة : وكانت قديماً للتصغير ، ولكنها حين ابتذلت خاصتها التعبيرية خرجت من الاستعمال ، تاركة بقايا ، وحلت محلها فى العربية صيغة « فُعَيْل » . وهناك مجموعة من الكلمات على هذه الصيغة تعبر عن الانحرافات والأمراض ، وذلك نحو : صُدَاع ، وسُعَال .. إلخ ... (وهو استعمال للتحقير) ، وهناك مجموعة أخرى تُسْتَخْدَم مصادر لأفعال تدل على الحركات أو الضوضاء مثل : شُرَاد (ومعناه التيه للحيوان الأليف) ، وصُرَاخ ... إلخ ... وهناك صفات أو أسماء تدل على معنى تصغير التحقير ، وذلك مثل : خُفَاف ، وقُرَابة ، وأخيراً هنالك صفات تكبير مثل : عُظَام وكُبَار وهُمَام .

كذلك نلاحظ أنه بالنسبة إلى صيغة واحدة ـ قد تبتذل قدرتها على الإبانة عن (التصغير) ، أو تبقى لها دلالتها على (التحقير ، والتكبير) .

ولم تعد المصادر من صيغة « فُعُول » المستعملة كثيراً ، تقدم معنى خاصاً بالقياس إلى مصادر صيغة : « فُعُل » ، التى هى من ناحية أخرى قليلة العدد .

---

(١) انظر : (Beitrage Z., Semit. sprachwissenschaft, strassburg, 1904, pp. 30-33) أو إسهام في علم اللغة السامية .

والصفات من صيغة « فِعَال » لم يعد لدينا منها سوى بضعة أمثلة .

أما « فَعَال » ، وهى صيغة ذات استعمال معقد ، فلم يعد ممكناً أن نكشف إلا عن قليل من خاصتها البيانية فى تلك الصفات القليلة ، التى تسير جنباً إلى جنب مع صيغة : فُعَال ، بمعنى واحد ، مثل : عَقَام وعُقَام (مرض خطير) .

وقد فعل الاستعمال الطويل فعله : فقد ابتذلت خاصتها البيانية ، كلها أو جلها ، ووجب أن تتجدد مرة أخرى ، ولا غرابة فى ذلك ، فكل اللغات توجد أمام هذه الضرورة ؛ ضرورة تجديد وسائلها البيانية ، وكل منها تعالج ضرورتها بحسب عبقريتها ، وقد استخدمت العربية هنا طرق التحول الداخلى ، وذلك بتضعيف الصامت الثانى من الأصل الثلاثى (انظر فيما مضى ص ١٠٦) ، وأدى ذلك إلى صياغة كلمات من نموذج المرتبة السابعة ، مثل : فَعَّال ، و* فَعِّيل ، فعِّيل ، وفَعُّول ، وفُعَّال . ولا زال معنى هذه الصيغ فى العربية الحديثة معبراً قوياً . (انظر الأمثلة المسوقة من قبل) .

وفى العربية الفصحى صيغة خالية من التضعيف ، احتفظت بقدرتها البيانية كاملة ، هى صيغة « فُعَيْل » للتصغير ، وقد تحدثنا فى هذه الصيغة كثيراً . وهذا يرجع – فى رأينا – إلى أنها كانت أكثر حداثة ، فقد جاءت بعد « فُعَال » ، وكان تغيير المصوت الطويل إلى مصوت مزدوج (فُعَال ، فُعَيْل) كافياً لتجديد خاصتها البيانية . (انظر المذكرة رقم ١٢) .

وعندما تحدث النحاة العرب عن التصغير قدموا « فُعَيْل » ، وكذلك يفعل النحو الأوربى ، ونتيجة لهذا نجد أن أى دارس لا يعرف للتصغير سوى صيغة « فُعَيْل » ، فليس إذن مما يميِّز « فُعَيْل » مطلقاً أنها تعبِّر عن التصغير ، فإن هذا اللون الانفعالى أكثر شيوعاً فى اللغة العربية ، فبالنسبة إلى صيغة معينة غالباً ، بل

إلى كلمة معينة من هذه الصيغة ، لا يوجد هذا اللون وحده ، ولكنه يوجد مع مقابله : التكبير .

إن تصغير اللغة الفرنسية لا يستدعى تكبيراً [١] ، فهذا التلازم غريب عن لغتنا ، ولكن الظاهرة التى نحن بصددها ليست فى الواقع غريبة ، فالتصغير والتكبير طريقتان متوازيتان للابتعاد عن مركز الوسط ، هما لونان عاطفيان متعارضان ، بينهما علاقة متبادلة ، بحيث يستدعى أحدهما الآخر ، واجتماعهما فى تعبير واحد ، أو صيغة واحدة يعتبر فى اللغة الانفعالية حالة شبيهة بحالة الأضداد [٢] . وكما يقول المثل الشعبى : « الأضداد تتداعى » .

وفى اللغة اللاتينية أيضاً بعض الأضداد ، مثل : (altus) : « مرتفع وعميق » ، فيقال : mons altus (جبل مرتفع) ، و puteus altus (بئر عميقة) ، وأكثر من ذلك أنه قد يتلاقى المتباعدان ، ويجتمع النقيضان . (انظر فيما يلى ص ١٣١) .

وصيغة « فُعّيل » التى تعبر ـ كما هو معلوم ـ عن التصغير يمكن أيضاً أن تعبر عن التكبير ، وهذه الخاصة مجهولة عادة ، ولكن رايت [٣] ذكرها فقال :

---

(١) فى الفرنسية لواحق للتكبير هى : ail - as - on فى مثل caisson, coutelas, portail ولكنها لا تؤدى سوى دور بسيط (انظر Brunot الفكر واللغة La pensée et la langue ص ٦٥٧) ونحن نفضل استخدام صفات مثل : grand, immense, colossal إلخ .. أو بعض الأدوات مثل fortement, beaucoup, extrêmement إلخ ...

(٢) قارن ملاحظة E. Littman Z.S., t. IV, p. 29 قال : « معنى ذلك أنه لا يوجد فى اللغة العربية كلمات أضداد فحسب ، بل يوجد أيضاً تراكيب أضداد » . وقد ذكر فى « الأضداد » كلمات تدل على الكِبر والصغر معاً ، ولكنها هنا ترد أفكاراً بسيطة : « أمِرٌ أمَمٌ » (كبير أو صغير) رقم (١١٣) ، وأزر (قوة أو ضعف) (رقم ٣٧٤) ، وجلَل (كبير أو صغير) (أرقام ١١٢ و ٢٨١ و ٤٢٥) ، ومن ناحية أخرى : بذر badr (للقليل والكثير) وأرقام (٤١ و ٢٢٩ و ٣٨٨) . (ارجع إلى الأضداد طبعة A. Haffner بيروت ١٩١٣) .

(٣) انظر : (I, p. 66, 269 Rem. a) .

فُعَيّل (للتكبير) بحسب تعبيره - وهى التى تدل على التعـظيم عند النحاة العرب . والواقع أن الملاحظة قديمة ، فإن ابن يعيش فى شرحه للمفصل (ص ٧٠٩ طبعة Jahn) بعد أن قدم ثلاثة معان أولية للتصغير بوساطـة « فعيـل » ذكـر معنـى رابعـاً (سطر ٢٠) هـو على وجـه التحديـد « تصغير التعظيم » وذكر أن ذلك من إضافة نحاة الكوفة ، كما ساق لذلك شاهدين من نصوص الشعر هما : دُوَيْهِيَة من : « داهية » ، و « جُبَيْل شاهق » ، من : « جبل » ، ثم قال : « وليس ذلك فى مذاهب البصريين » (ص ٧١٠ سطر ١) . وهو بحكم ولائه لمدرسته يفسر هذين المثالين تفسيراً مخالفاً ، والراجح هو رأى الكوفيين .

وقد ذكر رايت فى المرجع السابق أربعة أخرى ، وهناك ثلاثة غيرها عند هويل Howell [١] .

ولسوف نعيد ذكر الصيغ التى يمكن أن نجد فيها التعـبير عن التصـغير أو (التحقير) و التكبير ، وذلك بالنسبة إلى الصيغة ذاتها :

أولاً : **فَوْعَل** : تكبير : شَوْغَر (قوى شديد) ، وكَوْثَر (خصب) .

تصغير : جَوْزَل (فرخ الحمام) ، ودَوْبَل (جحش) .

ثانياً : **فَيْعَل** : تكبير : فَيْصل (قاض)

تصغير : حَيْدَر (الحصى الصغير) .

ثالثاً : **فُعَال** [٢] : تكبير : كُبَار (كبير) ، وهُمَام (شهم) .

تصغير : تحقير : خُفَاف (خفيف) ، وقُرَابَة .

---

(١) انظر : (Ar. Gr., part. I, p. 1165) .

(٢) وهى التى كانت قديماً للتصغير ، انظر فيما مضى ص ١١٦ ، وإليها ترجع كلمات مثل : حوار huwar (الجمل الصغير فى عامه الأول) ، وغـلام (العبـد الصغير - أو الولد) .

رابعاً : فُعّال : تكبير : حُسّان (جميل جداً) .

تحقير : زُمّال (ضعيف) .

خامساً : فُعَيْل : تكبير : ضُرَيْطَة (ضخمة) .

تصغير : (مع رائحة التحقير) : عُقَيْب (نسر صغير)[1] .

تحقير : زُمَيْل .

سادساً: فَعّال : تكبير : عَلّام (عظيم العلم) ، ونَسّاب (جيد المعرفة بعلم النسب) .

تحقير : صَخّاب (شديد الصخب) ، وطَمّاع (شديد الشراهة) .

سابعاً : فَعُّول : تكبير : حَسُّون (جميل جداً) ، وفَرُّوق (فزع جداً) .

تصغير : استخدام صيغة فَعّول للدلالة على التصغير في اللهجات من مراكش إلى العراق يفترض نوعاً من القدم في اللغة .

ثامناً : فِعّال : تكبير : خنّاب (جَسيمٌ ، طويل) ، أو (كبير الأنف) تصغير – التحقير : دِنّاب (قصير القامة) .

تاسعاً : فِعْوَل : ضِرْوط (كبير الضراط) ، وهِلْوَف (رجل مسترسل اللحية) .

عاشراً : فُعَائِل[2] :

---

(١) انظر ل. ليتمان [Z.S., Bd., IV, 1926, p. 38] .

(٢) لعلها في الأصل : فُعَيْلُن ثم تطورت إلى : فُعَايُلُنْ ، ثم فُعَايِلُنْ ، ثم : فُعَائِلُنْ .

تكبير : جُرائد (غليظ) .

تصغير : حُطَائط (الصغير من الناس) [1] .

ملاحظة : تصلح الصفات أو أسماء الفاعلين ـ بخاصة ـ لإبراز الألوان الانفعالية ، في الصيغ المزيدة بالتحول الداخلي ، فإذا ما استعملت في أساليب النداء فإن الألوان التي اختيرت من أجل التعبير عنها تميل إلى أن تضعف بطول الاستعمال ، حتى إنها ربما لا تعبر إلا عن مجرد فكرة بسيطة ، كما في المثال : (فَيصل) بمعنى (قاض) ، بيد أن هذا هو الاختيار الأول الذي يظل ذا دلالة على الألوان ذات الأهمية ، وهي ملاحظة يصدقها ما يلي من هذا الكتاب .

ويطلق على التصغير (تصغيراً كيفاً وهيئة) عندما يصبح وسيلة ملاطفة وتودد .

كما أن التحقير يخلع على الكلمة معنيٍ عكسياً ، ومن الممكن الانتقال بسهولة من التصغير إلى التحقير ، فالتصغير يعقُب ببساطة الاحتقار . يقول ليتمان [2] : « من المعروف في كثير من اللغات أن التصغير يستعمل في الوقت ذاته للتحقير ، فلو وصفنا شاباً بأنه مخطط كالنمر تصغيراً له ، فتلك شتيمة » .

والعلاقة وثيقة في العربية بين التصغير والتحقير ، وقد حققها أيضاً النحاة العرب ، فقال ابن يعيش صراحة في مستهل شرحه للتصغير من صيغة « فُعَيْل » : (اعلم أن التصغير والتحقير واحد ، وهو خلاف التكبير والتعظيم) [3] .

---

(١) كان المؤلف قد ذكر صيغة (إفْعَوْل) مثل : إسحوف (ذات ضرع سمين) ، للتكبير ، و (إدْرَوْن) : (الوسخ ـ الدرن) للتحقير ، وذلك في الطبعة الأولى ، ثم عدل عن ذلك هنا . (المعرب) .

(٢) انظر (Z.S., t . IV, p.38) .

(٣) ابن يعيش ص ٧٠٩ سطر ١١ .

ولهذا أثبتنا فى القائمة السابقة الصيغ ذات الدلالة على التحقير ، ثم إننا نستطيع من ناحية أخرى أن نلمس الأشياء من كلا طرفيها : فإن كثرة وقوع حدث مّا ، والدرجة العليا فى صفة مّا ، يمكن أن تصبح كلتاهما مستحقة للذام ، فالتكبير هنا يشمل التحقير ، فإذا وصف امرؤ فى هيئته بأنه : « كُبَار » فمعنى ذلك : أنه كبير وضخم (تكبير) ، وأنه بطين ومفرط (تحقير) ، وإذا وصف ثوب بأنه « رُقَاق » فهو أولاً ممدوح بأنه : « رقيق ، ناعم ، دقيق » ، وهو أيضاً تحقير للثوب بأنه « لا متانة له ولا قوام » .

ولسوف نذكر فيما بعد : فُجَافِج (كثير الكلام) ، وتِقْوَال وتِكْلام (للذى يتكلم كثيراً) على التكبير ، ولكن ذلك شديد القرب من : (ثرثار) على التحقير .

إن مفردة واحدة من المفردات الانفعالية تحتوى صعوبات كثيرة عند التحليل ؛ ولذا ينبغى معرفة جميع إشعاعات الكلمات حتى نحكم عليها حكماً كاملاً .

والواقع أن العرب فى معاجمهم أو قوائم الكلمات التى أثبتها علماؤهم لا يقدمون سوى تعريفات موجزة ناقصة ، فلا يدهش القارىء إذا مااستطاعت هذه الظروف أن تؤثر على ترجمة الأمثلة وترتيبها . ولكن يبقى من الحق أن العربية الفصحى تستخدم تحولها الداخلى لبناء مفرداتها العاطفية ، سواء أكان هذا التحول الداخلى وحده (كما سبق أن رأينا) أم كان مقروناً بالتكرير أو الإلصاق (على ما سنرى فيما بعد) ، كما أن العربية تقرن فى أوزانها المبالغة بالتكبير [1] ، والتصغير بالتحقير ، (رقم ٣ فى المذكرات) .

---

(١) من المستحسن أن نقصر المبالغة على الحدث ، والتكبير على الحالة ، أى : على الاتصاف بصفة ، بيد أنه فى مجال الأسماء تختلط الأشياء وتتراكب ، إذ يدل كل منهما على حدث أو صفة ، ولكنا لكيلا نعقد عرضنا العام اقتصرنا على التكبير ، أما فى الأفعال فسوف نستعمل بالمثل : المبالغة فحسب ، من حيث هى كلمة عامة .

وفى ختام هذا العرض الأول عن الصياغة الاسمية يظهرلنا كل ما استطاعت العربية الفصحى أن تستخرجه من أصلها الثلاثى بوساطة التحول الداخلى وحده ، فهذه الثروة اللفظية الخطيرة تستمد خصائصها من ذلك التحول الداخلى . فالداخل ـ فى الواقع ـ هو الذى كان عرضةً للتأثير ، بأن كُبِّر ونُفِخَ فيه ـ إن صح القول ، حتى كأن الحجم هو الذى يعنى [1] ، وليس الامتداد فى الطول ، ومع ذلك إن العربية لا تجهل هذا الامتداد الطولى .

ب ـ التحول الداخلى وتكرار صوامت الجذر

استطاعت العربية إطالة جذرها الثلاثى بالتكرار ؛ تكرار صامت أو اثنين من هذا الجذر ، وكان هذا مقرراً وثابتاً فى منطق استخدام الجذر ، ولكن إذا كان التضعيف لم يغير منه صفته الثلاثية ، فإن هذا التكرار سوف يبنى جذوراً رباعية [2] ، بل خماسية أيضاً . ومع ذلك إن العملية لا تؤدى إلى شىء سوى إطالة الهيكل الصامتى ، وتتم صياغة الكلمات بنفس الطريقة : طريقة التحول الداخلى ، وعلينا إذن أن نقدم صيغاً كتلك الصيغ السابقة .

---

(١) عرف النحاة العرب هذه الظاهرة (انظر كتابنا Traité § 100 e)وعبروا عنها بمصطلح قوة اللفظ ، أى قوة الكلمة (الدالة) ، يقول ابن يعيش (ص ١٣٤٨ سطر ٤) فى : ستهم وهو كبير العجز ، ولاحظ الميم المضافة لتتحول الكلمة إلى رباعية ، مبالغة لتقوية المعنى . يقول ابن يعيش : (لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى) ، (وانظر أيضاً ص ١٠٦٩ سطر ٣ ـ ٥) لقد حدث هنا ـ فى رأينا ـ إلصاق لاحقة ، وهذا هو تكبير جسد الكلمة الذى يريدونه .
وحسبنا أن نرجع إلى ماكتبه ابن جنى فى الخصائص حـ ٣ ص ٢٦٤ ـ ٢٧٠) بعنوان : (باب فى قوة اللفظ لقوة المعنى) كيما نلاحظ أنه يتصور تكبير الكلمة من داخلها ، وهكذا يظهر لنا فى الشعور اللغوى العربى العلاقة بين تكبير الدالّ ، وما يضاف إلى المعنى من لون لغوى انفعالى . وقد ردد السيوطى رأى ابن جنى هذا فى الأشباه والنظائر حـ ١ ط . حيدر أباد الطبعة الثانية ٣٥٩) فى الفصل المعنون (ص ١٤٤) : (تكثير الحروف يدل على تكثير المعنى) .

(٢) كيف تطور هذا الأصل الرباعى فى الأسماء ؟ هذا موضوع صعب لما يعالج فى ذاته ، وليس لنا هنا سوى أن نلمسه لمساً خفيفاً . فقد حدث التحول فى الأسماء دون مراعاة لعدد صوامت الأصل ، ولكن الصياغة الفعلية تميِّز الفعل الثلاثى من الرباعى ، ولسوف نعرض فيما بعد المناهج الرئيسة فى تكوين أصل هذا الفعل الرباعى .

والتكرار الأول يمكن أن ينصب على الصامت الأول من الجذر الثلاثى بأن يتكرر بعد الثانى ، فلو عيّنا بالأرقام (١ و ٢ و ٣) الصوامت الثلاثة لهذا الجذر ، مستقلة فى نظامها ، فسنحصل بعد التكرار على الرمز : ٣١٢١ .

وميزة هذا التكرار أنه بقى داخلياً « بتضخيم » الحجم ، ومن الأمثلة على ذلك فى الأفعال (وسنتحدث عنها فيما بعد) : الفعل « طَرِبَ » (اهتز واضطرب فرحاً وحزناً) ، وقد جاء من أصله « طَرْطَبَ » (اضطرب الماء فى الجوف أو القربة) .

بيد أن هذه الطريقة نادراً ما تستعمل فى الأسماء ، ومع ذلك فهناك بضعة أمثلة تشير إلى أنها لم تكن مجهولة ، (لكنها هنا بتضعيف الصامت الأخير) :

فيقال : (قَهْقَرٌ) وهو الحجر الأملس الأسود الصُّلْب ، من « قَهْر » : (إكراه – عنف) .

و « قُسْقُبٌ » : الغليظ والله أعلم [1] ، من « قَسْبٌ » : (اليابس) ، وسنمضى فى بحث الصيغ التى لوحظت فى اللغة .

(١) اللسان – مجلد ١ ص ٦٧٢ ط . بيروت .

١ـ تكرار الصامت الثالث من الجذر الثلاثى

(الرمز ٣٣٢١)

أولاً : مع مصوتين قصيرين تأتى الصيغ :

فَعْلَل قَرْدَد (جبل ، وما ارتفع من الأرض) .

فُعْلُل وفُعْلَل : قُعْدُد وقُعْدَد (الخامل ، والجبان اللئيم القاعد عن المكارم) .

فُعْلُل وفِعْلَل : دُخْلَل (صفاء داخل الحُبّ) .

فُعْلُل : خُفْدُد (خفاش) .

فُعْلَل : عُنْدَد (مهْرب ، أو بُدٌّ) .

فِعْلَل : رِمْدَد (رماد كثير دقيق جداً) .

هذه الصيغ قليلاً ما أخصبت ، والكلمات القليلة التى جاءت منها هى من المفردات النادرة ، ضعيفة الاستعمال حتى فى القديم ، فقد اصطدمت بكراهة تكرار الصامت مرتين متواليتين ، حيث لا يفصل بينهما سوى مصوت قصير (مذكور فيما مضى ص ٦٥ـ ٦٦) .

ومن ناحية أخرى : إن إدغام صامتين في صورة صامت واحد مضعف يهدم الصيغ ، فتصبح : فِعْلَل : فِعَلّ ، وتصبح : فُعْلُل : فُعُلّ ... إلخ ...

وقد ترتب على هذا إيقاف التطور الصرفى [1] . وهى ملاحظة أدركها

(١) هنالك صيغ رباعية مع التضعيف وهي صيغة : فَعَلّل ، وهي تصطدم بنفس الكراهة ، ولكن بقيت ست كلمات مستترة في صيغة : فَعَلّل (انظر كتابنا : دراسات في علم الأصوات العربي ص ٢٦٤ ـ ٢٦٦) .

بذاتها العلماء العرب[١] ، ومع ذلك إن هذه الصيغ تعد حلقة فى سلسلة التقدم التالى .

ثانياً : مع مصوت أول قصير ، ومصوت ثان طويل تأتى الصيغ :

فِعْلال ـ فِعْلِيل ـ فُعلول ـ فَعْلُولة

وهذا النموذج (ولاسيما فى صيغة فِعْلال) أكثر وروداً من الأول ، ويبدو أن الذى حملهم على إطالة المصوت الثانى إنما هو رغبتهم فى إخفاء التكرار فى الأول ، وهو غير مرغوب فيه ، فقد كان العرب يشعرون أن المصوت الطويل هو خير فاصل بين الصوامت المتماثلة .

والصيغ الثلاث الأولى تقدم لنا لغة انفعالية (تكبير أو تحقير) :

فِعْلال : تكبير : شِمْلال (سريع ، خفيف ، رشيق) .

تحقير : طِمْلال (رثّ الثياب) .

فِعْلِيل : تحقير : رِعْدِيد (جبان) ، ورِعْشِيش (هلوع) .

فُعْلُول : تحقير : سُبْرُور (فقير) ، وبُهْلُول (متهكم) .

وتقع صيغة فَعْلُولَة fa'lul-at مصدراً ، كثيراً فى الجذور التى يكون الصامت الثانى فيها ياء أو واواً ، وهى تحل محل صيغة فُعُول ، التى تبدو فى هذه الحالة غير مستساغة فى النطق من الناحية الصوتية ، فمثلاً : بدلاً من النطق بكلمة بُيُون buyun (التى رويت أيضاً) قيل بَيْنُونَة baynūnat (< buyūn bayūnat > baynūnat) من بان يبين (افترق أو ابتعد) [٢]

---

(١) أبو بكر الزُبَيْدى (كتاب الاستدراك ص ٢٦ سطر ١٤ (طبعة جويدى) نقلاً عن سيبويه جـ ٢ ص ٤٤٣ سطر ١٢ - ١٨ (طبعة باريس) .

(٢) (نقلاً عن بارث Barth, nomb., p. 212) .

٢- تكرار الصامت الثانى والثالث من الجذر الثلاثى

(الرمز ٣٢٣٢١)

صيغة « فَعَلْعَل » : وقد أطال التكرار هنا الجذر وحده ، فصار خماسياً . وصيغة « فَعَلْعَل » هذه ذات لون خاص يوحى بالتكبير ، مثل : عرمرم : (جيش كثير العدد) ، أو ذات لون مثير لصورة مدلولها (تعبيرى وصفى) ، مثل : قَطَوْطَى : (للماشى بخطى صغيرة) ، وهذه الصيغة منتجة خصبة ، ولم تختف أيضاً من اللهجات ، إذ يقولون فى لبنان : حورور ḥawarwar (للصقيع) ، وجذرها: ح و ر / ḥwr ، (وهى فكرة البياض) ، وعرمرم (مطر السيل) ، (لهجية ، منقولة عن مفردات « بلو Belot » ص ٤٩٠) ، وعرمرم 'aramrami [1] .

والتكرار ، الذى يشغل هنا جانباً مهماً من السلسلة المنطوقة ، لا يبدو أنه يضايق المتكلم ، بل إنه على العكس يجعل للكلمة طعماً . ومع ذلك فقد نجد فيها إبدالاً فى مثل : عَقَنْقَل (فى عَقَلْقَل *) : (الوادى الرحب) ، وفى هذا أمارة محتملة على طروء ابتذال فى القدرة البيانية للكلمة . ولسوف نرى فى باب الأفعال – أن جميع الأفعال التى صيغت تبعاً لهذا النوع من المضاعفة قد (أبدلت) ، ثم هجرت صياغتها . وتطلق القواعد على هذا الوزن صيغة نادرة ، وهى الصيغة الثانية عشرة : افْعَوْعَلَ .

٣- تكرار العنصر الثنائى (الرمز ٢١٢١)

إن التكرار ذا الميزة الخاصة هو ذلك التكرار الذى يبنى كلمة بوساطة مضاعفة عنصر ثنائى :

والعنصر الثنائى – سواء أكان جذراً ثنائياً قديماً ، أم كان ثانى الصامتين

(١) هكذا أوردها قاموس بارتلمى ص ٥٢٥ .

القويين من الجذر واواً أو ياء ، أم كان الصامتان الأولان فى جذور متماثل فيها الصامتان الثانى والثالث ، أم كان صوتاً ذا بناء ثنائى ، تقليداً لصوت من أصوات الطبيعة كالضجيج ـ هذا العنصر ذو الصامتين حدث تكراره ببساطة ، فأدى إلى بناء كلمات ذات صوامت أربعة ، وقد كان التكرار هنا ، وبكل وضوح ، مقصوداً لذاته ، ولكن من أجل هدف خاص ، فقد كان فى الواقع حرياً أن يعطينا أسماء أصوات ، أو على الأقل يوحى بها ويستدعيها .

فالكلمات التى بنيت هكذا هى بصفة عامة مفردات شديدة الإبانة عن مضمونها ، تمثل حركات وأصواتاً ، وضوضاء خاصة أو مميزة . وهى تستعمل بخاصة لتعيين الطيور ، والحشرات أيضاً ، (وهى فى أحيان قليلة أسماء للأشجار والنباتات والفاكهة) ، أو تطلق كذلك أسماء لأشياء خاصة من صنع الإنسان [١] .

ولسوف نرمز إلى الصامت الأول من العنصر الثنائى بالفاء (ف) ، وإلى الثانى باللام (ل) ، وبذلك نميّز فى يسْر المصوتات التى تتعاقب فى بناء الصيغ :

أ) فَلْفَلَة falfal(at) وفَلْفَال falfāl ، وهى صيغ كثيرة الورود ، مثل : بَعْبَعَة (صوت الزجاجة عند إفراغها) ، وبَقْبَقَة (صوت الزجاجة المغمورة فى الماء لملئها) ، وطَقْطَقَة (جَعْجَعَة الطاحونة) ، ودَرْدَار (صوت دقات الطبول [٢]) .

---

(١) انظر تحليل P. P. Jouon فى كتابه « دراسات فى علم الدلالة العربى » Mélanges U. S. J., Étude de sémantique arabe بيروت XI 1926, pp. 24-25 .

(٢) هو إذن من المشترك اللفظى ـ انظر اللسان ٤ / ٢٨٣ طبعة بيروت . والقاموس المحيط ٢ / ٢٨ الطبعة الثانية . (المعرّب) .

ومن أسماء الطيور : صَرْصَر ، ديك ، (وعلى وجه الدقة : الصيّاح) ، وعَقْعَق (غراب البين) ، ووَطْوَاط (خفاش ـ اسم طائر فى العامية) .

ومن أسماء الحشرات : فَسْفَس (البق) .

ومن أسماء الأشجار والنباتات : دَرْدَار (مُرَّان ـ شجرة لسان العصافير) [1] ، ونَعْنَع (نبت طيب الرائحة والمذاق) .

ومن الأشياء المصنوعة : خَلْخَل ، وخَلْخَال ، وقَبْقَاب .

ب) فُلْفُل ، وهى صيغة واردة كثيراً (ولكنها أقل من سابقاتها) .

ومن أمثلتها : بُلْبُل ، وهُدْهُد ، وصُرْصُر ، وفُلْفُل ، وخُلْخُل (حلية القدم) ، ولُؤْلُؤ .

جـ) فِلْفِلَة filfil-at [2] مثل : مشمش وسِلْسِلَة .

د) فُلْفُول fulfūl [3] مثل : صُرْصُور (كبير) ، وزُرْزُور .

هـ) فُلَفِل وفُلافِل [4] .

وقد جمع السيوطى فى مزهره الكلمات التى من هذا الوزن ، ولكن من جميع أصناف الكلمات الرباعية ، فملأت أربع صفحات (جـ ٢ صفحات ١٣٤ ـ ١٣٧) .

---

(١) انظر تحليل P. P. Jouon فى كتابه « دراسات فى علم الدلالة العربى » Mélanges U. S. J., Étude de sémantique arabe بيروت XI 1926, pp. 24-25 .

(٢) مع تضعيف الصامت الأخير : صِلْصِلّ (نبات) .

(٣) فَلفول في اللهجة اللبنانية : زرزور ، وربما تكون فُلفول ، قد جاءت من فَلفول بوساطة المماثلة .

(٤) صيغة فلَفِل (ورمزها ٢١٢١) لم تكن بداية انطلاق للتطور بوساطة التضعيف ، فقد جاءت من الرباعى ذى الصوامت الأربعة المختلفة (ورمزها ٤٣٢١) مثل : همَاقع وهمّاقع (ثمرة شجرة ذات شوك) ، وكذلك : عَدَبّس (قوى) ، وقِرْشَبّ (بطين) ، (وتضعيفه كما فى صِلْصِلّ) .

وهكذا استعملته اللغة القديمة على نطاق واسع . أما الرباعى الذى يهمنا فنجد منه :

ست كلمات بزنة فُلَفِل ، وإحدى وثلاثين كلمة بزنة فُلافِل . وهى من حيث كانت أقل تخصصاً من سابقاتها فى النوع التعبيرى الوصفى ـ تفيدنا كثيراً من أمثلة التكبير ، إلى جانب توارد معنى التصغير والتحقير عليها :

فمن التكبير : قُصَاقِص وقُضَاقِض : اسمان للأسد ، وفُجَافِج (ثرثار) ، وشَعْرَجُنَاجِث (غزير) .

ومن تصغير التحقير : ضُكَاضِك وكُلاكِل (حصى صغير) ، وبُلابِل ، وقُلاقِل (خفيف) .

جـ - التحول الداخلى والإلصاق

رأينا فى الفصل السابق وسيلة أولى من وسائل إطالة الكلمة بتكرار صوامت الجذر ، وهناك وسيلة ثانية هى : الإلصاق . وهى وسيلة تؤدى بنا إلى معالجة إلصاق السوابق واللواحق ، والنتيجة واحدة فى كلتا الحالين : أن تصبح الكلمة أكثر طولاً . بيد أنه على حين نجد فى الحالة الأولى أن طبيعة الجذر الاشتقاقى قد تغيرت (من ثلاثى إلى ما هو أكثر) نجد فى الحالة الثانية أنها لم تتأثر ، إذ يبقى الجذر ثلاثياً كما كان من قبل .

أما بالنسبة إلى المتكلم فإن الكلمة المتصلة بسابقة أو بلاحقة تتحلل عنده إلى : جذر + سابقة أو لاحقة ؛ فهو مدرك للجذر ، ويعرف كيف يستخرجه إذا ما عرض له عارض صوتى .

فمثلاً كلمة : « ميعاد » (بزنة مفْعَال ، مع زيادة السابقة « م » ، وأصلها و ع د : وَ عَ دَ ، وقد استتبع النطق بالسابقة « مِ ـ m » مماثلة فى

صـوت الواو وهو الصـامـت الأول فـي الجـذر) ـ جـمـعـهـا : « مَوَاعِـيـد mawā'īd » ، لا « مَيَـاعِـيـد mayā'īd » ، وتصـغيـرها أيضـاً : « مُـوَيْعِيد muway'īd » ، (لا مُيَيْعِيد muyay'īd) .

وتخضع السوابق واللواحق لنظام التحول الداخلى ، أو بالأحرى يحكم التحول الداخلى الكلمة بأكملها ، وبهذا نجد أن السوابق واللواحق [١] ذات نطق محدد بفعل الصيغة المأخوذة ككل ، وهذا طبيعى لأن : (الجذر الثلاثى + السابقة أو اللاحقة) يصوغان وحدة هى : الهيكل الصامتى لكلمة واحدة .

* * *

(١) قد يكون فائدة لهذا الكتاب أن يشير باختصار إلى أصلها . (انظر فيما بعد ص ٣١٧ وما بعدها) .

١ـ السوابق

أولاً : سابقة الهمزة

السابقة الأولى هى الهمزة ، وهى تتحمل مصوتاً مساعداً يضاف إليها للنطق بمجموعة أولية . (انظر فيما مضى ص ٥٧) ، والهمزة ليست سابقة صياغية ، وهى تتجلى بهذه الصفة فى :

أ) صيغة « أَفْعَلُ » (مؤنثها : فَعْلاء ، وجمعها : فُعْل) فى ما دلّ من الصفات على ألوان أو خصائص جسمية ، مثل : أَسْمَرَ (مؤنثها : سَمْرَاء ، وجمعها : سُمْر) ، وأَعْرَج (مؤنثها : عَرْجاء ، وجمعها : عُرْج) ؛ وفى هذه الصيغة تدل « أفعَل » على التفضيل مثل : « كبير » حيث يأتى منها : أَكْبَـرَ (ومع الأداة تصبح : الأكبر) .

وهذه الصيغة « أَفْعَل » من الصيغ الجية فى كلا الاستعمالين (انظر كتابنا Traité §89-90 ، وانظر ما يلى ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠) [١] .

ب) وتقع هذه السابقة فى جمـوع التكسيـر التى للقلـة (من ٣ ـ ١٠) ، فى صيغ « أَفْعال » و « أَفْعِلَة » و « أَفْعُـل » ومـن أمثلتهـا : أَجْمـال (مفرده : جمل) ، وأَغْرِبة (مفرده : غُراب) ، وأَشْهُر (مفرده : شَهْر) وانظر فيما مضى (ص ٩٠) .

---

(١) يعبر عن صيغة المنصوب للتفضيل الفرنسية ـ فى العربية بصيغة أَفْعَل ، غير أن هذه الصيغة تتجاوزه . انظر تقريرنا عن تطور أَفْعَلُ إلى أَفْعُول . فى (Traité § 90 n) .

ثانياً : سابقة الياء

سابقة الياء قديمة ، ولكنها في العربية لم تعد حية ، فهى قد أعطت بعض الأسماء الخاصة : كالأشخاص ، وآلهة الوثنية ، والقبائل ، وأسماء الأماكن ، وبعض الأسماء المشتركة ـ هذه الأسماء تأتى فى كلتا الحالتين ، مما لم يكتمل حدوثه من الأفعال ، وهو الفعل غير التام ، (حيث تلصق به هذه السابقة) ، ولكن ذلك يتم بطريقة مختلفة [1] ، ومن الأمثلة على ذلك : يزيد (شخص) ، ويشكر (اسم قبيلة) ، ويغوث (اسم صنم) ، ويثرب (اسم المدينة المنورة) . أما الأسماء المشتركة فصيغها :

ـ يَفْعَل : يَرْمَع (الخذروف ، وهو لعبة أطفال يسمونها النحلة) ، ويَلْمَع (لامع برّاق) ، ويَعْمَلَة (الناقة من حيث هى عاملة) .

وحين أصبح هذا الفعل غير التام اسماً عومل معاملة الأسماء ، فوجدنا أن « يَعْمَلَة » قد لحقتها علامة التأنيث ، وجاز ـ كما حدث للأسماء الأخرى ـ إطالة مصوتها الثانى ، سواء أكان اسماً خاصاً (علماً) ، أم كان اسماً مشتركاً : ذلك أن يَفْعُل ويَفْعِل سواء بالنسبة إلى الأعلام والأسماء المشتركة ، ولكنا لم نعد نجد منهما سوى يَفْعُول ويَفْعِيل :

يَفْعُول : مثل : يَرْبُوع (دابة شبيهة بالفأر) ، ويَعْقُوب (طائر يسمى الحَجَل) ، ويَعْسُوب (ملكة النحل) . وصفات : يَحْمُوم (أسود) ، ويَنْفُور (جبان) ، ومن أسماء الأماكن : يبرود .

يَفْعِيل : (نادر) مثل : يَقْطِين ، كلمة قرآنية (الصافات آية ١٤٦) ، وقد اختلف فى تفسيرها :

---

(١) يكون هناك أولاً اسم خاص يبنى بوساطة جملة مشتملة على الفعل غير التام ، وعلى اسم دينى ، فاعلاً ، فيهمل الاسم الدينى ولا يبقى سوى غير التام . أما الأسماء العامة فيستعمل فيها فعل غير تام أولاً ، يكون نعتاً لفاعل ، ثم يؤخذ على أنه هو الموصوف (انظر هـ . بورر H. Bauer, (ZDMG, LXXI, 1917, p. 409 .

فقيل : « موز – تين – قرع » (البيضاوى) . والمعنى الأخير موجود فى الكلمة اللبنانية « لقطين » laqtin (القرع الأصفر) (مع إلصاق أداة التعريف) .

أما صيغة : يَفْعَال فتوجد فى لغات سامية أخرى غير العربية .

ملاحظة : يمكن أن نجد فى الأعلام (الأسماء الخاصة) سابقة (التاء – t) من نفس الأصل الفعلى : وهى تاء فعل غير تام مسند إلى المفردة الغائبة ، وتفسيرها على قياس ما مضى ، نحو : تَغْلِب ، وتنوخ وغيرهما (أسماء لقبائل عربية) .

ثالثاً : سابقة التاء - t :

وسابقة التاء كثيرة الورود أيضاً فى الأسماء المشتركة ، وأصل هذه السابقة – القديمة أيضاً – كان امتحاناً لذكاء المستشرقين ، وقد انتهوا إلى أنها تأتى أيضاً – فيما يبدو – من غير التام المسند إلى المفرد المخاطب المستعمل استعمال الاسم [1] . وهذه الطريقة تعطى مباشرة أسماء فعلية بزنة أوجه النطق الثلاثة : تَفْعَل وتَفْعِل وتَفْعُل ، التى تنطبق على أوزان غير التام الأساسية ، ثم استطاع التطور الدلالى بعد ذلك أن يحدث تأثيره .

أما الصيغ الأولى (ذات المصوت القصير) فقد رويت أيضاً : فمن صيغة « تَفْعَل » : تَوْأد (التأنى) ، ومن صيغة « تَفْعِل » : تَحِلّ taḥill (بجانب تَحِلَّة taḥill-at) مصدر حَلَّلَ ḥallala ، ومن صيغة تَفْعُل : تَنْضُب tanḍub (نوع من الشجر ذى الشوك) ، وتُنْفُل (الثعلب) (مع مماثلة فى المصوتات) .

وطبيعى جداً أن تتجه هذه الصيغ إلى إطالة مصوتها الثانى : تَفْعَال وتَفْعِيل

---

(١) انظر : هـ . بورر op.1.p. 408 .

وتَفْعُول ، وهو ما نصادفه كثيراً فى مفردات اللغة :

تَفْعَال : مصدر فَعَل : تَكْسَاب ، ومصدر فَعلَ : تلْعَاب ، وأحياناً يأتى مصدراً لفَعَّلَ : تَحْرَاق (حرَّقَ) . ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن « تَفعَال » مصدراً للصيغة الأولى يحتوى لوناً من المبالغة [1] لا يوجد فى الفعل ذاته ، فى أمثلته الشخصية من هذه الصيغة الأولى .

تِفْعَال : وأصلها معقد :

أ) إن الاتجاه إلى إبدال الفتحة (a) كسرة (i) إذا ما سبقت فتحةً طويلة (ā) ـ (انظر فيما مضى ص ٦٢) ـ يمكن أن ينقل صيغة « تَفْعَال » إلى صيغة « تفعال » . وقد أثبت علم اللغة العربى أن صيغة « تَفْعال » فى ذاتها هى المصدر ، ولكن هذا الاتجاه إلى الإبدال قد فسح المجال غالباً للتردد بين تَفْعَال و تِفْعَال ، فى حالة المصدر . وقد انتهت صيغة « تِفْعَال » من حيث هى مصدر ثابت إلى الاقتصار على بعض الأمثلة ، وأشهر هذه الأمثلة : تِبْيَان tibyān (من بيَّنَ) ، ولكن الإجماع لم يتم على هذا الكسر ، فإن لكلمة « تَبْيَان » tabyān رواتها أيضاً . (انظر معجم (لين) ـ مادة : بيَّنَ) .

ب) يغلب أن نجد إلى جانب كلمة بزنة : « تِفْعَال » مرادفاً ـ بزنة : فِعَال ، نحو : تلْقَاء ، ولِقَاء (وفى الأسماء الحسية : تِمْثَال ومِثَال) . ويمكن أن يكون مصوت الكسرة (i) فى إحداهما (فِعَال) قد دَعَم الانتقال من الفتحة (a) إلى الكسرة (i) فى الأخرى (تَفْعَال ، تِفْعَال) .

جـ) إذا ألممنا بهذا الأصل الفعلى أدركنا أن تَفْعَل (، تِفعَال) قد حدثت مباشرة لدى هؤلاء العرب الذين يتبعون فى الأفعال قانون بارت Barth ، (انظر كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٧٤) ، فكانوا ينطقون :

(١) أثبت النحاة العرب هذه الملاحظة صراحة ، سيبويه : جـ ٢ ص ٢٦١ سطر ١١ ، والزمخشرى : المفصل - الفصل ٣٣٤ ص ٩٨ سطر ٩ .

« تفعَل » بدلاً من « تَفْعَلُ » . وتِفْعَال ـ اسم ذات ، أو صفة ـ كثيرُ الورود ، وفى المزهر قائمة لما ورد منه ، وقد عرفت دلالتها على تصغير التحقير إلى جانب دلالتها على التكبير :

فالتكبير مثل : تِقْوَال وتِكْلام (للذى يتكلم كثيراً) .

وتصغير التحقير مثل : تِمْرَاد (مسكن صغير للحمام) ، وتِنْبَال (صغير ـ حقير) .

أما « تَفْعِيل taf'īl » فهى المصدر المشهور من الصيغة الثانية : فَعَّل .

وأما تَفْعُول (تنوع من تُفْعُول) : فهى نادرة فى العربية الفصحى مثل : تأثور ta'ṯūr (تؤثور tu'ṯūr ـ أثر ، وتأمور ta'mūr (المعرفة) [1] . ولكن لهجة عُمان قد اتخذت منها المصدر المستعمل للصيغة الخامسة ، نحو : تَعْلُوم (من تْعلّم t'allem) أى : تَعَلَّمَ .

رابعاً : سابقة الميم

وسابقة الميم من أهم السوابق ، ولا شك أن الدراسة الأولى للعربية ينبغى أن تخصها بمزيد من العناية . فالواقع أنها تلزم أسماء : الآلة ، والزمان ، والمكان ، وأسماء المعنى ، وأسماء الذوات ، والأسماء الوصفية للتكبير ، واسم المفعول من الفعل المجرد ، وجميع مشتقات الصيغ الفرعية فى الفعل . يضاف إلى هذا أن سابقة الميم من أقدم الأدوات فى صرف السامية ، بل إنها ترجع بأصلها إلى ما هو أبعد من ذلك : إلى الحامية السامية ، ونحن لم نتوصل من أول وهلة إلى معرفة تاريخها ، ولو فى غير دقة [2] .

---

(١) لهذه الكلمة معان كثيرة ذكرها القاموس المحيط ١ / ٣٦٥ . (المعرّب) .

(٢) يمكن أن نرى فى دراسة نيبرج Nyberg الألمانية ، بعنوان : « بناء الكلمة بسابقتها فى اللغات السامية » صوراً من الصمت والتردد . انظر : (Le monde oriental XIV, 1920, pp. 177-178) وذلك واضح فى نظريات المستشرقين ، وفكرة النحاة العرب فى نفس المرجع) .

وقد كان هـ . بوور (Bauer, op. I., p. 407) هو الذى أشار للمرة الأولى ، وبطريقة محددة، إلى الطريق التى ينبغى سلوكها . وجاء من بعده نيبرج H. S. Nyberg فتناول الفكرة بعرض معمّق (انظر التعليق فى الهامش السابق) .

والمبدأ العام الذى وضعه نيبرج للتفسير هو : أن الأسماء ذوات السابقة (م ـ m) تأتى جملة قديمة مركبة من : « الاسم الموصول ما + صلة فعلية أو اسمية) ، فهى جملة متجمدة ، التصق فيها الموصول بالصلة ، فمثلاً عبارة مَارَحَب mārahab [1] ، بمعنى [ما (كان) واسعاً فسيحاً] قد أصبحت مَرْحَب marḥab بمعنى (مكان واسع فسيح) (اسم مكان) .

وهنالك عبارات متلاصقة شبيهة بهذا ، لا غرابة فيها : فقد أجرت العربية الفصحى هذا الإلصاق فى كلمة « مال māl » التى هى عبارة عن : مَا لَـهُ mā lahu' أو بالإضافة إلى أى ضمير آخر ، فجعلتها كلمة واحدة ، والعربية الحديثة تقول : المَاجَرَيَات al-māğarayāt (الأحداث) ، وهى مأخوذة من « مَا جرَى māğarā » .

وفى لهجات حلب (أخذاً عن معجم أ. بارتلمى ص ٧٧٨) يحدث إدماج « ما ـ mā » فى الكلمة التالية بصورة عادية فى جملة « ما أفعل التعجبية » ، فيقولون : مَكْوَسُو makwaso ، يعنون (ما أكوسه ، أى : أجمله) . فقد صح إذن أن لديهم صيغة صحيحة هى « مَفْعَل » للتعجب (دون استبعاد الطريقة القديمة أيضاً) .

فتفسير بوور – نيبرج ، على هذا ، احتمال عقلى ، له نصيب من الصحة .

---

(١) فى العربية رَحْب raḥb ، وفي العبرية rāḥāb .

وقد كان تنوع أوجه النطق بالكلمات ذوات السابقة (م ـ m) كبيراً : فقد اشتمل على أشكال النطق بالعناصر المتلاصقة ، كما أنه لم يكن ثمت تخصيص بين النطق بهذه الأسماء ذات السابقة (م ـ m) ومعناها . والأمر في العبرية على هذه الصورة عندما تستخدم صيغ : « مَفْعَل ومَفْعَال ومَفْعـل » (الأكثر شيوعاً) « ومَفْعُول ومِفْعَل ومِفْعَال » للدلالة على اسم الآلة [١] .

ويظهر التخصيص فى السامية الغربية الجنوبية ، جزئياً فى اللغة الجعزية ، وبخاصة فى اللغة العربية ، فالتعبير عن اسم الآلة قد اقتصر فيهما على صيغتى : مِفْعَلَة mif'al- (at) ومِفْعَال mif'āl ، ولكن بقى أيضاً إلى جانب ذلك تنوع سوف نراه فى التقديم التالى ، الذى رتبناه بحسب المجموعات الدلالية ، (رقم ١٤ فى المذكرات) .

أ ـ اسم الآلة :

مِفْعَل ، مِفْعَلَة : مِبْرَد ، مِغْرَفة .

مِفْعَال : مِفْتَاح .

ب ـ اسما الزمان والمكان [٢] :

مَفْعَل ، مَفْعَلَة : مَكْتَب (مكان الكتابة : مدرسة ابتدائية ـ أو مكتب جلوس) ، ومَدْرَسَة (مكان الدراسة) ، ومَنْهَل (زمان ورود الإبل) أو مكان ورودها) .

---

(١) انظر : بارت Barth, nomb., p. 236 .

(٢) مفعال صيغة تأتي من الجذور التي يكون الصامت الأول فيهـا واواً (w) : ميعاد (مكان أو زمان الوفاء بوعد) ، وميقات (مكان أو زمان محدد لوقوع حدث ما) وأصل الأول (و ع د) ميعاد ، والثانى (و ق ت) ميقات .

مَفْعِل ومَفْعِلَة : مَجْلِس (زمان أو مكان الاجتماع) ، ومَوْعِد (زمان أو مكان يتم فيه وعد) ، ومَنْزِل ومَنْزِلَة (مكان الإقامة) .

مَفْعُل ومَفْعُلَة : مَقْبُر - وبخاصة : مَقْبُرة (مكان الدفن) .

جـ - اسم المعنى (المصدر) :

والمصدر مع السابقة (م - m) يمكن أن تكون له ثلاث صيغ ، هى مَفْعَلَة maf'al-at ، ومَفْعِلَة maf'il-at ، ومَفْعُلَة maf'ul-at ، وهى ترجع - على وجه الدقة - إلى صيغ أسماء الزمان والمكان ذاتها .

والواقع أنه قد حدث توزيع فى حالات كثيرة : فـ « مَفْعَل » للمصدر ، و « مَفْعِل » لاسمى الزمان والمكان ، فى مثل : مَجْلَس - مصدراً من جَلَس ، ومَجْلِس اسم زمان ومكان (انظر ما سبق) ، وللمزيد انظر كتابنا Traité § 94 K - n .

وإلى هذه الأسماء المجردة ترجع أسماء فعلية بزنة « مِفْعَال » (من جذر فاؤه و) تتخذ ببساطة معنى حسياً ، وذلك مثل : ميراث ، وميثاق .

د - صيغ التكبير :

الأسماء أو الصفات التى تفيد التكبير تأتى فى صورة مِفْعَل ومِفْعَال [١] ومِفْعِيل . مثل : مِزْحَم ومِحْرَب : (محارب شجاع) ، ومِكْثَر ومِكْثَار : (الذى يحب الكلام كثيراً) ، ومِعْطَر ومِعْطِير : (الذى يستعمل العطر كثيراً) .

وقد جرت العادة على اعتبار هذه الصيغ التكبيرية - تبعاً لرايت (جـ ١ ص ١٣٨) أسماء آلة مستخدمة على سبيل المجاز ، فأما صيغتا مِفْعَل

---

(١) وهى صيغة ما زالت مستعملة فى العربية الأدبية الحديثة ، مثل : مِفْضَال .

و مفعـال ـ فقد يكون هذا التفسير بالنسبة إليهـما صواباً ، ولكن أين تكون أسماء الآلة التى هى بزنة مِفْعيل ـ mif'īl ؟ ... إن من المستحسن أن نقرر مع نيبرج Nyberg وجود أصل ناشىء عن إلصاق عنصر الميم « m » كما ذكرنا من قبل (دون أن ننكر مطلقاً أن الاستعمال المجازى المذكور قد حدث أحياناً) . فمثلاً مِزْحَم mizḥam يمكن أن تأتى من : مَا + يزْحَم mā-yazḥam (أو بالأحرى : يزحَم ، تبعاً لقانون بارت Barth) ومكْثِير يمكن أن تأتى من : مَا + كثير ، مَكْثِير ، مِكْثير : (mā kaṯīr > makṯīr > mikṯīr) بتأثير المماثلة فى المصوتات (قارن فَعِّيل التى صارت فعيل) .

أما مبادئ تصريف المشتقات مُفَعِّل و مفعِّل إلخ .. واسم المفعول من الفعل المجرد بزنة : مفعول ، وهى أمور معلومة بقدر كاف ، فقد ذكرناها هنا لمجرد الذكر فحسب .

إن المبدأ العام للتفسير ، وهو القائل بأن « ما » قد التصقت بصلة فعلية أو اسمية ..هذا المبدأ يبدو صحيحاً ، ولكن من البدهى أنه ليس كل كلمة سبقتها الميم مفروضاً فيها لذاتها هذا الاشتقاق المباشر ، بل يكفى أن عدداً معيناً من الكلمات ذوات السابقة (م - m) قد استوفى بنيته ، أثراً طبيعياً لتطور اللغة ، حتى تجد فيه الحاسة اللغوية إمكانةً جديدة ، وتستخدمه فى إطلاقات قياسية جديدة .

وأكثر من ذلك أن هذه الكلمات ذوات السابقة (م) قد تعرضت فى تاريخهـا الطويـل لمثل هذا الإلصاق ، فى أحقاب مختلفـة مـن تطـور الساميـة (حتى فى مرحلة الحامية السامية) . ومن ناحية أخرى نجد أنه فيـما يتعلق بالصلة الملتصقة : فعلية أو اسمية ، هناك إمكانات كثيرة يمكن أن تتمثل هنا ، وهى تؤدى إلى النتيجة ذاتها بالنسبة إلينا . ولا شك أن من غير المفيد وسط هـذا

التعقيد أن نقصد إلى تحديد دقيق للجمل المتعلقة ذاتها (فعلية أو اسمية) ، أعنى الجمل الملتصقة التى أدت إلى نشأة الكلمات الأولى ذوات السابقة « م » ، أساس الإنشاء القياسى . بيد أن أهم ما نهدف إليه هو استخلاص التركيب الذى أحدث هذا التأثير ، ويبدو أننا قد استخلصناه .

وقد جعل النحاة العرب أسماء الزمان والمكان ذات علاقة بالفعل غير التام ، من حيث نطق الصامت الثانى من الأصل : فمصوت هذا الفعل هو مصوتهما ، وكان من البدهى أن يذكروا كثيراً مما شذ عن هذه القاعدة ، وقد سلكت القواعد الأوربية نفس المسلك ، وذلك مثل : ينزِل ، ومنزِل . وربما كانت هذه وسيلة تعليمية مفيدة ، ولكن ينبغى ألا نغفل عن الواقع وتعقده ؛ فهذان النطقان يتوافقان عندما يكون اسم الزمان أو المكان قد جاء احتمالاً من التصاق (ما ـ mā) بغير تامّ ، ذى نطق مماثل .

ولكن انعدام التوافق قد يأتى حين لا نجد علاقة بين اسم الزمان أو المكان وبين غير التام ، وذلك كالأفعال المضمومة العين (u) ، مثل يكْتُب ، حيث يصاغ اسم الزمان أو المكان منها [1] عادة بزنة « مَفْعَل » ، فيقال هنا : مَكْتَب . فما قيمة فعل غير تام مضموم هنا يَكْتُب لتفسير مَكْتَب ؟ ... إن من الواجب أن نبحث عن شىء آخر ، وسط الملصقات الممكنة .

وأخيراً ينبغى بناءً على هذا ألا نتخذ من صور التقارب فى القواعد الوصفية وسيلة إلى التفسير اللغوى .

---

(١) توجد « شواذ » فى صيغة « مَفْعِل » .

٢ ـ اللواحق

أولاً : اللاحقـة : آن ān : وتؤدى هذه اللاحقة فى العربية دوراً هاماً ، فنجدها :

أ ـ فى بعض المصـادر ، فى صيـغ : **فَعَلان** ، مـثل خَفَقَان ، **وفِعـْلان** ، مثـل : عِرفَان ، وفُعْلان ، مثل : شُكْرَان .

ب ـ وفى جموع التكسير ، فى صيغتى : **فِعْلان** مثل : إخْوَان ، **وفُعْلان** مثل : فُرْسَان .

جـ ـ وفى بعض الصفات ، فى صيغة : **فَعْلان** (الذى مؤنثه **فَعْلَى**) ، ويمثل لها عادة بكلمة غَضْبَان ، ومؤنثها : غَضْبَى .

وهذا معلوم ، أما غير المعلوم **إلا قليلاً فهو استخدام** (آن ـ ān) **لاحقةً** فى اللغة الانفعالية ، فقد استعملت فى الواقع فى التكبير ، وفى تصغير التحقير .

التكبير : وذلك فى الأسماء التى تعين الذكر من الحيـوان مثل : **أُفْعُـوَان** (ذكر الثعبان) ، وعُقْرُبَان (ذكر العقرب) ، وضِبعَان (ذكر الضبع) .

والتحقير : أَنْبَخَان anbaẖān’ (**عجـين فاسـد حـامـض**) ، **وأُلُعُبَـان** (لاعب) .

ولكن هذه اللاحقة (آن ـ ān) **فى اللغة الانفعالية لم تنشأ مرة واحدة ، فقد** رأيناها تكبر ابتداء من لاحقة بسيطة ، **هى (ن ـ n) (تبعاً لنظام التحول** الداخلى) ، ويمكن تخطيط هذا النمو كما يلى :

ān – آن } an – اَن }
annat – انّه } ن
īn – أين ← in – ان
ūn – اون ← un – اُن

والأمثلة :

ن ـ n زمَحْنْ (السىء الخلق البخيل) ، وبِلَغْنْ (البلاغة ، أو النمّام) .

ان ـ an رَعْشَنْ (المرتعد) ، وضيّفَن (المتطفل) .

انّه ـ annat سمَعْنَةْ (تَتَسَمّع فلا تسمع إلا وهماً) ، ونظَرْنَه (تَتَنَظّرفلا ترى إلا ظناً) .

آن ـ ān (انظر الأمثلة السابقة) .

ان ـ in فِرْسِنْ (خف البعير) .

اين ـ īn كفرّين وعفرّين (محتال داهٍ) .

اُنْ ـ un برثُنْ (مخالب) .

اُون ـ ūn لاحقة مشهورة فى الأعلام ، مثل : ابن خلدون ـ ابن بدرون [١] إلخ ...

(١) يظهر هذا فى لهجة عُمان : « شُوَيون » šweyyūn (قليل) ، وفي فلسطين : قريعون qrē'ūn (رأس صغير أصلع) ، وبخاصة فى لبنان ، ولكنها هنا بتأثير الأشورية السريانية .

وليس ممكناً أن يقال : إن اللاحقة « آن ـ ān » أقدم من السابقة « م ـ m » (رقم ١٥ فى المذكرات) . ومع ذلك ينبغى أن نرجع إلى السامية المشتركة ، على الأقل فى بعض الاستعمالات المشار إليها : لاحقة الجمع ، ولاحقة اللغة الانفعالية ، وفى مقابل ذلك نجد أن اللاحقة الكسرة الطويلة (ī) تنتسب إلى أساس لغوى جد قديم ، هو أساس الأصول السامية ذاتها .

ثانياً : لاحقة الكسرة الطويلة (ī) : وهذه اللاحقة كانت تشير قديماً إلى النسب ، أى الانتساب إلى جماعة إنسانية كالقبيلة ، نحو : أسدىّ ʼasa-diyy (رجل من قبيلة أسد) ، أو المدينة نحو : بيروتى . وقد شاع استعمالها للدلالة على علاقة [1] شىء بآخر نحو : أرضى وسماوى ، وفيما يدل على علاقة تجريد بتجريد آخر نحو : فلسفى .

وقد اتخذت هذه اللاحقة (ī) فى العربية الفصحى صورة iyy ـ ىّ ، بوساطة التضعيف . وليس من الممكن لنا أن ندخل هنا فى تفاصيل صياغتها (وشواذها) ، وإنما نذكر فحسب القاعدة العامة فى هذه الصياغة : إذ تخفف الكلمة التى سوف تتصل بها هذه اللاحقة ىّ ـ iyy ، وهذا يستتبع إلغاء لواحق النوع أو العدد ، بل إنه يستتبع أيضاً اختصاراً فى الكمية : فتصبح صيغة فَعيلة fa'īl-at : * فَعِلىّ ، ثم فَعَلىّ (بطريق المخالفة) ، ففى كلمة : المدينة مثلاً ، يقال : مَدَنىّ ، وفى صيغة فُعَيْلَة (علماً) ، فُعَلىّ (بإلغاء العنصر الثانى من المصوت المزدوج) ، فيقال مثلاً فى : جُهَيْنَة (وهى قبيلة) : جُهَنىّ (رجل من هذه القبيلة) .

ثالثاً : لاحقة : التاء ـ at : لقد تحدثنا عن اللاحقة (التاء المربوطة) (at) بمناسبة حديثنا عن النوع . ويجب أن نذكر هنا استعمالاً لهذه اللاحقة لا صلة له بالنوع أيا كان .

---

(١) ولهذا نجد إطلاق (الصفة النسبية) ، أو (صفة النسبة) ، وهذه اللاحقة (ī) كانت تعطى فى الواقع صفةً ، وهذا للملاحظة .

أ - التاء التى يمكن أن توصف بأنها : « ذات الوظيفة المقطعية » :

وتظهر التاء التى من هذا النوع [١] فى مصادر الأفعال التى صامتها الأصلى الأول واو - w ، ومن ذلك : وَلَد ، واحتمالاً (على الأقل من ناحية الأصالة) فى تلك الأسماء الثنائية مثل : إرة (النار) ، وسنة وفئة ، وهى التى يصاغ الجمع منها مع اللاحقة : ون - ūna ، فيقال : إرون ، وسنون ، وفئون ، ولكنّ لهذه التاء استعمالاً أكثر شيوعاً فى الوظيفة المقطعية .

فأسماء المرتبة الرابعة : مصوت قصير - مصوت طويل يمكن أن تجمع على صيغة المصوت القصير وتضيف التاء at مثل :

فَعَال	وفَعَلَة	يَفَاع ويَفَعَة
فِعَال	وفِعَلَة	رِجَال ورِجَلَة
فُعَال	وفُعَلَة	ذُبَاح وذُبَحَة (الخناق - وجع فى الحلق)
فَعِيل	وفَعِلة	حَرِيم وحَرِمَة ، مصدر حَرَمَ (منع - حظر) .

ويلاحظ أن المعنى فى كلتا الصيغتين واحد ، وقد رويت كلمات أيضاً بزنة فَعُلَة ، مثل : صَدُقَة (مهر) ، ومَثُلَة (عقوبة) .

فهناك من الناحية الإيقاعية تعادل فى المدة : إذ وجد فى مكان مقطع طويل مقطعان قصيران فى مثل : فَعَال fa'āl-un وفَعَلَة fa'alat-un [٢] ، هذه الصيغ ذات اللاحقة (التاء - at) صيغ بديلة ، موازية للأخرى ، حيث

(١) معنى هذا أن يضاف مقطع آخر إلى الثنائى لتثبيت التوازن فى الكلمة : لِدَة lid-at وإرَة 'ir-at .

(٢) يتجلى هذا التعادل الإيقاعى جيداً فى قلب الاستعمال العروضى : ففى بعض الأوزان فى بحور معينة من الشعر يجوز أن يحل محل مقطع طويل مقطعان قصيران ، يحدث هذا فى بحر الكامل ، حيث يحل : « مستفعلن » محل « متفاعلن » ، وكذلك فى الوافر : حيث تقوم « مفاعيلن » مقام « مفاعلتن » ، وهذا فى جميع التفاعيل فيما عدا الأخيرة من كل شطر ، على أن هذا يحدث فى الوافر فى جميع التفاعيل ، وحتى فى التفعيلة الأخيرة من كل شطر من تفاعيل الكامل (بشرط أن يحافظ فيها - على الأقل - على تفعيلة أساسية مُفَاعَلَتُن) .

تستخدم فيها اللغة إمكانتها الإيقاعية ، ما لم تحل دون ذلك صعوبة ما ، وربما كان هذا تبعاً لميل إحدى اللهجات إلى تفضيل إحداها ، أو ربما كانت مفضلة لدى اللهجات القديمة [1] .

وفي رأينا أنه يجب أن نضع هنا مصدر الصيغة الثانية : تَفْعِيل وتَفْعِلَة ، وهذا المصدر الأخير مقصور بخاصة على الأفعال التى ثالث أصولها واو أو ياء ، وعلى الأفعال التى ثالث أصولها همزة ، وعلى الجموع الداخلية من مثل تلاميذ وتلامذة ، (جمع تلميذ) ، (رقم ١٦ فى المذكرات) .

ب - لاحقة التاء فى اللغة الانفعالية :

جرت العربية على استعمال التاء ، لاحقة للغة الانفعالية ، فهناك صيغ للتكبير ، مثل : راوية rāwiyat (وهو الراوى ذو الذاكرة القوية) فى مقابل : راوٍ rāwi-n- ، وهو الراوى العادى .

وهناك أيضاً (عَلاَّم - التى سيقت من قبل مثالاً على التكبير (أى : كثير العلم) ، وعَلاَّمَة (أى : كثير العلم جداً) . بيد أن التاء تضاف إلى عديد من الصيغ بزنة فاعِل وفَعَّال ، (وانظر : Traité § 98 i) . وقد اقتصرنا هنا على ذكر صيغة فَعُول ، التى صارت : فَعُولة ، والتى لا تعتبر فيها التاء لاحقة للمؤنث ، ولكنها تقوى لون التكبير الذى عبرت عنه صيغة فَعُول ، وذلك مثل : كذوب ، وكذوبة (الكذاب الكبير) ، كما نرى التكبير يصب فى التحقير فى مثل : صَخَّابة (كثير الضجيج) ، ولَحَّانة (كثير الخطأ فى اللغة) ، طبقاً لما سبق من توظيف التكبير فى تصغير التحقير .

---

(١) صَدُقَة جاءت على أنها صيغة حجازية فى معجم لين C. Rabin, Ancient West Arabian) لندن ١٩٥١ ص ٩٧ .

(ملاحظة) أولاً : لم تحظ لاحقة اللام بميزة المعنى اللغوى فى العربية ، وقد ذكر المزهر (جـ ٢ ص ٢٥٩) منها أربع عشرة كلمة ، فبقيت الصياغة قليلة الاستعمال ، دون أن يكون لها مستقبل (انظر Traité § 99) .

ثانياً : **لاحقة الميم** وقد لاقت انتشاراً واسعاً فى السامية . أما فى العربية فقد ظهر استعمالها وتطورها مقارنة بلاحقة النون . وبخاصة فى مجموعة ألفاظ أقل انتشاراً وصارت فيما بعد مهملة (انظر Traité § 100) ، غير أن لها فائدة هى أنها تبين كيف أن لاحقة فقدت خاصتها البيانية يمكن أن تدخل الكلمة التى تلتصق بها فى مرتبة الرباعى (انظر Traité § 105) .

* * *

د ـ التحول الداخلى والجموع الداخلية [1]
(جمع التكسير)

الجمع الداخلى موجود بصورة فردية (فى شكل محاولة) فى اللغات السامية الغربية فى الشمال : (العبرية والآرامية) ، أما السامية الغربية فى الجنوب فهى التى استعملت هذا المنهج ، وبخاصة العربية ، كما رأينا ذلك (ص ٤٣) ، وقد عرفت اللغة الجعزية ـ فى الواقع ـ عشر صيغ فقط للجمع الداخلى .

والجموع الداخلية هى ـ فى الأصل ـ أسماء جماعة أريد بها الدلالة على حالة الجمع ، وقد كانت أسماء الجماعة تعبر عن الكتلة ، باستخدام الجمع ، ثم صارت الأجزاء (الأفراد) متمايزة فى هذه الكتلة ، صالحة لأن تكون معدودة ، أعنى : أنها تطورت مع التحديد تبعاً للأعداد المختلفة ، أو ظلت ببساطة كعدد مبهم ، غير محدد ، وهو ما قد يطلق عليه الجمع غير المحدد Pluriel indéterminé . فأما أسماء الجماعة فهى ذات علاقة بالكلمات المجردة [2] (أسماء المعانى) ، وهى علاقة لا يمكن إنكارها : فاسم الجماعة هو بمثابة كلمة مجردة .[انظر ٩٣ / ـ 71 § Traité] ، وبمعنى عكسى / هو كلمة مجردة صارت اسم جماعة ، مثل كلمة : شباب (فهى كلمة مجردة بمعنى (حالة الشباب) ، ثم تكون كلمة (شباب) بمعنى (أحداث

---

(١) يقصد بالجمع الداخلى كما هو منهج الكتاب : الجمع الذى يعتمد على تغيير المصوتات (الحركات) داخل بنية الكلمة ، فى مقابل الجمع الخارجى الذى يعتمد على إلصاق لاحقة : الضمة الطويلة + النون فى جمع المذكر ، والألف والتاء فى جمع المؤنث ، مع بقاء نطق الكلمة على ما هى عليه فى المفرد ، كما يقال فى مسلم : مسلمون ، وفى فاطمة : فاطمات .
ولذلك يطلق عليهما : الجمع السالم ، أى : السالم من التغيير ، فى مقابل : جمع التكسير ، أو الجمع المكسر ، أى : الذى انتقضت فيه بنية المفرد بتغيير مصوتاتها (المعرب).

(٢) يقصد بالتجريد هنا ما يقابل المحسوس ، لا ما يقابل المزيد (المعرب) .

السن) : اسم جماعة collectif ، بيد أن أسماء الجماعة لا تأتى كلها من كلمات مجردة . [السابق 101 b §] .

والسؤال الآن : كيف تم للجموع الداخلية (جموع التكسير) استقرار العلاقة بين المفرد والجمع ؟ .. من الصعب أن نجيب عن هذا السؤال ، ذلك أن خلف الجموع الداخلية تاريخاً طويلاً ومعقداً ، وليست لدينا حتى الآن وسائل الكشف عنه ، فهو يبدو فى العربية الفصحى ، وكأنه نتيجة محكومة بالتأثير العام للتحول الداخلى ، غير أننا يمكن أن نلجأ إلى وسيلة تتمثل فى أن نقدم هذه النتيجة فى إطار التحول الداخلى تبعاً للمجموعات التى تخضع له ، فنحدد أساس الانطلاق ، ونتابع التطور ، فى إطار مخطط يصنف الصيغ . ولا شك أن المخطط يبسط الأمور ، ويتجاوز المتداخلات ، ولكنه ليس عادم القيمة وهو يقدم تنظيماً يحتوى الحركة العامة للغة ويبرزها .

فنحن نستطيع أن نفرق بين أربع مجموعات كبيرة ، وأن نستجلى التدرج فيها بحسب :

أ ــ طول المصوتات .

ب ــ أو إدغام الصامت الثانى الثابت .

جـ ــ أو استخدام الإلصاق ، فيتحصل لدينا أربع مجموعات :

أ ــ مجموعة : فعَل ، وفعَال ، وفعَالة (= فعال + ة) ، وأفْعال (= أ + فعَال) ، وفعِلَة (= فَعَل + ة ، أو أنها صياغة ثانوية موازية لـ فعَال) .

ب ــ مجموعة : فُعْل ، وفُعُل ، وفُعُول ، وفُعُولَة (= فُعُول + ة) ، وأفْعُل (= أ + فُعُل) ، وفُعْلان (= فُعْل + آن) .

جـ ــ مجموعة : فعْل ، وفعِلْ (وهما اسما جماعة فقط) ، وفِعْلَة (=

فعْل + ة) ، وأفْعلَة (= أ + فعِل + ة) ، وأفْعلاء (= أ + فعِل + آءُ) ، وفعْلان (= فعْل + آن) .

د ـ مجموعة : فُعَل ، وفُعَـلَة (= فُعَـل + ة) ، وفُعـَلاَءُ (= فُعَل + آءُ) ، وفُعَّل ، وفُعَّال .

ويبقى خارج المجموعة : فَعْلَى (= فَعْل + آ) ، وفَعَلَة ، (وربما كانت = فَعَل + ة) .

وفى المجموعات السابقة لا تظهر الجموع المقول برباعيتها ، والتى تعتبر صياغة مستقلة ، فهى متصلة ، لا بالرباعى بالمعنى الصحيح [1] فحسب ، مثل : عقْرب ، ولكن أيضاً بالكلمات ذوات الجذر الثلاثى ، مضافاً إليها سابقة ، مثل : تكتب ، أو الكلمات ذوات المصوت الطويل . بعد الصامت الأول أو الثانى من الثابت ، مثل : فارس ، وعجوز ، فتلقيبه بالرباعى يصبح غير دقيق ، ولكنه سهل ، بحيث لا يخطىء أحد فى تقدير أهميته . ولهذه الصيغة من صيغ جمع التكسير نموذج وحيد ، صالح لأن يعين بمجرد النظر صوامتها الأربعة الممكنة : (ـ فتحة قصيرة ـ فتحة طويلة ـ كسرة قصيرة ـ) وهى تخضع للإعراب الثانى (إعراب مالا ينصرف) ، فإذا طبقنا ذلك على الأمثلة السابقة ، فإن الصيغة تقدم لنا : عَقَاربُ ، ومَكَاتبُ ، وفوَارسُ ، وعَجَائزُ ، ولها ميزة هى إمكان استخدامها فى عدد كبير جداً من الكلمات ، فى مقابل الصيغ السابقة التى تجتمع فى مجموعات .

سلوك خاص بلا شك ، وأصل خاص أيضاً ، لا نعرف له تفسيراً ثابتاً ، أو على الأقل : مقنعاً بدرجة كافية . ولقد قدمنا فى كتابنا : [Traité § 102]

(١) يقصد رباعى الأصول ، فى مقابل الثلاثى المزيد بحرف ، كما هو واضح .

مع شيء من التطوير ـ حلاً يفيد فى إدماجها عضوياً فى مجموع صرفى ، دون لجوء إلى مراعاة الدقة الأصواتية .

وهو حل يجعل من هذه الكلمات وسيلة لتكييف صيغة (فَعَال) لتكون اسم جماعة رباعياً ، على قياس ما حدث فى صيغة التصغير (فُعَيْل) التى صارت (فُعَيْلِل) بالنسبة إلى الرباعى .

وعلى قياس (فُعَال) الذى صار (فُعَالِل) ، حتى مع الجذور الرباعية ، نموذج (٢١٢١) ، وهكذا تحولت فَعَال (اسم جماعة) إلى فَعَالِلْ (اسم جماعة) ، وذلك حتى يدخل اسم الجماعة فى الرباعى ، ويمكن ـ من هذا الوجه ـ تقديم الحيوانات التى أطلقت عليها العربية اسماً رباعياً ، وبهذا أمكن ـ فى الاتجاه اللغوى ـ تفسير فَعَالِل باعتبارها مزيدة بألف المد (ā) داخل الصيغة ، وهى سمة منقولة من مكان آخر . فمن اسم الجماعة كان يتفرع بسهولة الجمع الداخلى ، (جمع التكسير) .

تنوعات : فَعَاليل ، عندما يشتمل الاسم الرباعى المفرد ، على مصوت طويل فى المقطع الثانى ، مثل : عصفور ، وعصافير ، فأما فَعَاللة فهى صياغة ثانوية موازية لـ (فَعَاليل) ، ومستعملة بخاصة للأسماء ذات الأصل الأجنبى ، مثل : تلميذ وتلاميذ وتلامذة .

(بالنسبة إلى جميع مسائل الجمع الداخلى [جمع التكسير] ارجع إلى : [Traité §§ 101 - 102] .

* * *

هـ - التحول الداخلى والتعبير عن العدد

يشار إلى العدد فى الفرنسية بصفات تعبر عن الكمية : فيقال : trois hommes (وهى الصفات العددية الرئيسة) ، أو تعبر عن المرتبة Le rang فيقال : " Le troisième homme " (وهى الصفات العددية الترتيبية) .

أمـا فـى العربيـة فيعبر عن الكمية بوساطة أسماء ، لا بوساطـة صفـات (فيما عدا واحداً واثنين) ، فحين تعبر الفرنسية بالتركيب trois hommes عـن « ثلاثـة رجـال » تـتصـور العربيـة هـذا التعبير علـى أنـه « ثلاثة » من الرجال " Une traide d'hommes " ، أى : مجموع ثلاثة من الرجال . أما التعبير عن المرتبة فإنه يتم بوساطة صفات ترتيبية .

١ - أسماء العدد الأصلية

أولاً : المذكر - واحد ، والمؤنث - واحدة

المذكر - اثنان ، والمؤنث - اثنتان .

وهما صفتان عولجتا علاج الصفة ، ولكن : أحد ، ومؤنثها : إحدى 'iḥdā [1] تعدان اسمين ، فيقال : أَحَدُ النَّاس ، وإحدى النساء [2] .

وتتصرف اللغة بطريق أخرى فى المثنى للتعبير عـن معنـى "deux" أى (اثنين) .

ثانياً : من ٣ إلى ١٠ ، وتبدو الأصالة الكبرى فى العربية (وفى السامية) فى مزاوجة الأنواع ومعارضتها بعضها ببعض : فمع الاسم المذكر تلتحق بالعدد

---

(١) إحْدى تأتى من أَحَدَى ، أَحْدَى ، إحْدَى - بوساطة المخالفة ، (انظر ص ٥٧ - ٥٨) .

(٢) « un » و « deux » تتفقان فى النوع ، وكذلك الاسم « أحد » ومؤنثه « إحدى » ، ولسوف ينعكس هذا على جميع الاستعمالات اللاحقة لـ (un و deux) كما سنرى .

لاحقة « التاء ـ at » (التى للمؤنث) ، ومع الاسم المؤنث يلتزم العدد صيغة المذكر (دون لاحقة التاء) . ومن أمثلة ذلك ، (رقم ١٧ في المذكرات) : ثلاثة رجال ، وثلاث نسوة ، وهكذا إلى ١٠ ـ فيقال : عَشَرَة رجال وعَشْر نساء . والمعدود هنا مجموع ، وهو فى هذه الحالة مضاف إليه (حالة المفعول به المعرّف أو الإضافة النحوية) .

والجمع فى هذه الحالة جمع تكسير ذو صيغة خاصة ، هى « جمع القلة » .

وقد يَسْبق المعدودُ ، ويليه مباشرة العدد على أنه نعت له ، فيعامل نفس المعاملة فيقال : رجالٌ عشرةٌ ، ونساءٌ عشرٌ[1] ، ويقال : لرجالٍ عشرةٍ .. إلخ ...

ثالثاً : من ١١ إلى ١٩ ، ويستخدم هنا العدد (١٠) مسبوقاً مباشرة بالوحدة التى تكمل العدد المراد ، وهنا يتبع العدد (١٠) نوع الاسم المعدود ، وتتخذ الوحدة المكملة من ١٣ ـ ١٩ النوع المقابل له (كما سبق تقريره بالنسبة إلى الأعداد من ٣ ـ ١٠ ، ولكن يتوقف عند ٩) . وينتهى كل من الجزءين « المركبين » [2] بمصوت لا يتغير هو الفتحة (a) ، ويكون المعدود فى هذه الحالة فى موقع المنصوب المفرد النكرة ، (ويطلق عليه النحاة ـ التمييز) ، فـ (١٣ رجلاً) و (١٣ امرأة تقال على النحو التالى :

ثلاثةَ عَشَرَ رَجُلاً ـ ثلاثَ عَشْرَةَ امرأةً .

فالعدد (١٠) على هذا هو الذى غير سلوكه ، فجاء على أصله " normal " (أى دون مزاوجة فى النوع) . ويلاحظ أيضاً التغيير الذى يحدث فى نطقه الداخلى : فالمذكر : عَشَرَ ، والمؤنث : عَشْرَةَ .

---

(١) هذا على سبيل الجواز ، والوجه الآخر الموافقة فى التذكير والتأنيث بين المعدود ووصفه العدد ، انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى جـ ٤ ص ٣٨ طبعة الميمنية .(المعرب) .

(٢) انظر فيما بعد ص ١٦٩ .

أما العددان ١١ و ١٢ فهما يتفقان عادة مع النوع ، ولكن يستعمل فى العدد (١١) كلمة (أَحَدَ) لا (واحد) ، باعتبارها وحدةً مكملة ، **فيقال :**

أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً ، وإِحْدَى عَشْرَةَ امرأةً .

رابعاً : وأسماء العقود من ٣٠ ـ ٩٠ تصاغ بأن نضيف إلى الوحدات لواحق الجمع الخارجى المذكر ، (وهى صادقة بالنسبة إلى النوعين) ، ويكون المعدود فى حالة المنصوب المفرد النكرة (كما هو بالنسبة إلى الأعداد من ١١ ـ ١٩) ، ومثال ذلك :

حالة الرفع : ثلاثون رجلاً أو امرأةً .

حالتا النصب والجر : ثلاثين رجلاً أو امرأةً .

أما ـ ٢٠ ـ فيمكن أن تفسر فى بساطة بالمماثلة فى المصوتات * عَشْرين ، عِشْرين ، ثم تحولت إلى : عِشْرُون بوساطة القياس الموحد ('išrūna < 'išrīna < 'ašrīna قياساً) ، وقد كان أكثر استعمالها فى حالتى النصب والجر ، قارن جمع سنة : سِنُون وسِنين . وقد لجأ بروكلمان [١] إلى تفسيرها بالمخالفة ، مبتدئاً من المثنى * عَشْرَا 'ašrā .

أما الوحدات التى بين العقود (٣ ـ ٩ ذات النوع المتزاوج) فتوضع قبل العقود منسقة على الوجه التالى :

ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً ، وثلاثٌ وثلاثون امرأةً .

وإذا كانت الوحدةُ هى العدد « واحد » « un » استخدم فيها أيضاً كلمة « أحد » فيقال :

أَحَدٌ وثلاثون رجلاً ، وإِحْدَى وثلاثون امرأة .

---

(١) انظر : Gr., I, p. 490 .

فإذا كانت الوحدة هى العدد (٢) « deux » استخدمت كلمة « اثنان » معربةً ، وموافقة للمعدود فى التذكير والتأنيث ، فيقال : اثنان وثلاثون رجلاً ، إلخ ...

خامساً : الأعداد ١٠٠ و ١٠٠٠ : مائة (وجمعها : مئات) ، وألف (وجمعه آلاف) ، أما ٢٠٠ و ٢٠٠٠ فهما مثنى مائة وألف ، فيقال فيهما : مائتان وألفان ، ومن ٣٠٠ إلى ٩٠٠ : تسبق كلمة (مائة) بالوحدة المضاعفة فيقال مثلاً : ثلاث مائةٍ ṯalāṯu mi'atin (ثلثمائة) .

ولفظة (مائة) المضاعفة [1] تظل مفردة (مجرورة) ، أما (ألف) فعلى نقيض ذلك توضع فى الجمع (المجرور)، مثل: ثلاثة آلاف ṯalāṯatu 'ālāfin، ويكون الاسم المعدود مع كل هذا مجروراً مفرداً ، (وهذه المجرورات مفاعيل معرّفة ـ مميزة) :

ثلثمائة رجلٍ أو امرأة ، وثلاثة آلاف رجل أو امرأة .

ولكى يمكن التعبير عن مركب يُبْدأ بالآلاف فما دونها ، أو العكسِ بأن يبدأ بالوحدات فما فوقها ، فالعدد (٦٥٤٣) هو : ستة آلاف ـ وخمْسمائة وثلاثة وأربعون ، أو ثلاثة وأربعون وخمسمائة وستة آلاف .

سادساً : تعريف أسماء العدد بأداة التعريف : كل أسماء العدد يمكن أن تعرف بالأداة ، حين يكون الاسم المعدود معلوماً فيضمر ، مثل : فرجع السبعون بفرح (Wright, II p. 243C) ، والسبعون هم تلاميذ .

والسؤال هو عن كيفية وصل أسماء العدد بالأداة فى حالة ظهور الاسم

---

(١) يتوقف مُضاَعف (مائة عند (٩) (٩٠٠ تسعمائة) ، أما (١٠٠٠) فإن مضاعفه يبدأ من ٣ (٣٠٠٠) إلى ٩٠٠ (٩٠٠،٠٠٠) تسعمائة ألف) (الأمثلة فى رايت جـ ١ ص ٢٥٩) .

المعدود ؟ .. هنا ينبغى أن نذكر أنفسنا بملاحظات فيشر فى هذا الصدد (Kleinere Schriften, p. 695 Fin 696) ـ حيث يقول : « لم يكن الاستعمال العربى القديم ثابتاً ، أو على صورة واحدة فى جميع المواضع ، على ما تدل عليه ، لا تعاليم مدارس النحاة فحسب ، أو النحاة الأفراد الذين يختلفون جزئياً فيما بينهم ، بل ما روى من أمثلة فى الموضوع ، مقتبسة من المؤلفات التى تعتبر فصيحة لتأكيد القاعدة . وفضلاً عن ذلك إن اللغة الأكثر حداثة قد صاغت فى تعبيرات مألوفة بعض التراكيب التى لم تكن من قبل مقبولة » . ومعنى ذلك أن الوحدة فى المعالجة تسمح بالاختيار . وفى رأينا أنه ما زالت هناك بقايا من التنوع اللهجى القديم .

أ ـ هناك تعبير ثابت بالنسبة إلى الأعداد من ٣ ـ ١٠ ، و ١٠٠ و ١٠٠٠ ، وهو إدخال أداة التعريف على المعدود .

ففى قولنا : ثلاث نسوة يقال : ثلاثُ النسوةِ

وفى : مائة رجلٍ يقال : مائة الرجلِ

وفى : ألف رجلٍ يقال : ألف الرجلِ

غير أن الكوفيين ـ بعكس البصريين ـ كانوا يسمحون بنطق الأداة أيضاً فى اسم العدد ، فيقولون : الثلاثة النسوة .. ، إلخ (انظر : رضى الدين الأستراباذى ، شرح الكافية ، استنبول ١٢٧٥ ـ حـ ٢ ص ١٤٦ سطر ٦ ـ ٧) ، وانظر أمثلة أخرى مقتبسة عن النصوص القديمة فى Wright, II, p. 244 D) ، وقد نجد من ناحية أخرى فى النصوص تعبيرات تلصق الأداة باسم العدد وحده ، فيقال فى : ثلاث نسوة : الثلاث نسوة ، وفى الطبرى : الثلاث ساعاتٍ ، وفى البخارى : المائة شاةٍ ، (ركيندورف Ar. S. § 121, 2°) .

ب ـ وهناك تركيب ثابت بالنسبة إلى الأعداد من ١١ ـ ١٩ ،

والعشـرات ، وهو يتمثل فى إدخال الأداة على الوحدة المتكاملـة من ١١ ـ ١٩ ، وعلى اسم العدد ، بالنسبة إلى العشرات ، فيقال فى :

ثلاثة عشر جملاً : الثلاثة عشر جملاً

وفى عشرون جملاً : العشرون جملاً

أما بالنسبة إلى الأعداد المركبة من ١١ ـ ١٩ فإن الكوفيين يقررون صحة إدخال الأداة على الوحدة المتكاملة ، وعلى لفظة (عشر) معاً ، فيقولون : الثلاثة العَشَرَ جملاً ، وكذلك (تبعاً لبعضهم) تدخل الأداة على المعدود ، فيقال :الثلاثة العشر الجملَ .

أما البصريون فيرفضون هذا التكرار للأداة (انظر : المسألة الثالثة والأربعون من الخلاف فى كتاب الإنصاف لابن الأنبارى) .

جـ ـ وهناك تركيب ثابت فى الأعداد من ٣ ـ ١٠ ، وهو تركيب نعتى حيث يكون اسم العدد وصفاً للمعدود (كما سبق فى ثانياً) :

فيقال فى : نسوةٌ ثلاثةٌ : النسوةُ الثلاثةُ

وفى : رجالٌ خمسةٌ : الرجال الخمسةُ .

ويقرر ڤيرنيه Vernier فى (Gr. Ar,§ 598) ، هذا التركيب بالنسبة إلى كل الأعداد ، ولكنه لم يرجع إلى نصوص . أما ركيندورف فى ١ ـ (Synt. vezh - p. 284) فإنه لم يأت إلا بمثال واحد (من الطبرى) للعدد (١٠٠) (الحروريةُ الخمسمائة) غير أنه لم يضبطها بالحركة . mais il ne vocalise pas ، أما تبعاً لڤيرنيه (السابق) فينبغى أن نقول : المقاتلةُ الخمسمائةَ على اعتبار أن (مائةً) تمييز [١] . ويجوز أن يقال : الخمسمائةَ ، انظر إلى أن التركيب قد جيء به فى آخر الفقرة (a) .

---

(١) انظر كذلك المثال الذى جاء به ڤيرنيه عن (٣٠٠٠) فى الجملة :- (les 3766 soldals sont enfuis) أما رايت (II p. 244 C) فيقول: وفى العربية الأكثر حداثة : =

د ـ ويبقى تركيب آخر يستخدم النعت أيضاً . ولكنه نعت المعدود للعدد ، وذلك فى الأعداد من ٣ ـ ١٠ و١٠٠ و ١٠٠٠ ، وقد أورده ركيندورف (Ar. s § 121, 2°) دون رجوع إلى نصوص ، فقال : الخمسةُ الرجالُ ، وورد ذلك أيضاً عند دوساس فى (Gr. Ar.[2] II § 572) فقال : السبعةُ الدعائمُ الناموسية ، ويذكر ركيندورف أيضاً فى (Synt. Verh, p.284)عن النابغة : (المائةَ الْمَعْكَاءَ) ـ ، وفى (Ar.s.§ 121,2°) : (فى المائتى الدينار) [الأغانى[2] الجزء السابع عشر ص ٩٠ سطر ٨] بصدد الـ ٢٠٠ دينار ، ولدى الطبرى (فى الثلاثة الآلاف ، ويلاحظ ركيندورف (أن ذلك كثير الورود فى العدد ٣٠٠ .. ألخ والعدد ٣٠٠٠ .. إلخ) .

أما بلو فى (Gr. Ar.[5] § 237, 2°) فيرى أن هذا التركيب هو الأصل ، وهو التركيب المستخدم فى الكتاب المقدس العربى ، الصادر عن المطبعة الكاثوليكية ، ببيروت) فى مثل : الخمسةُ الأرغفة math., XIV, 19,) (MC., VI, 41, LucIX) وكذلك : السبعةُ الأرغفةُ ، وللخمسة الآلاف ، والأربعة الآلاف .

ولذلك يبدو أن هذا التركيب قد صار أصلاً فى اللغة الحديثة ، أما عن وجوده فى اللغة الفصحى فإننا لا يمكن أن نعرفه إلا من خلال مراجعة إحصائية وهى مراجعة تفرض نفسها فى هذه المسألة الخاصة بتعريف أسماء العدد بالأداة .

= الثلثمائة ديناراً ، ويذكر بلو (Gr. Ar 5 § 237 2°) ـ من بين ما يذكره ـ التركيب مع التمييز باعتباره أصلاً بالنسبة إلى الأعداد من ٣ ـ ١٠ و ١٠٠ و ١٠٠٠ ، مثل : الثلاثة مسافرين ، والمائة جندياً ، ويذكر خليل إده فى الطبعة الثالثة من (القواعد الجلية) (بيروت ١٩١١) ـ هذا التركيب على أنه عام (فى كل الأحوال) ، بلا استثناء . وقد سبق أن أجاز ابن كيسان القول : المائة درهماً ، والألف ديناراً (الأشمونى، شرح الألفية لابن مالك ، حـ ٣ ـ القاهرة ١٣٧٥ / ١٩٥٥ ص ٦٢٣ سطر ١٠) ، وكذلك قدم رضى الدين الأستراباذى (فى شرح الكافية ، جـ ٢ ص ١٤٦ سطر ٣ ـ ٤) . هذا التركيب : العشرة والمائة بعيراً ، ولكنه ذكر أيضاً : مائة الدرهم .

ملاحظة : لتقديم عدد مركب مقترن بالأداة يتبع التركيب الثابت :

الأربعةُ والعشرون رجلاً .

الألف والثلمائة رَجل .

الألفُ والثلاثُ المائةِ والأربعة والعشرون رجلاً .

ولكننا قد نجد : الألف والثلاث المائةِ الرجل .

الألف والثلثمائةِ (والثلاث مائةِ) والخمسةُ والعشرون رجلاً

٢ ـ صفات الأعداد الترتيبية

أولاً : كلمة « الأول » وهى مأخوذة ، لا من العدد الابتدائى ، بل من أصل آخر بزنة أفعل : المذكر : « الأول » ، ومؤنثه « الأولى » ، والجمع (المشترك) « الأوَلُ » [١] .

ثانياً : « الثانى إلى العاشر » وهى بزنة « فاعل » ، ومؤنثها : « فاعلة » مثل ثان ṯāni-n ، ومؤنثها : ثانية ، وثالث ، ومؤنثها ثالثة ، إلخ ... حتى : عاشر ومؤنثها : عاشرة . مع ملاحظة أن الوصف من (ستة) هو سادس ، ومؤنثها : سادسة [٢] . وصيغة « فاعل » هذه المتصرفة قياساً هى صيغة اسم الفاعل ، (رقم ١٨ فى المذكرات) .

ثالثاً : « حادى عشر إلى تاسع عشر » : لفظان : « العاشر » ويعبر عنه فى المذكر بكلمة « عَشَرَ » ، وفي المؤنث بكلمة « عشْرة » ، وهى مسبوقة مباشرة بالترتيبى المكمل ، فيقال : ثانَى عَشَرَ للمذكر ، وثانيةَ عَشْرَةَ للمؤنث ، وثالثَ عشَرَ وثالثةَ عَشْرَةَ ، إلخ ...

---

(١) ناقش فير فيما سبق حالة (أوَلُ) وانظر أيضاً (Traité § 107 b - d).
(٢) ربما كانت : ست وستة مجالاً لمناقشة اشتقاقية (انظر : Traité § 10 a).

ويلاحظ هنا أن المصوت الأخير فتحة (a) لا يتغير (تماماً كما هي الحال في الأعداد الأصلية المطابقة لها) ، حتى لو تدخلت الأداة لتحديد هذه الصفات الترتيبية ، مثل : الثَّانِي عَشَرَ ، أما « حادى عشر » فمذكره « حَادِيَ عَشَرَ » ، ومؤنثه : « حَادِيَةَ عَشْرَةَ » ، باعتبار كلمتي « حادى وحادية » صفتين ترتيبيتين مكملتين (وصياغتهما أكثر حداثة) .

رابعاً : أما الترتيبي من العقود من ٢٠ ـ ٩٠ ، فتستخدم فيه الكلمة الأصلية ذاتها فيقال : العشرون .

والترتيبيات المتوسطة بين العقود توضع متصرفة مع ترتيبيات العقود في تطابق . ولكن بالنسبة إلى (الأول) يستخدم كلمة : حَادٍ ḥādi-n وحادية ، فيقال : الحادى والعشرون (والمنصوب : الحادىَ والعشرينَ) ، ويقال : الحاديةُ والعشرون ، (ومنصوبها : الحاديةَ والعشرين) ، إلخ ...

خامساً : بالنسبة إلى المائة والألف نجد أن « رايت » [1] لا يعطى منهما الصفة الترتيبية ، أما جودفروى ديمبين فقد قال صراحة : « ليست هنالك أعداد ترتيبية لما بعد ٩٩ » [Gr.ar. cl., 225] ، ولكن بلو Belot قد أشار إلى استعمال : (مائة وألف) أيضاً صفتين ترتيبيتين فيقال : البيتُ المائةُ ، والمقامُ الألفُ (انظر : « دروس تطبيقية في اللغة العربية ، الطبعة الخامسة ١٩٢٢ ص ١٢٦) [2] » .

(١) انظر رايت (I, pp. 260 - 262) .
(٢) Cours pratique de la langue arabe .

أسماء العدد قديمة : فهى ترجع إلى السامية المشتركة ، بل إنها ترجع إلى ما هو أقدم من ذلك بالنسبة إلى بعضها ، وهى تكون أصلاً بذاتها ، فهى (كلمات أصول) ، وجذرها ثلاثى ، ولكنه ثنائى بالنسبة إلى عددين من بينها ، أولها : اثنان (« إ » + ثن + ان) ((i) + ṯn + ani) ، ومؤنثها : ثنتان (ثن + ت + ان) (ṯin-t-ani) ، والثانى : مائة mi + 'at . ولما كانت هذه الثنائيات تنتسب إلى أقدم أصول المفردات (انظر فيما سبق ص ٧٤) ويضاف إلى ذلك أن فقد كلمات أخرى لأحد أصول هذه « الكلمات الأصول » يحول دون البحث عن معناها الأول بمقارنة المفردات ... من أجل هذا كان أصل هذه الأعداد غامضاً مظلماً .

ومن المحتمل أن تكون قد جاءت من ملاحظة كائنات تحمل عدداً من الوحدات المميزة ، (فمثلاً : العدد ٤ : أُخذَ من الأرجل الأربع لحيوان واقف أو على الأخص نائم ، وقد مد أرجله الأربع) ، فلم يستطع الملاحظ أن يحتفظ مما يرى بغير فكرة العدد ، ولكن هذا لا يمكن أن يكون سوى رجم وتخمين .

ويبقى أن نقرر أن هذه الأرقام ذات جذر ثلاثى (أو ثنائى) ، وذات نطق محدد ، وهى تدخل بذلك فى النطاق العام للتحول الداخلى . وأكثر من ذلك أن أصلها هو نقطة الانطلاق فى طريق النمو الصرفى ، تبعاً للتحول الداخلى على الصورة التالية :

أولاً : الترتيبيات فى العربية بصيغة « فاعل » على ما عرضناه من قبل .

ثانياً : الكسور والأجزاء ونظامها كالآتى :

آ) صيغة « فُعْل » وجمعها أفْعَال » ، مثل : ثُلْث ورُبْع ... إلخ . حتى كلمة : عُشْر .

ب) صيغة « فَعيل » وهى أقل وروداً ، وقد رويت فى « ثلث وربع وخمس » ومن أمثلتها : « سَديس » بمعنى « سُدْس » .

جـ) صيغة « مِفْعَال » وهى مقتصرة على « ربع » : (مِرْبَاع) ، وعشر : (مِعْشَار) .

ثالثاً : الصفات الفردية التوزيعية صيغة « فُعَال » و « مَفْعَل » ، مثل : وُحَاد ، وأُحَاد ، ومَوْحَد (واحداً) ، وثُنَاء ومَثْنَى : (اثنين اثنين) ، وثُلاث ومَثْلَث : (ثلاثة ثلاثة) ، ورُبَاع ومَرْبَع : (أربعة أربعة) ، وعُشَار : (عشرة عشرة) ، وهذه هى أكثرها استعمالاً .

ومن هنا كانت التعبيرات النحوية : « ثُنَائى » و « ثُلاثى » ، إلخ ...

رابعاً : الصفات الدورية : وهى الكلمات التى تشير إلى العودة الدورية لظرف معين بعد مدة محددة ، وهى من صيغة « فِعْل » مثل : حمَّى الثِّلْثِى .

خامساً : أفعال تعبر عن مضمون الأرقام من واحد إلى عشرة ، وكذلك « مائة » فيقال : وَحَّد وثَنَّى وثَلَّث ، إلخ ... وهذه الأفعال محوّلة عن أسماء سواء كانت من الصيغة الثانية أم من الصيغة الأولى . واسم المفعول من الصيغة الثانية يعطى معنى : المتعدد مثل : مُثَلَّث ، إلخ ...

سادساً : التصغير : أسماء العدد ، كسائر الأسماء ، ويمكن أن تؤدى إلى مصغرات (دى ساسى جـ ١ ص ٤٢٩) ، وذلك كأن يقال فى تصغير : خمسة للمذكر ، ومؤنثها « خمس » : خُمَيْسَة ، وخُمَيْس .

ملاحظة : اسم العدد الترتيبى من أسماء العقود يكون من الصيغة ذاتها التى يكون منها الأصل ، فيقال : البيت العشرون ، وكذلك : عَشَرَ وعَشْرَةَ ، وهو

اللفظ الثانى فى الأعداد من الحادى عشر إلى التاسع عشر ، فيقال : ثانى عشرَ ، واسم العدد ذو وظيفة وصفية ، وهذه الوظيفة تخول له أبرز مميزات الصفة ، على الرغم من أنه لم يغير صيغته .

وفى العربية من ناحية أخرى تتقارب الأسماء والصفات ، فقد ذكرنا من قبل ص ٨٥ بالنسبة إلى الصيغ عدم وجود حد فاصل بين الأسماء والصفات ، وأن الإعراب لم يدع كذلك أدنى فرق بينهما . من هنا كان من السهولة بمكان أن نستخدم اسماً ما استخدام نعت (بروكلمان ص ٤١ و ٢٣) ، أو بدل (وهو فى الواقع ذو وظيفة وصفية) ، انظر أيضاً (بروكلمان ص ١٢٧ و ٢١٣) ، ومن أمثلة ذلك : نحن حَرْبٌ لمن حارب وسِلْمٌ لمن سالم (ابن سعد ص ٤٣ وما بعدها) . أو نحو : الصنم الذهبُ (المرجع السابق ص ٤٣) .

ومع ذلك إن الفرنسية تستخدم اسم العدد للإشارة إلى الساعة فتقول : à la 10 ème heure = à 10 h . ، وإلى التاريخ : فتقول : Le 8 Décembre = Le 8 ème jour de Dècembre.

أما أن يكون لكلمة « مائة » أيضاً استعمال على أنها اسم عدد ترتيبى (تبعاً لـ بلو Belot) فليس ذلك بعجب ؛ لأن مدلول Centième (الخطاب) المائة و millième (الخطاب) الألف – ليس من الأفكار النادرة التى يجوز للعربية أن تجهلها كلية .

وقد استعمل الإنجيل العربى الصادر ببيروت (المطبعة الكاثوليكية) لفظة « مائة » كعدد ترتيبى للمزامير .

* * *

القسم الثانى

التحول الداخلى فى الصياغة الفعلية

أوليات فى صرف الأفعال

١- التصريف المشترك :

ليس فى العربية من صور الفعل الشخصية سوى « زمنَين » ، هما اللذان اضطررنا أن نطلق عليهما فيما سبق : « التام ـ accompli ، وغير التام -inac compli » ، وفعل الأمر للمفرد المخاطب ، ثم يليه المصدر ، ومشتقان هما : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، باعتبارها صوراً غير شخصية (أو أسماء فعلية) .

ويتصرف التام (الماضى) بوساطة لواحق تدل على : الشخص والنوع والعدد ، وهى التى أطلقنا عليها لواحق الأشخاص الأوائل والثوانى (ضمائر المتكلم والمخاطب إفراداً وجمعاً) . تلك هى الضمائر الشخصية (المنفصلة) المطابقة ، والتى جمعت فى شكل واحد فيما بعد (انظر ص ٢١٥ - ٢١٦) .

أما الشخص الثالث فليس محدداً إلا فى نوعه وعدده [١] .

---

(١) بالنسبة إلى الشخص المفرد يمكن القول : بأن اللاحقة صفر (ذات وجود سلبى ولم يعبّر عنها) . أما الشخصان الآخران فهما محددان بنوعيهما ، وبذلك يصبح عدم التحديد فى ذاته تحديداً .

ويتصرف الفعل التام كما يلى :

الشخص الثالث : مذكر : مفرد : فَعَلَ

مثنى : فَعَلا

جمع : فَعَلُوا

مؤنث : مفرد : فَعَلَتْ

مثنى : فَعَلَتَا

جمع : فَعَلْنَ

الشخص الثانى : مذكر : مفرد : فَعَلْتَ

مثنى : فَعَلْتُمَا

جمع : فَعَلْتُمْ

مؤنث : مفرد : فَعَلْتِ

مثنى : فَعَلْتُمَا

جمع : فَعَلْتُنَّ

الشخص الأول المشترك : مفرد : فَعَلْتُ

جمع : فَعَلْنَا

أما غير التام فيدل على الشخص بسوابق قصيرة (مأخوذة هى أيضاً من الضمائر الشخصية المنفصلة ، مطابقة) ، ويكون تحديد النوع والعدد بوساطة لواحق معينة . ويكون تصريفه على الوجه التالى :

الشخص الثالث : مذكر : مفرد : يَفْعَلُ

مثنى : يَفْعَلَانِ

جمع : يَفْعَلُونَ

مؤنث : مفرد : تَفْعَلُ[1]

مثنى : تَفْعَلَانِ[1]

جمع : يَفْعَلْنَ

الشخص الثانى : مذكر : مفرد : تَفْعَلُ

مثنى : تَفْعَلَانِ

جمع : تَفْعَلُونَ

مؤنث: مفرد : تَفْعَلِينَ

مثنى : تَفْعَلَانِ

جمع : تَفْعَلْنَ

الشخص الأول المشترك : مفرد : أَفْعَلُ

جمع : نَفْعَلُ

---

(١) التاء المبسوطة (المفتوحة ta) هنا ليست سوى علامة للتأنيث ، فى « تفعل » للمفردة المؤنثة الغائبة (الشخص الثالث) ، و « تفعل » للمخاطب المفرد المذكر (الشخص الثانى) لا يختلفان إلا بالسياق . وكذلك « تفعلان » مثنى للشخص الثالث المؤنث ، وللشخص الثانى المذكر والمؤنث .

ملاحظات

أولاً : هذا التصريف (التام وغير التام) يشتمل على صيغة خاصة بالنسبة إلى المؤنث المفرد ، والجمع ، فى الشخص الثانى والثالث ، كما يشتمل على التعبير بالتثنية إلى هذين الشخصين أيضاً ، بيد أن هذا المثنى تشترك فيه صيغة واحدة فى الشخص الثانى ، فى كل من التام وغير التام على حدة ، ففى التام (فعلتما) ، وفى غير التام (تفعلان) (انظر أيضاً الملحوظة «١» السابقة) .

ثانياً : لواحق العدد : (ونَ ـ ū-na) لجمع المذكر، و (ان ـ ā-ni) للمثنى ، هى ذاتها التى فى الأسماء ، قارن المسلمون ālmuslim-ū-na (مرفوعاً) ، والمسلمان al-muslim-ā-ni (مرفوعاً) بالكلمتين : يفعلون ya-f'al-ū-na ، ويفعلان ya-f'al-ā-ni إلخ ... (وانظر أيضاً فيما بعد ص ٢٠٢) .

والكسرة الطويلة (ī) التى هى علامة المؤنثة المفردة موجودة أيضاً فى الضمير الشخصى المنفصل (أنتِ 'anti) (وقد كان قديماً أنتى * 'anti) ، كما أنها موجودة فى الضمير (كِ ki) (وقد كان قديماً « كى » *kī) ، وفى الضمير الإشارى للمؤنثة (هَذى hāḏī) . والكسرة الطويلة (ī) فى الأسماء هى لاحقة للتأنيث مستهلكة مبتذلة ، فهى بقية من مخلفات اللغة القديمة (انظر فيما سبق ص ٩٢ – ٩٣) .

ثالثاً : يتنوع مصوت الآخر فى الفعل غير التام بطريقة مماثلة لما يحدث فى الأسماء [١] : فالمثال يَقْتُلُ المَلِكُ : يَقْتُلُ : غير تام إخبارى ، والمَلِكُ : مرفوع

(١) ليس معنى هذا أن المصوتات الأخيرة (الضمة U) ، والفتحة a) فى الاسم والفعل ينبغى أن تتماثل (فلكل منهما تاريخها) ولكنها تبدو متماثلة ، وتلك حالة خاصة تؤثر على الإحساس اللغوى لدى المتكلمين ، ولا شك أن ذلك هو الذى أدى بالنحاة العرب إلى أن يوسعوا نطاق الإعراب بحيث يشمل الأسماء والأفعال .

(مسند إليه) . والمثال : أن يَقْتُلَ المَلِكَ : يَقْتُلَ : غير تام إنشائى ، صيغة تعدٍّ ، والمَلِكَ : منصوب ، (مفعول به مباشر) . أما الجر (وهو حالة غير مباشرة) فلا مجال للمقارنة بينهما ، فكسرة المجرور فى مثل « المَلِكِ » لا توجد فى الفعل ، إذ إن الوضع الثالث للفعل غير التام يتمثل فى نهاية بلا مصوت : (يَقْتُلْ) yaqtul ، ولذا أطلق عليه : (المجزوم apocopé) ، وهو تعريف مادى صرف ، ولقبه الوظيفى هو : (الأمرى Jussif) ، إذ إنه يستخدم فى الواقع للتعبير عن أعمال الإرادة : كالأمر الموجه إلى الشخص الأول أو الثالث (المتكلم والغائب) ، والنهى الموجه إلى الشخص الثانى (المخاطب) ، وهو كذلك يحل محل الأمر الذى لا وجود له إلا بالنسبة إلى الشخص الثانى ، وقد دخل غير التام الأمرى (Jussif) فى الجمل الشرطية ، ولكن هذا حدث ثانوى لا يسوغ أن يطلق عليه « الشرطى » ، وهو ما يمكن أن نجده بالنسبة إلى المجزوم (L'apocopé) ، والنصب والجزم يحذفان النهايتين (na,ni) [1] فى اللواحق (ون : ūna) و (آن āni) و (اين : īna) ، مثل : لا تدخلوا (فى الجمع) ، ولا تدخلا (فى المثنى) ولا تدخلى (للمؤنثة المخاطبة المفردة) .

والفعل التام لا يستعمل سوى (المصوت الطويل الضمة : ū ، والمصوت الطويل الفتحة : ā) وحدهما : فيقال : فَعَلُوا وفَعَلا وفَعَلتا . وكذلك حال الاسم عند الإضافة النحوية ، فيقال : مسلمو لبنان (جمع مذكر مرفوع) ، ولمسلمى لبنان (جمع مذكر منصوب دون لام أو مجرور معها) . وفى المثنى : مسلما لبنان (مذكر مرفوع) ولمسلمى لبنان (مذكر منصوب دون لام أو مجرور معها) .

ملحوظة : فيما يتصل بـ (ثانياً وثالثاً) نجد أن الأسماء والأفعال ليست

---

(١) ni كانت قديماً na (انظر فيما سبق ص ٦٣ – ٦٤) ، وكذلك ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

على هذا معزولاً بعضها عن بعض ، فإن لهما كثيراً من المعالم المشتركة التى تحول بينهما وبين أن يكون لكل منهما استقلاله الصرفى الكامل ، الذى يمتاز به كلاهما فى الفرنسية عن صاحبه .

رابعاً : ليس للأمرسوى نهايات تحدد النوع والعدد ، وهى التى رأيناها سابقاً ، وبما أنه ليس لغير الشخص الثانى (المخاطب) فإن من غير المفيد أن نذكر له تحديداً من جهة نهايته ، وهو لا يخرج عن الصيغ : أُفْعُلْ وإفْعِلْ وإفْعَلْ .

مذكر : مفرد : افْعَلْ

مثنى : افْعَلا

جمع : افْعَلُوا

مؤنث : مفرد : افْعَلِى

مثنى : افْعَلا

جمع : افْعَلْنَ

والأمر للمفرد المذكر لا يتحرك آخره ، كالمجزوم ، ويفعل به ما يفعل بالمجزوم ، من حيث حذف النهايات (ni , na) (وهى النون الأخيرة) .

خامساً : توكيد الفعل : هناك لاحقة تصريفية تختص باللغة الانفعالية ، وهى جزء من التصريف المشترك ، وتتكون : أولاً : من : « أنْ » أو « نَ » (an أو n) ، وثانياً : وهو الغالب الكثير من : انَّ anna أو نَّ nna ، تلحق جميعها بالفعل غير التام ، فى صيغته الأمرية أو بالأمر . واللاحقة الأولى لا تتصل بالمثنى ، ولا بما كان جمعاً مؤنثاً مسنداً إلى الشخص الثالث أو الثانى . أما الثانية فلا تعرف قيوداً ، ومثال ذلك بالنسبة إلى الشخص الثالث :

مذكر : مفرد : يَفْعُلَنْ ويَفْعُلَنَّ

مثنى : يَفْعُلانِّ (١)

جمع : يَفْعُلُنْ (٢) ويَفْعُلُنَّ

مؤنث : مفرد : تَفْعُلِنْ وتَفْعُلِنَّ

مثنى : تَفْعُلانِّ (٣)

جمع : يفْعُلْنَانِّ (٤)

فهذه اللاحقة تضع الفعل فيما أطلق عليه : حالة « التوكيد » ، إذ إنها تمنح التعبير قوة قائمة على شعور داخلى ، هو : الاقتناع فى حالتى الإثبات ، أو النفى ، وفى حالتى الاستفهام التعجبى ، أو المقترن بتحسر وجزع ، وهى مستخدمة بخاصة لتقوية التعبير عن حدث مبعثه الإرادة : كالأمر ، والنهى ، والتحذير والإغراء ، والتمنى . كما أننا نجد دائماً التوكيد بعد القسم (عند استخدام غير التام) ، ويساعد على التوكيد فى هذه الجملة اللام . فمثال التوكيد فى الإثبات – قوله تعالى : ﴿ **عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ** ﴾ [المؤمنون : ٤٠ – ٤٢] . وبعد القسم : (وَاللّه لأُؤَدِّبَنَّكُم غَيْرَ هَذَا الأَدَبِ) مذكور فى « رايت » جـ ٢ ص ٤٢) .

سادساً : اسم الفاعل : مشتق مبنى للفاعل ، واسم المفعول : مشتق مبنى للمفعول . ويأتى الأول بزنة « فَاعِل » (انظر المرجع السابق ص ٢٥ و ٥٠) ، ويأتى الثانى بزنة « مَفْعُول » (المرجع السابق ص ٧٠) .

---

(١) الكسرة (i) بدل من الفتحة (a) فى النهاية بتأثير المخالفة (انظر فيما مضى ص ٢٦) .

(٢) يَفْعُلو + نْ ، يَفْعَلُ + نْ (yaf‘alu - n > yaf ‘alū - n) بسبب إقفال المقطع (انظر ص ٦١) ، وقد امتدّ هذا الاختصار إلى المؤكد بالنون الثقيلة يَفْعُلو + نَّ ، يَفْعَلُ + نَّ (yaf‘alū - nna > yaf‘alu - nna) الذى استطاع أن يحتفظ فى النثر أحياناً بمصوته الطويل .

(٣و٤) احتفظت اللاحقة nā هنا بكميتها التى كانت لها قديماً (وينطق بها عادة فى العربية بمصوت قصير : نَ na) وقد نطقت نون التوكيد مكسورة nni بدلاً من الفتح nna – على ما سبق .

سابعاً : أفضنا قليلاً فى الحديث عن هذا التصريف للفعل ، ولنا فى ذلك حق ، إذ يمكن القول فى الواقع بأن هذا هو التصريف الوحيد فى العربية ؛ فقد ذهب العلماء بالعربية إلى تقسيم الفعل ، أولاً : فيما يتصل بالفعل المجرد (الصيغة الأولى) تبعاً للنطق ، ثم قسموا هذا الفعل المجرّد تبعاً لطبيعة الصوامت الثلاثة فى الجذر الثلاثى إلى : أفعال صماء (حين يتماثل صامتها الثانى مع الثالث) ، وأفعال أمثلة (جمع مثال) (حين يكون الصامت الأول من الجذر واواً أو ياء) ،وأفعال جوف (حين يكون الصامت الثانى من الجذر واواً أو ياء) ، وأفعال نواقص (حين يكون ثالث جذرها واواً أو ياء) ، وأفعال مهموزة (أحد أصولها همزة) . ثم تأتى بعد ذلك الصيغ المشتقة ابتداء من الفعل المجرد : وهن تسع صيغ ، ويضاف إليهن خمس ، يقال : إنها نادرة .

وهناك الفعل الرباعى (وهو ما كان مكوناً من أربعة صوامت أصول) بمشتقاته الثلاثة المتفرعة منه . بيد أن هذه الطوائف جميعها من الأفعال ذوات « أزمان » واحدة ، ـ هى التى أشرنا إليها قبل ، كما أن لها نفس السوابق أو اللواحق بالثابت من بنية الفعل (فيحدث تغيّر فى هذا الثابت ، أو تغيّر فى اللواصق ، أو فيهما معاً) ، هذه العوارض تسوّغ من ناحية التصريف ، تقسيمات الفعل فى صيغته الأولى ، كما تسوغ وجود الأمثلة الخاصة بالنسبة إلى الصيغ المتفرعة ، أو الصوامت الأربعة فى الفعل الرباعى .

ولكن ما ينبغى أن نذكره جيداً هو أن عناصر التصريف هى التى تتدخل من طرف لآخر بالنسبة إلى جميع المجموعات . ومن هنا نرى كم يكون مهماً أن نتمثل ـ فى عمق ـ التصرف المذكور آنفاً ، من حيث كان متعلقاً بجميع طوائف الأفعال ، فمتى حصلنا على الأصل الثابت الفعلى لم يعد أمامنا سوى أن نبسط الألسنة بما يتفرع منه ، مع مراعاة العوارض الصوتية المحتملة .

وهنا تواجهنا الأفعال « الناقصة » بصعوبة خاصة ، وبرغم هذا فإن تذكر

التصـريف الذى نعتناه بالمشترك سيساعد الذاكرة على حل الموقف . (انظر : كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٩) [١] .

٢ ـ « الزمنان » : التام ، وغير التام :

وبعد هذا العرض للتصريف نرى من المفيد أن نسوق ـ فى دقة ـ بعض النظرات العامة عن الفعل العربى ، حتى نعرف قيمة هذين الزمنين اللذين أطلقنا عليهما : التام « accompli » ، وغير التام « inaccompli » .

ولا شك أن الدارس الذى تعوّد سلوك الفعل فى الفرنسية يتوه أمام وضـع الفعل العربى : ففى الفرنسية أزمنة كثيرة (مما يستحق جيداً هذا الاسم) ، هذه الأزمنة تحصر على وجه التحـديد حدوث هذا الخط المثالى : خـط الزمن ، فهناك : الحاضر Présent ، والماضى passé ، والمستقبل futur ، والمستقبل فى الماضى futur dans le passé ، والماضى فى المستقبل passé dans le futur ، وجميع طوائف الماضى مثل : الماضى الناقص imparfait والماضى البسيط passé simple ، والماضى المركب passé composé والماضى الأسبق التام passé antérieur ، والماضى الأسبق الناقص plus-que-parfait .

وهناك أيضاً المبنى للمعلوم : voix actif ، أو المبنى للمجهول voix passif ، كما أن هناك الأفعال ذات الضميرين verbes pronominaux والأفعال غير الشخصية verbes impersonnels .

---

(١) من مهمة التعليم أن نلفت النظر إلى تلك العوارض التى تفسد هذا التصريف المشترك ، فهى تخضع لبعض القواعد الصوتية المشتركة فى الأسماء والأفعال (عندما تتماثل الحالات) وبخاصة بالنسبة إلى الأصول التى يكون صامتها الثالث واواً أو ياء . وكذلك فإن بعض الأفعال التى قيل إنها (شاذة) تخضع لبعض الاتجاهات الصوتية العامة ، الأمر الذى يخلع عنها صفة الغرابة والتفرد . وعلى أية حال فإن النطق بسابقة غير التام – الضمة ـُ (بدلاً من الفتحة) بالنسبة إلى الصيغة الثانية والثالثة والرابعة ، وكذلك فى الرباعى المجرد مثل : يُفَعِّل – هذا النطق تنبغى ملاحظته دون أن يستطاع تفسيره بغير الحدس والتخمين .

أما العربية فإن تصريفها لا يحتوى سوى « زمنين » ، وكلمة « زمن : temps » كلمة ينبغى استعمالها (مع المبادرة بتصحيح هذا الاستعمال) ، لأن العربية تحتوى من ناحية أخرى الكثير من الصيغ المتفرعة (أو على وجه التحديد أربع عشرة صيغة بالنسبة إلى الفعل الثلاثى) ذات وظائف ما زالت مجهولة لدارس اللغة ، ومن ذلك؛ المبالغة intensif ، والمشاركة المعاملة [1] ، والمسبب ، والمبالغة المتوسطة ، والمتبادل ، والمنعكس المبنى للمفعول réfléchi-passif [2] إلخ ... وهذا كله فى حدود « زمنين » ، حتى لقد يشعر الدارس بما يشبه الانقلاب فى المعانى والأفكار .

هذا الإحساس مفيد ، وبدلاً من أن نبدده ، ينبغى على العكس أن نسدده ، وأن نحدد ببساطة منشأ هذه الفروق الهائلة . وهنا يتاح نظر جديد نتأمل به تنظيماً جديداً ، وبحيث لا نجد من أنفسنا ميلاً إلى أن نركّب النظام الفرنسى للفعل على النظام العربى ، فيؤدى به ذلك إلى ألا نفهم منه شيئاً .

فالفعل العربى قائم ، لا على « الزمن » ، بل على الصورة أو الشكل . كذلك أُطلقت ألقاب للأشكال المختلفة « للمدة » ، والواقع أنه يمكن تصور « المدة » بطرق كثيرة : فالحدث فى استمراره ، أو فى نقطة واحدة من اطّراده ، وهى نقطة ابتدائية ، أو نهائية ، والحدث قد وقع مرة واحدة فحسب ، أو تكرر كثيراً ، وهو ذو توقيت ، وذو نتيجة ، إلخ ... ومن هنا تأتى تلك التسميات : أفعال مستمرة ، أو حينية ، وأفعال تامة ، وأخرى ناقصة ، وأفعال شروع ، ومتكررة وانتهائية ، ومحصلة ، إلخ ...

---

(١) كان استعمال هذه التسمية ثمرة لدراستنا الطويلة للصيغة الثالثة . وقد أُطلِقَ عليها وما زال – وصف « المغالبة » .

(٢) يقصد بكلمة « منعكس » أن الفعل يعود أثره إلى فاعله ، دون أن يتجاوز ذلك إلى مفعول يقع عليه ، وهو مفهوم « اللازم » بالمصطلح العربى.(المعرّب) .

واللغات المبنية على الصورة أو الشكل (وهى كثيرة) ، لا تكتفى عـادة بلون واحد للصورة ، إذ هى تعكس الواقع مباشرة ، والواقع غير بسيط ، ولذا كان نظام الفعل فيها معقداً ، إذا ما أريد تحليل استعماله ، فهو بعيـد عـن البساطـة التـى يتصـف بها نظام الفعل « الزمنى » ، من حيث كان « الزمن » تجريداً يستطيع الذهن أن يحدث فيه ما يريد من تجزئة ، وأن ينشىء المتناقضات التى تستهويه ، وكل ذلك فى نطاق « كلٍّ » مرتب ، منطقى .

والعربية ، لغة صورة ، ترتبط بدرجة تحقق الحدث ، أو القضية ، كما يقول اللغويون ، وهى تفرد مكاناً خاصاً لعلاج الحدث المنجز achevée ، والحدث غير المنجز inachevée ، فتعبر عن الأول بصيغته ذات اللواحق : فَعَلَ ، وهو ما سميناه « التام accompli » ، وتعبر عن الثانى بصيغته ذات السوابق : يَفْعَلَ ، وهو غير التام inaccompli ، فالتعارض بين الشيئين قد جرى من كلا الوجهين ، وقد اكتفت العربية بصيغتين فعليتين متصرفتين متعارضتين ، ومن أجل هذا لم يكن فى العربية سوى « زمنين » ، وهناك أيضاً أشكال أخرى للصورة : هناك الصورة المحصلة ، والصورة العادية أو المكررة ... إلخ .

ولسنا نستطيع هنا أن ندخل فى التفاصيل ، وإنما يرجع الفضل فى هذا الباب إلى كتاب « نحو العربية الفصحى » [1] الذى وضعه الأستاذان جودفروى دومبين ورجيس بلاشير ، فقد أثبت الكتاب ميزات الفعل العربى وقيمه بناء على الصورة ، ويمكن الرجوع إليه (الطبعة الثالثة ص ١٤٦ وما بعدها) .

على أن ما تنبغى ملاحظته من ناحية أخرى هو أن اعتبار « المدة » ، ودرجة التحقق لا يؤثران على الفعل العربى فحسب ، ولكن يؤثران أيضاً على طريقة التفكير ، فاللغة العربية تلتزم دائماً ذكر المراحل المختلفة لانتشار الأحداث

(١) انظر Grammaires de l'arabe classique .

وهى : البدء والاستمرار والانتهاء . وهذا متحقق فى بناء الجمل ، كما أنه متحقق فى ترتيب الجمل فيما بينها ، وليس بوسعنا هنا إلا أن نذكر هذا السلوك الذى يميز الجملة العربية ، وقد أشرنا إلى مظاهر تطوره فى كتابنا (دراسات فى الفعل العربى) فى الدراسة الثالثة (الزمن والصورة) . ويكفى أن نلفت انتباه القارىء إلى أفعال الشروع العربية من مثل : أخذ وبدأ وجعل ، ... إلخ .

ولكن ، هل كان أصحاب هذه العربية يعيشون حينئذ خارج نطاق الزمن ؟ ... كلا ... فقد كانوا يعرفون تماماً كيف يضعون عباراتهم فى نطاق الزمن ، ولكن يجب أن نميز طريقتهم فى الكلام ، فإذا كان الفعل قد خصص للتعبير عن الصورة فإن الزمن ينبع من الجملة ، وقد عبر عنه استطراداً بوساطة العناصر المختلفة فى الجملة ، ما خلا الفعل [١] ، وذلك دون نظام ثابت ، ومن ثَم دون تماسك ، ومع ذلك إن الزمن قد عبر عنه على أرحب مجالاته بلا شك : الحاضر ، والماضى ، والمستقبل ، دون لجوء إلى المبالغة فى الدقة ، كما هى الحال فى الفرنسية .

فالمستقبل : يعبر عنه فى غير التام (يَفْعَلُ) بزوائد فعلية ، هى : السين وسوف ، أو بظرف زمان أو مفعول فيه ، أو بوساطة « لا » النافية حين يسجل النفى حلاً (وجهته المستقبل) ، أو بطبيعة الأمور التى يعبر عنها الفعل ، أو بالموقع (وبعبارة أخرى : السياق العريض) .

والحاضر أو الحال : ويدل عليه غير التام « يفعل » حين تنعدم الإشارة إلى المستقبل ، فحين لا يرد فى الجملة شىء يدخل فكرة المستقبل ، ينحصر غير التام تلقائياً وبالضرورة فى نطاق الحال . ولهذا ترجمنا الفعل « يَقْتُلُ » [٢]

---

(١) بالنسبة إلى الفعل التام أى (الماضى) نجد أنه سوف يتخذ شكلاً آخر (على ما سيظهر فى هذه الصفحة وتاليتها) .

(٢) استخدام المؤلف كلمة « يقتل » فى الوزن الصرفى بدلاً من « يفعل » - على عادة المستشرقين لتجنب صوت العين العربية .(المعرّب).

بمعنى الحال (١) خلال تحليلنا للتصريف .

والماضى : إن الحدث المنتهى من الوجهة النفسية أدنى إلى أن يعتبر تاماً ، فالمعنى قد تحقق حين أفاد التام (زمن الحكاية) ، ولهذا ترجمنا « قَتَلَ » فى التحليل السابق بمعنى المضىّ . بيد أننا لا نستطيع القول من أجل ذلك بأن « قَتَلَ » قد صارت « زمناً » ، لأن قيمة الصورة يمكن وحدها أن توجد فيها من ناحية ، كما يمكن من ناحية أخرى ـ فى القصص ـ أن توجد إلى جانب القيمة الزمنية « الزمن الحكاية » قيمة الصورة متفاوتة الوضوح ، وليس من النادر أن يشعر بها المرء دون التباس .

على أنه من الواضح أن الزمن « الماضى » ينتج من الجملة ، عندما يراد التعبير عن « غير تام » فى الماضى . واللغة العربية تفصل بين العنصرين : الزمن والصورة ، وتعبر عن الزمن بوسائل مختلفة ، وهذه المسألة كلها قد عرضت فى كتابنا « دراسات عن الفعل العربى » المشار إليه قبل ، حيث يجد الدارس التطورات التى لا نستطيع ذكرها هنا .

ونستطيع بعد هذه الأوليات أن ندخل فى عرض الصياغة الفعلية ، وهى كالصياغة الاسمية ـ قائمة فى أصلها على تأثير « التحول الداخلى » فى صورة الجذر الاشتقاقى ، وهو ثلاثى أولاً وبصفة رئيسة .

وسرعان ما تبرز ظواهر الإلصاق : السوابق ، هذه السوابق ينتج منها فكرة خاصة تُنوِّع المعنى الأصلى للصيغة الأولى ، ولكنها لا يمكن إدخالها فى الكلمة إلا بتأثير التحول الداخلى الذى يجعل لكل سابقة مصوتها الخاص ، تبعاً للتخطيط العام للكلمة .

(١) هذا على التوسع فى معنى (الحال) ، وإلا فهو لا يصدق فلسفياً إلا على لحظة من الزمن ، ثم ينصرف إلى المستقبل بالنسبة إلى هذه اللحظة .(المعرّب) .

والواقع أن السابقة والأصل تكونان معاً ـ كما هى الحال فى الأسماء ـ وحدةً ، هذه الوحدة هى التى تدخل عليها مصوتاتها فى نطاق « التحول الداخلى » .

* * *

الفصل الاول

الفِعل الثُلاثى

١ ـ التحوُّل الداخلى المحض :

التحـول الداخلى المحض مما يميِّز الفعل بصيغه الأُولى والثانية والثالثة .

١ ـ مع مصوتين قصيرين

وتلك هى حالة الفعل فى صيغته الأولى ، أو الفعل المجرَّد ، أو بعبارة أخرى : المبدأ الأساسى ، (وكلها تعبيرات متعادلة) . وتأتى علـى الوجـه التـالى : [١]

أولاً	:	فَعَلَ	يَفْعِلُ / يَفْعُلُ [٢]
ثانياً	:	فَعِلَ	يَفْعَلُ
ثالثاً	:	فَعُلَ	يَفْعُلُ
رابعاً	:	فُعِلَ	يُفْعَلُ

وهذه الأوجه السابقة موجودة فى الفعل فى صيغته الأولى ، سواء أكانت صوامت الجذر الثلاثى قوية أم ضعيفة . ولقد تتدخل عوارض صوتية أو غيرها ، وهى عوارض ثانوية ، ولكنها لا تغيِّر الوزن الذى تتعلق الأفعال به ـ فى الواقع ـ بأوجه نطقها الأربعة ، ومثال ذلك خاف يخاف ، فإن وزنه يظل : فَعِلَ يَفْعَلَ ، وكذلك : طال يطول ، بزنة : فَعُلَ يَفْعُلُ .

---

(١) نمسك هنا عن مناقشة الصور المتعارضة التى قليلاً ما تتردد خارج نطاق قاعدة النظام (أياً كان التفسير الذى يعطى لها) مثل : فَعِلَ يَفْعِلُ ، وفَعُلَ يَفْعَلُ .

(٢) معنى هذا أننا قد نجد الكسرة (i) ، أو الضمة (u) وهناك أفعال واردة فى المعاجم العربية تتخذ صورة أو أخرى منهما . وهناك أيضاً : فَعَلَ يَفْعَلُ ، ولكنها صيغة ثانوية تأتى بالانتقال من الكسرة (i) إلى الفتحة (a) (يَفْعِلُ ، يَفْعَلُ) ، وذلك بتأثير كون الثانى أو الثالث من الأصول حلقياً) .

لقد بسطنا القول فى التامّ وغير التام. ووضعناهما فى الطائفة ذات المصوتين القصيرين ، والواقع أن الصامت الثالث من الجذر ، وهو الذى تتصل به لواحق التصريف المشترك ـ لا يدخل فى حسابنا هنا ، فنحن لا نعالج غير الصوامت الأوائل والثوانى : فكلاهما فى الفعل التام يكوّن مقطعاً ذا مصوت قصير [1] ، أما فى غير التام فإن الصامت الأول بغير مصوت يقفل المقطع المبدوء بسابقة التصريف . فمصوت هذه السابقة هنا ذو مغزى . ويكون الصامت الثانى ـ هو أيضاً ـ مقطعاً ذا مصوت قصير (وهو مقطع قد يتحول أيضاً إلى طويل ذى قفل فى مثل : « يَفْعَلْ ـ نَا yaf'al-na) ، فهذان المصوتان فى التام وغير التام يظلان إذن قصيرين بطبيعتهما ، وإن كان المقطع الذى يحتويهما قد يتحول إلى طويل منته بقفل .

ولكى ندرك جيداً أثر الاختلافات نقدم للدارس المصوتات الخاصة بالصوامت الأوائل والثوانى من الأصل وحدها مرتبة ، فى التام وغير التام .

« التام »	« غير التام »
أولاً : فتحة ـ فتحة	فتحة ـ كسرة / ضمة
ثانياً : فتحة ـ كسرة	فتحة ـ فتحة
ثالثاً : فتحة ـ ضمة	فتحة ـ ضمة
رابعاً : ضمة ـ كسرة	ضمة ـ فتحة

(١) مقطع طويل بالنسبة إلى الثانى عندما تستتبع إضافة لاحقة التصريف الصامتى وجود القفل مثل : فَعَلْ ـ تَ fa'al-ta ، وفَعِلْ ـ تَ fa'il-ta .

قيم الاختلاف فى المصوتات

ما قيمة هذا الاختلاف فى المصوتات ؟ ... هنا تكمن مسألة تقسيم الفعل فى صيغته الأولى ، وهى التى ناقشناها فى كتابنا « دراسات فى الفعل العربى » (الدراسة الأولى) . ولذا نوجز هنا نتائجها :

ولكى نثبت تقسيمات الفعل فى هذه الصيغة الأولى ينبغى أن نبدأ بعلاج الفاعل ، وهو الذى يفعل الحدث ، وبعبارة أخرى ، بعلاج : « المسند إليه » من حيث كونه « فاعلاً » :

أ) فاعل محض وبسيط : فَعَل يَفْعِلُ / يَفْعُلُ (متعد أو غير متعد) .
ب) فاعل متعلق : فَعِلَ يَفْعَلُ (متعد أو غير متعدٍ) .
جـ) فاعل مجهول : فُعِلَ يُفْعَلُ .
د) دون فاعل [1] : فَعِلَ يَفْعَلُ (فعل صفة) .
هـ) دون فاعل [2] : فَعُلَ يَفْعُلُ (فعل صفة) .

فالفعل العربى ينقسم إلى قسمين :

١– فعل ذو فاعل (إذ كان المسند إليه معاملاً على أنه فاعل) .

٢– فعل ذو صفة (إذ كان المسند إليه مجرد موصوف) .

أولاً : الفعل ذو الفاعل – أو المعلوم [3] يتفرع إلى ثلاث صيغ هكذا :

أ – صيغة ذات فاعل محض وبسيط بوزن : فَعَل/يَفْعِل أو يَفْعُلُ ، متعد أو لازم ، مثل ضَرَبَ يضرِب ، وطَلَبَ يطلُب ، وقَدَرَ يقْدِر .

ب– صيغة ذات فاعل متعلق – agent interesse ، بوزن فَعِل يَفْعَل ، مثل : رَبِحَ يَرْبَحُ ، وسَكِرَ يَسْكَرُ ، وضَحِكَ يَضْحَكُ .

---

(١) تحتوى الجملة مع ذلك على مسند إليه ، لكن هذا المسند إليه ليس فاعلاً (agent) وإنما هو الكائن الذى تخصَّص له الصفة (الموصوف) .

(٢) فيما عدا مثالين : (بَصُر به – يبْصُرُ) ، و (شَعُر به – يَشْعُرُ) .

(٣) قولنا : معلوم ageutif مصطلح جيد لتعيين الصيغتين الأولين فى مقابل الثالثة ، ومن الممكن أن تصف الثانية بأنها معلومة متوسطة ageutif moyem . أما بالنسبة إلى الصيغة الثالثة (المجهولة)=

ويلاحظ أن هذه الطائفة تغطى جانباً فحسب من فَعِلَ – التى تنقسم إلى طائفتين .

جـ – فاعل مجهول ، وهو صيغة فُعِلَ يُفْعَلُ مثل : ضُرِبَ يُضْرَب ، ورُبِحَ يُرْبَحُ ، (انظر المذكرة رقم ١٩) .

ثانياً : يشمل الفعل ذو الصفة أو الوصفى مجموعتين هما :

أ – الطائفة الأخرى من فَعِلَ يَفْعَل ، مثل : كَبِرَ يَكْبَرُ ، وفَرِحَ يَفْرَح .

ب – صيغة فَعُلَ يَفْعُل (باستثنائين)[1] ، وذلك مثل كَرُمَ يَكْرُم وشَرُفَ يَشْرُف .

والفعل ذو الصفة ليس فعلاً عقيماً statif ، إنه يعنى أنه يكسب فاعله صفة ، وبعبارة أخرى (صار كذا) طبقاً للصفة التى يعبر عنها الفعل ، فالفعل : (كَرُمَ) أى : صار كريماً ، أو بالأحرى ، ونتيجة للاكتساب (صار ذا صفة) ، فهو فعل ذو نتيجة resultatif .

والمجهول فعلٌ فاعله غير معلوم ، ولو كان معلوماً فإنه يبقى غير مصرح به ، ولا يمكن أن يعبر عنه ، فهو (فعل لم يسم فاعله) تبعاً لتعبير المفصل (ص ١١٦ سطره) ، فإذا ما استعمل فى صورة شخصية ، مثل : ضُرِبَ زيد ، فإن زيداً يقع موقع المسند إليه ، والاهتمام يتركز عليه ، وفكرة المفعولية قد تطفوا قليلاً أو كثيراً ، وقد تهيمن على الجملة ، وفى هذه الحالة قد تترجم بعبارة مفعولية : (زيد كان مضروباً) ، بدلاً من عبارة : (ضرب أحدهم زيداً) . وهو تعبير قد يكون من مدلوله الجهل بالفاعل ، وهو لازم السياق . لكن الفعل العربى

= كما يصفها النحو العربى فإننا لا نرى طريقة أخرى ، سوى أن نستعمل الإطلاق العربى (مجهول) [كما سبق أن فعلنا مع مصطلح – إمالة] لعدم وجود مصطلح فرنسى مناسب ، ولقد كنا نفكر منذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب أن نستخدم كلمة ignotif ، من الأصل اللاتينى igntus بمعنى (غير معلوم – مجهول) ، ولكن لهذه الكلمة اللاتينية معنى آخر هو (pardomie) أى معفو عنه ، وهو ما يجعل الكلمة ignotif مزدوجة المعنى غامضة ، ولهذا رفضناها .

(١) بَصُرَ بـ / يبصر ، وشَعُرَ بـ / يَشْعُر ، وهما من ذوات الفاعلين ، ويمكن أن يبنيا للمجهول ، ولكن الفعل يصبح غير شخصى ، نظراً إلى أنه متعد بوساطة حرف الجر ، أى : بصورة غير مباشرة .

لا تتأثر دلالته على المجهول بطبيعته الصرفية ، وهكذا نرى كم يكون بعيداً عن الصواب أن نطلق على صيغة (فُعِلَ) أنها للمفعولية .

والفعل غير الشخصى موجود فى العربية ، ومن الممكن صياغته من كل فعل مبنى للمعلوم ، متعد بصورة غير مباشرة ، فيحوَّل إلى صيغة المجهول ، التى يلزمها دون تغيير ، فهو يدل على الشخص الثالث المفرد ، وهو المجهول غير الشخصى ، الذى يعتبر المثال الكامل على الفعل ذى الفاعل غير المعلوم .

فقد نقول فى الفعل الشخصى : خرجتُ من الدارِ ، ونزلت على عمرو ، فإذا حُوِّل إلى غير الشخصى قيل : خُرِجَ من الدار ، ونُزِلَ على عمرو .

هذه الأفعال تصعب ترجمتها غالباً إلى الفرنسية ، إذ يتعين فى كل منها أن يتوفر له اللون غير الشخصى المطابق ، فإن لم يتوفر استعمل فى ترجمته الضمير (on)، كما رأينا فى الأمثلة السابقة .

وقد حدث أن توفر لبعض الأفعال استعمال غير شخصى دون أن تكون له صيغة المجهول ، وذلك نحو : كفى ، وبدا ، وراع ، وهَبَّ، (وانظر فى ذلك بروكلمان Gr. II p.p. 124-125 A) وعن شبيتالر : (ما راعه إلا بـ) ـ وأمثال ذلك فـى (Serta Monacensia, leyde 1952 ـ ص ١٧١ ـ ١٨٣) ، ومن الأمثلة : وكفى بالله شهيداً ، (القرآن ـ النساء : ٧٩ و ٨١) . أما النحاة العرب فإنهم لم يتعرفوا على الفعل غير الشخصى ، ومن ثم لم يتحدثوا عنه ، (انظر : ـ Etudes ـ السابق ص ١٦٧ ـ ١٦٨) وسار على نهجهم النحاة الأوربيون ، أو هم بالأحرى ذكروا (المجهول غير الشخصى) Passif " impersonnel" ، فمن حق الفعل غير الشخصى أن يكون له موقعه فى بيان دقيق ـ فى باب من أبواب الصرف العربى .

٢ ـ مع مد المصوت الأول القصير

الصيغة الثالثة : فَاعَلَ يُفَاعِلُ ، ومن معانيه : المشاركة المعاملة ، وكونه محوّلاً عن اسم ، وكونه مسبباً ، ومن الأمثلة : ساكنه ، وخاشنه ، وجاوره ، وعالاه .

٣ ـ مع تضعيف الصامت الثانى من الجذر الثلاثى

الصيغة الثانية : فَعَّلَ يُفَعِّلُ ، ومن معانيه : المبالغة ، وكونه مسبباً ، أو محولاً عن اسم ، وأمثلته : ضَرَّبَه (ضربه بشدة) ، وجَرَّحَه (أحدث به جراحات كثيرة) ، وعَلَّمَه ، وخَيَّمَ ، من : (خَيْمَة) .

ب ـ التحول الداخلى والإلصاق

وهذا الإلصاق لا يشتمل على لاحقة ، بل على سوابق ، كما يشتمل من ناحية أخرى على زائدة وسطية ، ولكنها ـ على أية حال ـ سابقة قديمة تزاد فى داخل الكلمة ، ولسوف نتحدث عنها فى نهاية عرضنا .

١ ـ سابقة الهمزة

الصيغة الرابعة : أَفْعَلَ يُفْعِلُ (مختصرة من يؤفعل *) [1] ، ومن معانيها : كون الفعل مسبباً ، وكونه محوّلاً عن اسم ، مثل : أتعبه ، وأنزله ، وأصبح ، من : (صبْح) .

٢ ـ سابقة التاء

أولاً : الصيغة السادسة : تفاعل يتفاعل ، ومن معانيها : المشاركة الصريحة مثل : تضاربوا وتجاهلوا .

ثانياً : الصيغة الخامسة : تفعّل يتفعّل ، ووظيفتها : (مع الصيغة الثانية) المطاوعة أو الانعكاس المتوسط ، وكون الفعل محوّلاً عن اسم ، مثل : تعلم ، وتكسر ، وتنصر ، من (نصرانى) .

٣ ـ سابقة النون

الصيغة السابعة : انْفعل ينْفعل ، ووظيفتها : مطاوعة الصيغة الأولى مبنية للمفعول ، مثل : انفرق .

---

(١) يُفعل من يؤفعل بوساطة الاختصار ، الذى حدث عند الإسناد إلى المتكلم : أأفْعِلُ ، أُفْعِل ، ثم سرى ذلك بالقياس إلى أحوال الإسناد الأخرى (انظر كتابنا : دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٦٢) .

٤ ـ سابقة السين والتاء

وهذه السابقة مركبة من السين ، وهى التى كانت من خصائص المسبب القديم ، ومن سابقة التاء ، وقد جاء فيها :

الصيغة العاشرة : استفعل يستفعل ، ومن معانيها : المطاوعة المتوسطة للصيغة الرابعة ، والطلب أو الرغبة ، وكونه محوّلاً عن اسم ، مثل : استخبر ، واستغفر واستحجر (صار كالحجر) .

٥ ـ « الزائدة الوسيطة » التاء

الصيغة الثامنة : افْتَعَلَ يَفْتَعِلُ ، وهى فى صورتها الأولى كانت تحتوى تاء " t " على الوجه الآتى:

* يَتَفَعَلُ › * يَتّفَعِلُ ya-ta-fa'ilu > yatfa'ila .

فإذا حدث أن كان الصامت الأول من الجذر الثلاثى صوت صفير ، أو صوتا (متفشياً) [١] مُسرًا ، هو الشين ، نتج من ذلك تتابع ثقيل فى العربية [٢] وذلك كأن نأخذ من الصيغة الأولى للفعل : سَنَدَ (وفيه صوت صفيرى) صيغة يَتّسَنَدُ ، وقد قلبت اللغة صوامته هكذا : يَسْتَنِدُ إلى .

من هذه الأفعال الكثيرة انتقلت ظاهرة القلب ـ المكانى ـ إلى الأفعال الأخرى ، التى تحتوى هذا النوع من الأصوات فى صوامتها الأولى الأصلية .

---

(١) هذا هو وصف سيبويه لصوت الشين ، وقد أخذ المجمع اللغوى بالقاهرة بهذه الترجمة للكلمة chuintante التى استخدمها المؤلف .(المعرّب).

(٢) هذه الظاهرة ليست خاصة بالعربية ، بل هى مبدأ صوتى عام يقول بأن : صوتاً احتباسياً (شديداً) occlusive + صوتاً رخواً constrictive ينزعان إلى قلب مواقعهما (انظر A.Meillet : « فى تنوّع الفونيمات » De la différenciation des phonèmes, t. XII, 1951, M.S.L. (وبخاصة ص ٢٥) .

جـ - التحول الداخلى وتكرار الصامت الثالث من الجذر الثلاثى :

الصيغة التاسعة :وقد أدت هذه الظاهرة إلى إيجاد الصيغة التاسعة : افْعَلَّ يَفْعلّ ، وهى تدل على الألوان والعيوب . مثل احمرَّ ، واعورَّ .

وقد كانت صورتها الأولى : يَفْعَلِلُ ، فأدى إدغام الصامتين المتماثلين إلى أن صارت إلى : يَفْعَلُّ (انظر ص ٦١ وما بعدها) .

تلكم هى الصيغ العشر التى تحدثت عنها القواعد : صيغة واحدة أصلية ، وهى الأولى ، وتسع متفرعة من هذا الأصل ، الذى تصدر عنه مباشرة الصيغ : الثانية والثالثة والرابعة والسابعة والثامنة والتاسعة . وتصدر عنه بصورة غير مباشرة الصيغ : الخامسة (وهى مطاوعة متوسطة) للصيغة الثانية التى للمبالغة ، والسادسة التى تدل على التشارك الضمنى فى الصيغة الثالثة ، والعاشرة التى ترجع إلى الرابعة .

وفعل الأمر ، والثابت الفعلى فى الفعل غير التام متماثلان ، فلكى نحصل على الأمر يكفى أن نستخرج هذا الثابت [1] ، ففى مثل : يُفَعِّلُ ، يكون الأمر : فَعِّلْ ، وهو يتصرف كأمر الصيغة الأولى .

ولقد يحدث أن تلتقى حينئذ مجموعة من الصوامت ، فيؤتى لذلك بمصوت مساعد قبل هذه المجموعة (انظر ص ٥١) ، هذا المصوت هو الكسرة ، فإذا انتهت الكلمة السابقة على الفعل بمصوت لم يكن موضع لمصوت مساعد ، وإنما يعتبر مصوت هذه الكلمة العنصر النطقى الذى يفصل المجموعة (انظر ما سبق) ، ومثال ذلك : يَنْفَعِلُ ، فالأمر منها : نْفَعِلْ ، ويحدث مثل هذا فى الصيغ : الثامنة ، والتاسعة والعاشرة ، (وكذلك الصيغ النادرة ، والصيغتان الثالثة والرابعة من الفعل الرباعى) .

---

(١) هذا لا يعدو أن يكون مجرد ملاحظة لوجهة نظر وصفية .

ملحوظة : أ ـ يبدأ التام من الصيغ : السابعة ، والثامنة ، والتاسعة ، والعاشرة ، أيضاً بتلك الكسرة (i) من النوع ذاته [1] .

وقد كان الفعل (التام) في السامية الغربية المشتركة يصاغ مع نفس الأصل الثابت من الفعل (غير التام) (مع التحريك بالفتحة) ، وقد عولج النطق بمجموعة الصوامت الأولى بنفس الطريقة : انْفَعَلَ ، وافْتَعَلَ ... إلخ . (انظر ما سبق) . (والملاحظة ذاتها صادقة بالنسبة إلى الصيغ النادرة ، والصيغتين الثالثة والرابعة من الفعل الرباعي) .

ب ـ فإذا أردنا الآن أن نُجَمِّعَ الصيغ طبقاً لعلاقاتها الصرفية فسوف تكون لدينا اللوحة التالية (إذا ما أغفلنا الصيغة التاسعة (افْعَلَّ ذات الوضع الخاص) :

أولاً: مع السابقة ـ التاء ـ (التى صارت حشواً لصيغة فَعَلَ) :

فَعَلَ　　افتعَلَ　　(مطاوعة متوسطة) .

فَعَّلَ　　تفَعَّلَ　　(مطاوعة متوسطة) .

فَاعَلَ　　تفَاعَلَ　　(تشارك)

ثانياً : مع السابقة (التاء) في صيغة سَفْعَلَ ، في موضع أَفْعَلَ :

أَفْعَلَ　　استَفْعَلَ (مطاوعة متوسطة) تمن désidératif.

ثالثاً : مع سابقة النون :

فعل　　انفَعَلَ (مطاوعة مجهولة ـ سالبة) .

د ـ التحول الداخلي المحض والمبنى للمعلوم وللمجهول في الصيغ الفرعية :

وينبغي الآن أن نلفت النظر إلى صورة النطق بهذه الصيغ التسع المتفرعة ، فهي مشروطة بوساطة التحول الداخلي : أي بمجرد تعارض المصوتات ، الذى تضطرنا ضرورة العرض أن نشير إليه هنا ، وهذا التعارض يؤدى إلى التعارض الدلالي : معلوم / مجهول ، على ما هو معروف في الصيغة الأولى ، وذلك باستخدام صور تعارض المصوتات ذاتها :

(١) الضمة بالنسبة إلى المجهول (أُقْتُعِلَ)

معلوم ،	تام	: فتحة ـ فتحة	:	فَعَلَ
مجهول ،	تام	: ضمة ـ كسرة	:	فُعِلَ
معلوم ،	غير تام	: فتحة ـ كسرة / ضمة	:	يَفْعِلُ / يَفْعُلُ
مجهول ،	غير تام	: ضمة ـ فتحة	:	يُفْعَلُ

الصيغ المتفرعة : التام :

معلوم		مجهول	
٢	فَعَّلَ	٢	فُعِّلَ
٣	فَاعَلَ	٣	فُوعِلَ
٤	أَفْعَلَ	٤	أُفْعِلَ
٥	تَفَعَّلَ	٥	تُفُعِّلَ
٦	تَفَاعَلَ	٦	تُفُوعِلَ
٧	انْفَعَلَ	٧	انْفُعِلَ
٨	افْتَعَلَ	٨	افْتُعِلَ
٩	افْعَلَّ		
١٠	اسْتَفْعَلَ	١٠	اُسْتُفْعِلَ

الصيغ المتفرعة : غير التام :

معلوم		مجهول :	
٢	يُفَعِّلُ	٢	يُفَعَّلُ

٣	يفَاعِلُ	٣	يُفَاعَلُ
٤	يُفْعِلُ	٤	يُفْعَلُ
٥	يَتَفَعَّلُ	٥	يُتَفَعَّلُ
٦	يَتَفَاعَلُ	٦	يُتَفَاعَلُ
٧	يَنْفَعِلُ	٧	يُنْفَعَلُ
٨	يَفْتَعِلُ	٨	يُفْتَعَلُ
٩	يَفْعَلُّ		
١٠	يَسْتَفْعِلُ	١٠	يُسْتَفْعَلُ

ملحوظة : يلاحظ أن تعارض المصوتات فى الفعل التام ظاهر وقياسى إلى درجة عجيبة : فتحة قصيرة (أو طويلة) ـ فتحة / ضمة قصيرة (أو طويلة) ـ كسرة .

أما فى الفعل غير التام فإن التعارض يكون كاملاً : فتحة ـ كسرة / ضمة ـ فتحة فى الصيغ : السابعة والثامنة والعاشرة ، وفتحة ـ كسرة فى الثابت الفعلى ، والضمة (من المجموعة ضمة ـ فتحة) باعتبارها حركة لسابقة التصريف .

ويكون التعارض مقتصراً على : كسرة / فتحة ، يتحرك بإحداهما الصامت الثانى من الجذر الثلاثى بالنسبة إلى الصيغ : الثانية والثالثة والرابعة . وهذا منطبق أيضاً على جميع المشتقات المبنية للفاعل وللمفعول ، مثل : مُفَعِّل (للفاعل) ومُفَعَّل (للمفعول) . كما أن التعارض يكون مقتصراً على : فتحة / ضمة ، وكلتاهما مصوت لسوابق التصريف ، فى الصيغتين : الخامسة والسادسة .

ولكى نقرب أوجُه التعارض فى الفعل غير التام إلى الإدراك (فى حدود التفرقة بين الصيغة المعلومة والمجهولة) قمنا بتخطيطها على الوجه التالى :

	معلوم	مجهول
٢	كسرة	فتحة
٣	كسرة	فتحة
٤	كسرة	فتحة
٥	فتحة	ضمة
٦	فتحة	ضمة
٧	فتحة ـ كسرة	ضمة ـ فتحة
٨	فتحة ـ كسرة	ضمة ـ فتحة
١٠	فتحة ـ كسرة	ضمة ـ فتحة

ولم تظهر الصيغة التاسعة : افْعَلّ فى هذا التخطيط ، إذ الواقع أن ما يجىء من هذا الوزن هو « فعْلُ صفَة » لا يقبل البناء للمجهول ، لأن المسند إليه فى جملته ليس فاعلاً ، ولكنه مجرد موصوف » ، وكذلك الحال فى : فَعُلَ وفَعِلَ ، من الصيغة الأولى (فعل صفة) [1] ، والصيغ النادرة التى سوف نتحدث عنها (فيما عدا الحالات القليلة الورودَ ، والتى يكون المسند إليه فيها فاعلاً) .

(١) هنالك أيضاً أفعال بزنة – فَعَلَ يفعُل ـ وتفيد الصفة ، مثل : فتر يفتر ، (وهذا النوع من المعانى يخلق مشكلة صرفية تنشأ عن نطقه بهذه الصورة) ، هذه الأفعال التي لا فاعل لها لا تستحق « مجهولاً » (انظر رايت جـ ١ ـ ٧٣) . وعكس ذلك الفعلان بزنة فَعَلَ يفعَل (اللذان ذكرناهما ص ١٨٩) فإن لهما فاعلاً ، ولذا يمكن أن يكون لهما (مجهول) .

فهذه الصيغة التاسعة وغيرها من الصيغ النادرة ينبغى أن ننطق بها نطقاً محدداً مضبوطاً ، كيما يتاح لها أن تتخذ مكانها فى الإطار العام لفكرة التحول الداخلى ، وبخاصة فى نظام الفعل . فأما ضبط النطق فى حالة المعلوم فقد سبق أن حددناه ، ولكن ذلك لا ينبغى أن يخدعنا عن بقية الموضوع .

هـ - الصيغ النادرة :

الصيغتان الحادية عشرة ، والثالثة عشرة : هما تطور للأساس الذى تقدمه الصيغة التاسعة : يَفْعَلِلُ * (المدغم فى يَفْعَلُّ فى هذه الصيغة) ، وهو تطور أحدثه التحوّل الداخلى المحض :

١ - مد مصوت الصامت الثانى الثابت

الصيغة الحادية عشرة : (ا) فْعَالُّ يَفْعَالّ : تحوّلت : يَفْعَلِلُ إلى يَفْعَالِلُ ثم إلى يَفْعَالُّ ، بإدغام الصامتين المتماثلين ، كما يحدث هذا فى الصيغة التاسعة وللأسباب ذاتها . ومن أمثلة ذلك : يَحْمَارّ (التام (ا) حْمَارَّ) (رقم ٢٠ فى المذكرات) .

٢ - تضعيف الصامت الثالث الثابت

الصيغة الرابعة عشرة : (ا) فْعَنْلَلَ f'anlala (i) يَفْعَنْلِلُ ، * يفعللُ تحولت إلى : يفعلّلُ ، فحين اجتمعت أصوات متماثلة كثيرة استدعت كراهة اجتماعها على هذه الصورة (انظر ص ٦١ - ٦٢) تدخل ظاهرة المخالفة فصارت يَفْعَلّلُ : يَفْعَنْلِل. ومن أمثلة ذلك : يَحْلَنْكِكُ - وتامه (ا) حْلَنْكَكَ ، (حَلِكَ - اسْوَدّ) .

وكذلك الصيغتان الثانية عشرة والثالثة عشرة ، اللتان تتولدان من تكرار الصامت الثانى والثالث من الجذر الثلاثى ، حيث تمد هذه الصيغة الأخيرة

(الثالثة عشرة) الزوائد التى تتدخل فى الثانية عشرة :

١ ـ الصيغة الثانية عشرة : (اِ) فْعَوْعَلَ يفْعَوْعِلُ .

فعندما يكون الصامت الثالث من الجذر الثلاثى واواً تتحقق بصورة طبيعية ، مثال ذلك : يَحْلَوْلِى (الجذر ـ ح ل و) ، وتامه : (ا) حْلَوْلَى ، ويجْذَوذِى (الجذر ج ذ و) ، وتامه : (ا) جْذَوْذَى (بمعنى : استقام) . ومن المحتمل [١] أن هذه الواو (w) كانت قد نقلت ، ثم عممت فى صيغ * يَفْعَلْعِلُ ، يَفْعَوْعِلُ ، فعندما فقد التكرار قدرته التعبيرية لم يعد صالحاً لأداء المعنى اللغوى ، والإحساس به .

وهكذا أقحمت الواو (فى الفعل) لتحل محل صوت صامت ، ولكن خضوعاً للرغبة فى المخالفة ، ومن أمثلة ذلك : يَحْدَوْدِبُ ، وتامه : (ا) حْدَوْدَبَ .

٢ ـ الصيغة الثالثة عشرة : (اِ) فْعَوَّلَ f 'awwala (i) يفْعَوِّلُ .

ففى بعض الأفعال التى يكون الصامت الثانى من الجذر الثلاثى فيها راءً

---

(١) إنى مدين للاستاذ أ. شبيتالر A. Spitaler بمعرفة الحل الذى اقترحه الأستاذ س. كيكرز S.Kieckers ، المقالات العلمية ١٩٣٤ بعنوان « التصريف فى اللغة العربية » ص ٧ - ٨ ، وهو يقرر مجرد توسع أو تطبيق قياسى لـ أو (a w) التى نصادفها طبيعياً فى « احلولى » وما هو من نوعها من الأفعال . أما ك. بروكلمان C. Brockelmann فقد رضى ابتداء عن هذا الحل ، ثم رده بعد ذلك (Z.S., VI, 1928, P. 120) ونحن نتخذ طريقاً وسطاً : فهو توسع ex-tention ، ولكنه ليس قياساً محضاً ، إنه توسع تدفع إليه الرغبة فى إحداث مخالفة . والواقع أن هذا روعى فيه وجود (أو - aw) فى الأفعال مثل : اغدودن (بمعنى طال ، والشعر المغدودن : الشديد السواد الناعم) حيث لا تستطيع الأصوات الأسنانية فى « اغدندن » أن تتطور من تلقاء ذاتها إلى (و) . ويلجأ هـ . د . نيبرج ببساطة إلى المخالفة لتفسير « أو aw » فى هذه الأفعال من التصريف الثانى عشر : (الاستعمالات الشرقية الغربية - - R. Tschudi uberreicht Wies-baden, 1954, p. 132) فهو يرجع إلى حل بروكلمان .

أولاماً تحدث مماثلة للراء أو اللام أو الواو التالية ، فـى هيئـة امتـداد للظواهـر السـابقـة ، ومن أمثلة ذلك : يَعْلَوِّطُ (هو التعلق بالشـىء وأخذه وحبسـه) ، (الجذر : ع ل ط) ، وتـامه : (١) عْلَـوَّطَ ، وَيَخْـرَوِّطُ (يمتد ويطول) ، (الجذر : خ ر ط) ، وتامه : (١) خْرَوَّطَ .

وهكـذا يرتسم أمامنا الطريق التطورى كـاملاً : يَفْعَلْـعِلُ* ، يَفْعَـوْعِـلُ* ، يَفْعَوِّلُ .

حاشية : الصيغة الخامسة عشرة

الصيغة الخامسة عشرة : صيغة متحولة عن اسم ، وهى تدين بخروجها عن القياس للاسـم الأصـلى فحـسب : (١) فْعَنْلَى يَفْعَنْلِى . ومن الأمثـلة : (١) عْلَنْدَى ، من (عَلَنْدَى = البعيـر الغليـظ الشديـد) ، و(١) حْبَنْطَـى ، مـن (حَبَنْطَى = الغليظ القصير البطين) .

ملاحظات على الصيغ (النادرة)

أولاً : تثير صيغة « افْعَالَّ » مسألة وجود مصوت طويل فى المقطع المقفـل (انظر ص ٥٨) ، وقد اتبعت طريقة لتحاشى هذا النوع من المقطع المديد بتقسيم المصوت الطويل إلى مصوتين قصيرين تفصل بينهما همزة .

فتولدت من صيغة « افْعَالَّ » على هذا صيغة « افْعَأَلَّ » ثم حدث فى بعض الأفعال أن تغيرت الهمزة إلى هاء أو عين ، وهى أنواع من التغير معروفة من ناحية أخرى (رقم ٢٢ فى المذكرات) ، فتولدت من صيغة افْعَأَلَّ صيغتا : افْعَهَلَّ ، وافْعَعَلَّ ، وقد ترد أحياناً شواهد لصيغتى افْعَأَلَّ وافْعَهَلَّ فى مثل ازْمَأَرَّ وازْمَهَرَّ « احمرَّ » ، « للعين » ، واتْمَأَلَّ واتْمَهَلَّ « اعتـدل وانتصـب » (لسنام الجمل) . وفى غالب الأحيان نجد أن دراسة الأصول الاشتقاقية هى التى توضح

هذه الصور الصياغية : فكلمة : ابْذَعَرّ (تفرق وتبعثر ، للشعر) تتصل بداهة بكلمة : بَذَرَ ، وكلمة اقْفَعَلّ (تَشنّجَ وتَقَبّضَ « لليد ») متصلة بكلمة أَقْفَلَ (للباب) . ولكنا لا نجد دائماً هذه العلاقات الدلالية واضحة وضوحاً كافياً ، وإن كان هذا ـ فيما يبدو ـ هو الخط العام للتطور ، ومع ذلك فينبغي أن نبحث بالنسبة إلى بعض الأفعال عن إمكانة وجود أصل اسمى .

ثانياً : قلنا : إن هذه (صيغ نادرة) ، ولكن لا ينبغى أن نخطىء الفهم ، فإن هذه الصيغ قد كوّنت طبقاً للطرق العادية للصرف العربى (وربما قلنا : السامى) ، بيد أن هذه الطرق لم تثمر كثيراً ، على الأقل طبقاً لما تبقى لدينا منها . ومن المؤكد أنها لم تعد حية منذ أمد بعيد ، ولم تعد اللغة الفصحى الحديثة تصوغ ـ بداهة ـ أفعالاً بزنة هذه القوالب ، بل لم تحفظ فى استعمالها سوى عدد قليل جداً من كلماتها : اغرورق واطْمأنّ [1] ، واشْمأزّ ، واقْشَعَرّ . وقد اصطدمت هذه الطرق الصياغية فى العربية بصعوبة النطق بمصوت طويل فى مقطع مقفل ، كما اصطدمت بصعوبة تكرير الصوت بذاته ، ولذلك هجرت .

أما اللغات العربية الجنوبية (الجعزية واللغات الحديثة فى أثيوبيا) فهى على العكس من ذلك لا تستشعر أدنى كراهة لتكرير صوت معين ، فاحتفظت بهذا النوع من الصياغة (صيغ فَعْلَلَ وفَعَالَلَ وفَعَلْعَلَ) ، حتى إننا نجدها غنية بالأفعال المصوغة من هذا النوع ، لا سيما أهم اللغات فى المنطقة ، ومن بينها الآن : اللغة الأمهرية ، لغة أثيوبيا الرسمية .

---

(١) هناك من ناحية أخرى (اضمحلّ : اختفى) ، وارجع إلى بروكلمان – المؤتمر الرابع للغويين : الذى نسب إليها معنى آخر (إجابات عن أسئلة النشرة الأولى ص ١٦) . والحاء ḥ صامت ثابت أصلى من الجذر الاشتقاقى فى الأول : ض ح) .

الفصل الثانى

الفِعْل الرّباعى

الفعل الرباعى هو الفعل الذى بنى على جذر من أربعة صوامت ، وهذا الجذر يمكن أن يكون ذا صور مختلفة :

أربعة صوامت ، ورمزها : ١ ٢ ٣ ٤ .

أربعة صوامت أولها يماثل ثالثها ، ورمزها : ١ ٢ ١ ٣ .

أربعة صوامت ثالثها ورابعها متماثلان ، ورمزها : ١ ٢ ٣ ٣ .

أربعة صوامت أولها يماثل ثالثها ، وثانيها يماثل رابعها ، ورمزها ١ ٢ ١ ٢ .

وهذه التراكيب المتنوعة للجذر ليست بذات بال بالنسبة إلى تأثير التحول الداخلى ، وبالنسبة إلى التصريف . فالجذر (ف ع ل) الذى استخدمناه حتى الآن كيما نعين ـ اتفاقاً ـ الصوامت الثلاثة من الجذر الثلاثى ـ لم يعد كافياً الآن ، وإنما نضيف إليه (لاماً) لا يقصد بها سوى تعيين الصامت الرابع ، أيّا كان .

أصل الفعل الرباعى

١ - أن يكون تطوراً لأصل ثلاثى :

إن اشتقاق الفعل الرباعى لم يدرس حتى الآن دراسة عميقة ، وينبغى أن نقرر أن هذه الدراسة شاقة وصعبة . ونحن نعرض هنا الطرق الرئيسة لتكوين هذا الفعل الرباعى .

فأصل الفعل الرباعى يظهر أحياناً تطوراً لأصل ثلاثى :

أولاً : بتكرار الصامت الأول بعد الصامت الثانى (الرمز ٣١٢١) : طَرْطَبَ يُطَرْطِبُ « اضطرب الماء فى الجوف أو القربة » (قارن طَرِبَ) . وقد كانت هذه الطريقة قليلة الورود فى اللغة الفصحى ، ولكنها كثيرة الشيوع والاستخدام فى اللهجات ، لا سيما فى إفريقية الشمالية ، وفى سورية ، ولبنان .

ثانياً : بمخالفة تضعيف الصيغة الثانية « فَعَّلَ » ، لا سيما الأصوات الشفوية والأسنانية والحنكية ، فالعنصر الأول [1] من التضعيف يبدل حينئذ راءً أو لاماً أو نوناً ، (الرمز ٤٣٢١) : فكلمة « فَقَّعَ » تصير : فَرْقَعَ يُفَرْقِعُ (بنفس المعنى) ، وخَمَّشَ ، خَرْمَشَ (بنفس المعنى) ، وبَطَّح ، بَلْطَحَ (غطى الأرض بطبقة من الحصى مثلاً) ، وجَدَّلَ (صرع) : جَنْدَلَ (بنفس المعنى) ، ففى العربية الفصحى نجد أن هذه الطريقة أيضاً قليلة الاستعمال ، ولكنها كثيرة الورود فى اللهجات ، حيث تظهر خاصتها التعبيرية بجلاء . فى مثل : شَكَّلَ « حصل على الشىء بحيلة ـ أنشب [2] » ، وشرَّ كل šarkel (شوَّش) (قاموس بارتلمى ص ٣٨٩) . وفى لبنان : بَحَّش baḥḥaš (دعك ـ حك) ، بَرْحَشَ (بنفس المعنى) ، ولكنها أكثر تعبيراً وتصويراً . فالمخالفة هنا لم تتدخل لعلاج صعوبة نطقية ، وإنما سببها هو محاولة التأثير فى داخل الكلمة ، لتضخيمها وتكبير حجمها بوساطة هذه القاعدة العامة فى العربية ، (انظر ص ١٣٣ وما بعدها) . فالمخالفة ـ التى تعمد إلى إحداث الاختلاف فى عنصرى التضعيف ـ قد استخدمت من أجل إضافة صامت آخر داخل الكلمة .

---

(١) ارجع إلى ص ٦٨ لمعرفة قيمة التضعيف .

(٢) ينطق هذا الفعل فى العامية المصرية (شنْكَل) بإبدال إحدى الكافين نوناً على طريقة المخالفة . (المعرِّب) .

(٣) نقول : مخالفة ، ولكن يجب أن نلاحظ هنا ملاحظة مماثلة لما لاحظناه من قبل بصدد صيغة افعوعل (ص٢٠١) فى مثال : فَقَّعَ ، فرقع ، فالقاف لا تتطور إلى راء ، وكذلك : بَطَّح ، بَلْطَحَ ،=

ثالثاً : بتوسيع الأصل الثلاثى (الرمز ٤٣٢١) وذلك بإضافة :

أ ـ راء : مثل : شَمْخَرَ šamḫara (افتخر) ، مقارنة بكلمة (شَمَخَ) أى : علا .

ب ـ لام : مثل شَمْعَل šam'ala بمعنى شَمَعَ šama'a ، أى تشتت .

جـ ـ سين : مثل خَلْبَسَ ḫalbasa بمعنى خَلَبَ .

وورود هذه الإضافات ، وخصائصها الصرفية ، كلا الأمرين يحتاج إلى تحديد .

رابعاً : بإدخال واو أو ياء بعد الصامت الأول من الجذر الثلاثى (الرمز ٤٣٢١) . مثل :ـ شَوْقَلَ (جَدَّ وَوَزَنَ) ، شَقَلَ (وزن قطعة من النقود ـ ثقل) ، نَيْسَبَ بين (سار بالنميمة) ، نَسَبَ إلى .

ملحوظة : هناك صيغتان هما : فَعْوَل ، وفَعْيَلَ (ذكرهما بروكلمان ـ Gr. I.p. 515) وفسرهما بالقلب المكانى للواو أو الياء بتأثير صوت حلقى ، أو مجهور فى صيغتى فَوْعَل وفَيْعَلَ ، لكنهما ليستا من أصل اسمى بالضرورة ، أما بالنسبة لفكرة بارث Barth (فانظر Nomiaalbildung, § 102F) .

٢ ـ أن يكون من أصل اسمى :

والأفعال الاسمية تستلفت الملاحظة بخاصة ، فهى تحتفظ بأربعة صوامت من الاسم الأصلى ويمكن أن يقدم لنا أصلها الاشتقاقى نماذج مختلفة :

= والطاء لا يمكن أن تتطور إلى لام ، إلى أمثلة كثيرة (ولا سيما فى اللهجات) ، غير أن المخالفة عادية فى جَنْدَلَ ، وفى رأينا أن هناك من حيث الأصل مخالفة قياسية ، ولكن الإحساس اللغوى يعمم المنهج ، ويستخدم اللام أو الراء أو النون لتنويع التضعيف تبعاً لأوجه التفضيل التى تغيب عن ذاكرتنا ، كيما نحصل على ما نريد : استحداث نطق آخر داخلى ، يزيد فى حجم الكلمة ، ويجدد فى خاصتها البيانية .

أولاً : تبعاً للرمز ٤٣٢١ : تَلْمَذَ (تلميذ) ، وقَطْرَنَ[1] (قطران) ، ومَسْمَرَ [1] (مسمار) ، وحَوْقَلَ (صار عجوزاً مسناً) (حَوْقَلٌ) ، وشَيْطَن (يقوم بدور الشيطان) (رقم ٢٥) من المذكرات) .

ثانياً : تبعاً للرمز ٣٣٢١ : جَلْبَبَ (ألبس الجلباب) ، وشَمْلَلَ (شِمْلال : سريع) ، (للجمل) ، وحَبَّبَ * ، حَنْبَبَ[2] (حَبّ) .

ثالثاً : تبعاً للرمز ٢١٢١ : سَأْسَأَ (لإيقاف الحمار بتكرار هذا المقطع) ، وجَأْجَأَ (لنداء الجمل إلى الماء بتكرار المقطع جِئْ جِئْ ، gi'gi') .

ويبدو لنا أن الأفعال الاسمية إنما تكثر بخاصة حين تشتق من أسماء الأصوات .

٣ - أن يكون تكراراً لعنصر ثنائى :

وهذه الصياغة من (الرمز ٢١٢١) التى وصفناها قبل بالنسبة إلى الأفعال الاسمية تنال هنا تطوراً كبيراً ؛ فهى تمثل بالنسبة إلى الأفعال نظير ما رأيناه من قبل بالنسبة إلى الأسماء (ص ١٢٩وما بعدها) . إذ يصاغ بوساطتها - كما فى الأسماء - مفردات معبرة ، تمثل أو تثير حركات وأصواتاً وضوضاء خاصة متميزة ، وظواهر ضوء ، وتأثيرات خاصة بالحواس ، وبصفة عامة جميع الأحداث التى تثير الانتباه ، أوتغذيه ، أو تصرفه .

وإلى القارىء بضعة أمثلة سوف تستخدم فى الوقت نفسه للدلالة على أصلها ، ويمكن أن نرى تفصيل هذه المسألة فى (دراسات فى علم الدلالة ص ٢٤ - ٣٦) للأستاذ پ . جوون P. Jouon :

---

(١) أدخلنا هذين المثالين لنبين أن الفعل الرباعى يمكن أن يحتفظ فى أصله بصوامت ، تنتمى فى الاسم الثلاثى الأصل إلى سوابق أو لواحق .

(٢) حدثت هنا مخالفة ، فهل هى بسبب الرغبة فى تحاشى تكرار النطق بصوت معيّن . ؟ أما حَنْبَبَ : فقد ذكرها بروكلمان فى كتابه عن القواعد جـ١ (ص ٥١٠ (I., Cir. P. 510) .

أولاً : عدد كبير من هذه الأفعال يأتي من تكرار الصامتين الأولين في الجذر الثلاثي الذي ثانيه وثالثه الأصليان متماثلان ، مثل : زَفْزَفَ (ارتعد أو جرى بكل قوته) ـ زَفَّ ، أي: أسرع الخطى) ، وزَكْزَكَ (مرّ يقارب خطوه من ضعف « العجوز ») ـ (زَكَّ ـ بنفس المعنى) ، ودَنْدَنَ (تكلم أو غنى بصوت خافت) ـ (دَنَّ ـ بنفس المعنى) ، وصَرْصَرَ (رفع صوته) ـ (صَرَّ : صرخ) ، وحَشْحَشَ (شوى اللحم على الجمر وقلّبه) ـ (حَشَّ : وضع اللحم على الجمر) ، كَبْكَبَ (قلب) ـ (كَبَّ : بنفس المعنى) .

ثانياً : ويأتي عدد قليل من تكرار الصامتين القويين في الجذر الثلاثي الذي صامته الثاني واو أو ياء (وهن خمس كلمات نقلاً عن دراسة جوون) ، أو من تكرار الصامتين الأولين من جذر ثلاثي صامته الثالث واو أو ياء (وهن خمس تبعاً لنفس الدراسة) : رقْرَقَ : يرقرق (صب الماء صباً رقيقاً هنا وهناك بقدر رقيق قليل) ـ (رَاقَ يَرِيق) (للماء المرشوش) ، ورأرأ (حرّك الحدقة وحدد النظر) ـ (رأى) .

وقد ذكر فعل واحد تمثيلاً لحالة الأصل الثلاثي الذي صامته الأول واو : تَضَعْضَعَ (من الصيغة الثانية) (قل وذل) ـ من : وضع (خفض ـ أهان) .

ثالثاً : وهناك أيضاً ثمانية أفعال صيغت بتكرار صامتين يختاران فيما يبدو لخاصتهما التعبيرية في الجذر الثلاثي ، مثل : ضغضغ (لاك اللقمة ومضغها) ـ (مضغ) ، وفَخْفَخَ (افتخر من غير حق) ـ (فخر) ، وتَهْتَه (تردد في كلامه من لكنته ، أو وقع في الترهات) ـ تَرِهَ ـ بنفس المعنى [(١)] .

---

(١) تسمح العلاقة الدلالية الوثيقة بين هذين الفعلين (٢١٢١) بهذا التقارب ، كما يسمح به ما يطابقهما من فعل ثلاثي ، ونحن نستبعد من قائمة جوون (loc.cit.p.35) الفعلين : قَطْقَطَ (أمطرت السماء رذاذاً) ، وهو من (قِطْقِط : الرذاذ) . وكَسْكَسَ (بمعنى : سحق ، هرس ، ضغط) ، وهو فعل لهجي .

أ ـ التحول الداخلى المحض : الصيغة الأولى

يحكم التحول الداخلى المحض الصيغة الأولى التى تصاغ على الوجه التالى :

المعلوم التام : فَعْلَلَ ؛ غير التام : يُفَعْلِلُ

المجهول التام : فُعْلِلَ ؛ غير التام : يُفَعْلَلُ

وتخطيطها هكذا : فتحة ـ فتحة كسرة

ضمة ـ كسرة فتحة

أما فيما يخص أشكال التعارض الصوتى المميزة بين المعلوم والمجهول (فهى هى الفروق بالنسبة إلى الفعل الثلاثى ـ الصيغة الثانية)[1] .

ب ـ التحول الداخلى والإلصاق ـ الصيغة الثانية ، سابقة « التاء »

تتشكل الصيغة الثانية كالآتى : تـَ/فَعْلَلَ يـَ / تـَ / فَعْلَلُ .

وهى تخالف بين المعلوم والمجهول بوساطة التحول الداخلى المحض :

المعلوم ـ التام : تَفَعْلَلَ غير التام : يَتَفَعْلَلُ

المجهول ـ التام : تُفُعْلِلَ غير التام : يُتَفَعْلَلُ

وتخطيطها على الوجه التالى : فتحة ـ فتحة فتحة

ضمة ـ كسرة ضمة

(١) تصريف (التام وغير التام) وغير الشخصى والمشتق ينطبق تمام الانطباق على تصريف الصيغة الثانية ، فيما عدا المصدر : فالرباعى فى صيغته الأولى بزنة فَعْلَلَة ، والثلاثى فى صيغته الثانية بزنة تَفْعِيل .

وهذا التخطيط هو نفس تخطيط الصيغة الخامسة من الفعل الثلاثى .

وهذه الصيغة الثانية تنطبق ـ من حيث التصريف ـ عليه تماماً (حتى بالنسبة إلى المصدر ، فهنا : تَفَعْلُل ، والصيغة الخامسة : تَفَعُّل) .

ثم إننا نجدها من حيث المعنى مطاوعة متوسطة (كالصيغة الخامسة) ، وهى أيضاً اسمية ، ومن أمثلتها : تَفَرْقَعَ (للأصابع) وتَدَحْرَجَ ، وتَسَلْطَنَ ، من (سُلْطان) ، وتَشَيْطَنَ ، من (شَيْطَان) ، وتَمَعْدَدَ (تشبه بمَعَدّ فى تقشفهم وتصلبهم) ، وتَمَلْمَلَ (تقلب فى فراشه) ، وتَكَمْكَمَ (لبس القلنسوة المدوَّرة : الكُمَّة) .

جـ ـ التحول الداخلى والزيادة الوسطية

الصيغة الثالثة ـ زائدة (النون) .

وتتشكل الصيغة الثالثة كالآتى : (ا) فْعَـ / نْـ / لَلَ يَفْعَـ / نْـ / لِلُ ، وهى تتفق مع الصيغة السابعة : (ا) نْفَعَلَ ، غير أن النون فى هذه سابقة ، وقد أصبحت هنا مزيدة فى الوسط ، ومثال ذلك فى : حَرْجَمَ (رد بعض الدواب على بعض) : (ا) حْرَنْجَمَ يَحْرَنْجِمُ ، (اجتمع ـ الناس أو الحيوانات) ، وفى الفعل الاسمى : احْوَنْصَلَ يَحْوَنْصِلُ (انتفاخ الحوصلة « للطير ») [(1)] .

حاشية

أولاً : يبدو أن الصيغة الرابعة : افْعَلَلَّ يَفْعَلِلُّ ليست سوى تطور قياسى للصيغتين : افْعَوَّلَ وافْعَهَلَّ ، اللتين جاءتا بصفة ثانوية من صيغة افْعَالَّ (انظر ص ٢٠٢ - ٢٠٣) ، ومن أمثلة ذلك : اشْمَخَرَّ يَشْمَخِرُّ (شَمَخَرَ) ، واسْبَطَرَّ يَسْبَطِرُّ : اضطجع وامتد (سَبْطَرَ ـ بنفس المعنى) .

---

(١) لصياغة المجهول من هذه الصيغة الثالثة وما بعدها تطبَّق نفس الملاحظات التى سبقت ص ١٩٢ وما بعدها (قبل الصيغ النادرة) .

ثانياً : وجدت اللغة الانفعالية أيضاً تعبيرها فى الأفعال ، ونذكر منها على سبيل الاختصار :

أ) الصيغة الثانيـة (فَعَّلَ) للمبالغة ، والصيغة الخامسة (تَفَعَّلَ) مطاوعها .

ب) الصيغ (النادرة) ذات التضعيف أو التكرار ، وهى طريقة مهجورة .

جـ) الصيغ الرباعية ، وبخاصة ما كان على الشكل ٢١٢١ ، ومن ناحية أخرى صيغ التوكيد . (انظر ص ١٨٠) .

ثالثاً : والفعل العربى يجمع المتناقضات ، فهو من ناحية يبدو فى غاية البساطة ، ومن ناحية أخرى يبدو فى غاية التعقيد . أما البساطة فتتمثل فى الأشكال الشخصية : صيغتان فعليتان فقط : تامّ وغير تام ، يكفيان للتعبير عن التعارض فى الاتجاه ، وأمر (للشخص الثانى) . وتصريف هو التصريف المشترك ، الذى يستخدم نفس السوابق أو اللواحق بالنسبة إلى جميع الأفعال ، كما سبق أن رأينا ذلك ص ١٧٤ - ١٨٠ .

وتتمثل البساطة أيضاً فى خاصية تبادل المصوتات (الحركات) الداخلية ، وهى التى تحدد سمات الفعل فى أقسامه بما يبدو من تعارض بين المصوتات الثلاثة : الفتحة والكسرة والضمة ، (انظر ما سبق ص ١٨٨ وما بعدها) . ثم إن بساطة العربية فى التناوب الحركى الخارجى : الضمة / الفتحة / السكون أو الصفر - وهو الذى يحدد الأنواع (انظر ما سبق ص ١٩٠ وما بعدها) .

وأما التعقيد فتمثل فى كثرة الصيغ المشتقة المتفرعة عن الفعل الثلاثى ، وهى أربع عشرة صيغة (ما سبق ص ١٩٠ وما بعدها) ، وثلاث للفعل الرباعى (ص ٢٠٤) وكثرة صيغ المصدر أو اسم الحدث فى الفعل الثلاثى البسيط ، وهى أربع وأربعون صيغة نادرة أو مستعملة ، كما سبق فى ص ١٨٠ .

بيد أن لهذه الصيغ الكثيرة فائدة ، هى أنها تسمح بالتعبير عن الأفكار المركبة التى تعبر عنه اللغة الفرنسية بصورة منفصلة تبعاً لطريقتها التحليلية ، ومثال ذلك فى العربية الفعل : قَطَعَ [١] ، وقَطَّعَ (إلى قطع صغيرة ـ وفرّق [٢]) ، وأقْطَعَ (جعله يقطع [٣]) ، وقَاطعَ : (فارق غيره [٤]) ، وتَقَاطَعَ (تمزقوا بعضهم مع بعض [٥]) ، وهذه كلها تسهم بصورة جيدة فى تأكيد السمة التركيبية للغة العربية .

* * *

---

(١) بالفرنسية / couper, trancher.

(٢) couper en petites morceau أو mettre en lambeaux .

(٣) faire couper.

(٤) Se séparer de qqn.

(٥) Se séparer les uns des autres.

القسم الثالث

تكوين الصيغ بغير طريقة التحول الداخلي : الضمائر

تمهيد

الضمائر : شخصية أو إشارية ، أو موصولة ، أو استفهامية ، هى جميعاً من حيث أصلها الصرفى خارج نظام الجذر الاشتقاقى (ثنائياً أو ثلاثياً) ، وهو المستخدم فى التحول الداخلى [١] ، وهذا مما تنبغى ملاحظته نظراً إلى الدور الهام الذى يضطلع به هذا التحول الداخلى فى بناء اللغة العربية . وربما تأتى بصفة عامة من اللغة الانفعالية ، لغة النداء ، والندبة : والتعجب ، والكلمات الإشارية [٢] وهذا أمر يمكن إدراكه أيضاً ، وبخاصة بالنسبة إلى الضمائر الإشارية . فهى تنتسب إلى أساس لغوى قديم ، يعسر تحديده تماماً ، ولعل هذا القدم هو الذى أبقى عليها خارج النظام الثابت للأسماء والأفعا ل، وربما استمر الناطقون باللغة فى استعمالها كما تلقوها . ومنذ ذلك الحين الذى خرجت فيه الضمائر من نطاق اللغة الانفعالية انتهى بها التطور الدلالى إلى أن يخصص للعناصر ذاتها معانى مختلفة فى نطاق هذه الضمائر [٣] ، على ما نجده فى مختلف اللغات السامية ، فهى قد تكونت بوساطة كلمات قصيرة ، ذات مقطع

---

(١) باعتباره نظاماً . وسنرى أن التبادل فى المصوتات يؤدى دوراً فى التفرقة بين الأنواع ، وسنجد أيضاً نوعاً من تبادل الصوامت : د / ت ، وهى حالة غريبة فى نوعها .

(٢) هذا هو رأى بروكلمان (Gr., I, P. 296) ويبدو أنه صحيح .

(٣) استطاع التطور الدلالى أيضاً أن يؤدى بهذه العناصر إلى أن تكون ظروفاً أو بعبارة أخرى : نوعاً من (الفضلات التكميلية) أو حروف جر . (انظر فيما بعد ص ٢٢٤ وما بعدها) .

واحد (من ناحية الأصل الاشتقاقى : على حرف واحد) . فمن أجل علاج انقراضها الدلالى ، أو منحها قواماً أكثر قوّة ـ (لدعم بنائها) ألصق بعضها ببعض . ولذلك يغلب أن نرى أن هذه الكلمات التى كانت فى مبدئها قصيرة تستطيل وتصبح مكونة من مكونين ، أو من ثلاثة مكونات . ومما يلاحظ أيضاً أنها ليست خاضعة للإعراب ، فمثلاً : اسم الإشارة : « ذلك » dālika حين يكون فاعلاً لا يختلف فى شىء عنه حين يكون مفعولاً ، (والمثنى الإشارى يعد استثناء من هذه القاعدة ، ولعله أعرب لكونه أحدث عهداً من غيره) .

أما حين تراد التفرقة بين المذكر والمؤنث فليس لتاء التأنيث أن تقوم بدورها المعتاد فى سائر الأسماء ، وإنما يتدخل التعارض فى المصوتات دائماً . وهذا كله يخوّل للضمائرفى الحقيقة مكاناً متميزاً فى بناء اللغة العربية .

ويلاحظ أن من بين الضمائر الموصولة الاستفهامية ضميراً تلزمه الخاصة الاسمية ، وهو « أىّ » ، فهو يعرب ، ويتصل به مفعول به معرّف ، أعنى إضافة نحوية .

أما فيما يتصل بما نطلق عليه فى الفرنسية (الضمائر أو الصفات غير المعرفة). فقد حل محلها فى العربية أسماء حقيقية ، من النوع الثلاثى . وتنقسم الضمائر الشخصية إلى مجموعتين : مجموعة تضم الضمائر الشخصية المنفصلة ، والمجموعة الأخرى مجموعة الضمائر المتصلة ، وهى الضمائر الشخصية الملصقة ، وتستخدم الأولى مسنداً إليه (أو مخبراً عنه) ، أو بدلا من المسند إليه ، أو مسنداً أو رابطة فى الجملة الاسمية ، وتستخدم الثانية متصلة فحسب : متصلة بفعل ، أو باسم ، (بما فى ذلك الأدوات) ، ولما كانت متصلة فإنها تعد جزءاً مما اتصل بها من الكلمات .

١ ـ الضمائر الشخصية

أولاً : المتكلم : (مثل ضمير المتكلم فى الفعل) لا يميز بين الأنواع ، وإنما يميز العدد : مفرداً أو جمعاً ، دون تعبير خاص بالمثنى .

المنفصل المفرد : أنا 'anā ، أنَ 'ana عادة (من حيث الكمية) . (= * اَنْ + أ ـ 'a + 'an) .

الجمع : نحن ـ naḥnu

المتصل المفرد : الكسرة الطويلة (ī) ـ (اىَ iya ـ) ملصقة بالاسم .

ن ـ ī ـ الكسرة الطويلة ـ n (نىَ n-iya) ملصقة بالفعل

الجمع : نَا ـ nā .

ملاحظات : أ ـ يـا ـ ya هى الصيغة القديمة للضمير المتصل الذى نجده أيضاً فى العربية بعد مصوت طويل ، فى مثل : عَصَاىَ .

وقد فتح أ. دنز Denz الطريق إلى تفسير مقبول للانتقال من (يا ـ ya) ـ إلى الكسرة الطويلة (ī) ، وذلك فى (Structuranalyse der pronom-inalen objebet suffixe im altnyrischen und klassischen arab-ish ـ ميونخ ١٩٦٢ ـ ص ٧٥) ، وانظر مقالنا عن (Les pronoms per-sonnels en arabe classique (Musj t.XLIV) .

ب ـ مهمة النون (n) المتصلة بالفعل هى فى الواقع فاصل يتحاشى الانزلاق بين المصوتين ، فى مثل : جَرَجُو ـ نَ ـَ ى ، ويبدو أن أ. دنز كان محقاً عندما بحث فى أسلوب التوكيد عن أصل هذه النون (انظر Loco cit p.77 ـ وانظر أيضاً : (MUSI ـ السابق) .

جـ ـ هذه هي الحالة الوحدةُ في جميع الضمائر الشخصية التي يختلف فيها شكل الضمير المتصل بالفعلَ أو بالاسم .

ثانياً : المخاطب :

المنفصل المفرد ، مذكر : أَنْتَ (an - tā *) .

مؤنث : أَنْتِ (an - tī *) .

الجمع : المذكر : أنتم (أنتمو = 'n-tum-u) .

المؤنث : أنتنّ ('an-tinna * = 'an-tunna) .

المثنى : المشترك : أنتما ('an + tum + ā) .

المتصل : المذكر المفرد : كَ (كا * ـ ka) ـ

المؤنث المفرد : كِ) (* kī -) .

المذكر الجمع : كُمْ (كُمُو kum + ū = kumū) .

المؤنث الجمع : كُنَّ (كِنّ * ـ kinna) .

المثنى المشترك : كُمَا (kum - ā) .

فبالنسبة إلى المتكلم والمخاطب ليست هنالك أية علاقة اشتقاقية بين الضمير المتصل والمنفصل المطابق له ، (وربما كانت هذه الضمائر المتصلة ذات علاقة بضمائر منفصلة منقرضة) ، على حين نجد علاقة معينة بين ضمائر الغائب على ما سنرى .

ثالثاً : الغائب : وضمير الغائب يأتي من ضمير إشاري مُضْعَف ، على ما أسفرت عنه المقارنة السامية [(١)] :

(١) هذا صحيح أيضاً في الفرنسية ، فإن ضمائر المتكلم والمخاطب استمرار لما كانت عليه ضمائر اللاتينية ، ولكن ضمائر الغائب مشتقة من الضمائر الإشارية اللاتينية .

المنفصل : المفرد المذكر : هُوَ ـ الجمع المذكر: هُمْ (هُمُو + hum ū) .

المفرد المؤنث : هى ـ الجمع المؤنث : هُنَّ (هِنَّ * hinna) .

المثنى المشترك : هما (hum + ā) .

المتصل : المفرد المذكر : هُوْ hū ُ hu وأحياناً ـ هِى و ِ / hī و hi)

المفرد المؤنث : ها ـ hā

جمع المذكر : هم (همو = hum + ū)

جمع المؤنث : هُنَّ (هِنَّ ـ hinna)

المثنى المشترك : هما (hum + ā)

وقد وضعنا الصور الاشتقاقية التى تفيد معرفتها بين الأقواس ، (وبعضها ما زال مستعملاً) ، وفصلنا بين عناصرها ، (وتدل العلامة * على الصور التى استعملت بصورتها الأخرى) .

وقد فصلنا بخاصة هذا العنصر الإشارى : أَنْ (an') فى ضمائر المتكلم والمخاطب ، وهو الذى يقوى الضمير الحقيقى . وبذلك تتضح بالنسبة إلى هذه الضمائر صور التصريف التى أسلفنا ذكرها من قبل فى صفحات ١٧٤و ١٧٥ .

أما بالنسبة إلى ضمير الغائب فإن الاشتقاق لم يتجاوز حدود العربية ، حتى لا ندخل هنا فى تفاصيل غير مناسبة .

ثم إن الإشارة إلى النوع لم تكن بوساطة التاء (at أو t-) التى يكثر استعمالها فى الأسماء (وهذه ملاحظة) ، وإنما كان ذلك بوساطة تعارض

المصوتات ، فالمخاطب : فتحة / كسرة a / i (أنتَ ، أنتِ) ، والمتصل : (كَ ، كِ) . ولسوف نجد هذا التبادل في المصوتات في ضمير الغائب (المنفصل) ضمة / كسرة ـ قصيرتان (هُوَ / هِيَ u / i) ، وضمة / فتحة ـ طويلتان (ū / ā) ، وفي المتصل (هُو / هَا) hū / hā .

أما الإشارة إلى النوع في جمع المخاطبين والغائبين فقد اندمجت مع الإشارة إلى العدد بإضافة اللاحقة ـ واو المد / ū (الجمع المذكر) ، واللاحقة ـ نا / nā لجمع المؤنث، والتي اختصرت إلى: نَ / na) : أنتمو (ʼantum + ū) ، ـ كُمُو (kum + ū) ، ـ هُمُو (hum + ū) في المنفصل والمتصل .

هذه الصور المُمَاثة ، المحفوظة في بعض الحالات قد اختصرت عادة إلى : أنتْم ، وكُمْ ، وهُمْ ، ولابد أن الضميرين : * كنّ و * هنّ آتيان من : * هينَا hīnā (hī + nā =) ، ـ وكينَا kīnā (kī + nā =) (على ما أشار إليه بروكلمان في كتابه : (Gr., P. 307) ، ثم حدث « نمو » بتضعيف النون واختصار المصوت الطويل السابق ، فصارا : * هنّ hinna ـ * وكنّ kin-na ، ولا زالت هنالك لهجات محتفظة بهذا النطق بالكسرة . ولكن العربية الفصحى ساوت بين صور المذكر (هُمُو ـ كُمُو أو هُمْ ـ كُمْ) : هُنّ ، ـ كُنّ .

أما المثنى ، المشترك بين النوعين فقد عبر عنه بوساطة اللاحقة ـ الألف ، أو الفتحة الطويلة ā : أنْتمَا (ʼantum + ā) ، وهُمَا (hum + ā) ، وكُمَا (kum + ā) .

٢ ـ الإشاريات

أولاً : الضمائر الإشارية :

استطاعت الضمائر الإشارية أن تتطور تطوراً طبيعياً ابتداء من أصوات النداء. وهذه الأصوات تعبر عن حركات الإرادة ، والانفعال ، فإذا ما أريد إثارة الاهتمام بهذه الحركات التى تعرض للإرادة أو الانفعال وجب أن يرمز إليها بطريقة أو بأخرى ، وأن يشار إليها بحركة ، بصوت معبر ، بكلمة متحركة مشيرة . وإذن فالإشارة قد تختلط عادة بالنداء .

ومازلنا نجد فى العربية مركباً ندائياً ـ إشارياً فى تعبيرات مثل : هاكها -) (= hā - ka hā - أى :خذها (لقدح الخمر) [1] ؛ ومع ذلك إن (ها ـ hā لم تبلغ فى العربية الفصحى أن تكوّن وحدها ضمير إشارة ، (بصرف النظر عن بعض الحالات الملحوظة) ، وإنما توجد ضمن تركيب خاص ، ورأى علماء العربية فيها أداة للتنبيه . أما فى العبرية فإن « ها » تؤدى دور الألف واللام فى العربية ، وتظل أداة الإشارة فى تعبير مثل : « hayyōm » (هذا اليوم) .

لقد تطورت الضمائر الإشارية [2] على أسس أحادية تقريباً ، هى :

(ذَا ، تِى ، (تا) ، كَ ، لَ ، أُلْ) ، وقد أعطت هذه الأسس الصيغ التالية :

فـ (ذا) للمذكر ، ومؤنثه (ذى) (رقم ٢٦) فى المذكرات) ، و (تى) مؤنث ، وهى جميعاً ما زالت تستعمل دون تركيب ، فهى إذن ذات

(١) التنوخى : الفرج بعد الشدة – جـ ٢ ص ٢٠٠ سطر ٩ .

(٢) تقع أسماء الإشارة فى الجمل الوصفية قبل الموصوف وبعده ، وهو مزود بأداة التعريف ، فيقال : هذا الرجل ، والرجل هذا ، ويقع اسم الإشارة بعد الموصوف قولاً واحداً إذا كان الموصوف لا يقبل أداة التعريف مثل : كتابى هذا .

قيمة فى ذاتها ، ولكن هذه حالة نادرة [1] . أما (لَ ـ la ـ) فهى وحدها لم تعد تستعمل إلا فى مواضع فرعية [2] ، أو فى أداة مستقلة فى صورة (أ) لْ .
وقد خصصت (أُلْ ـ ul') للجمع ، وزودت بلاحقة الجمع القديمة (ay ـ اىْ) : (أُلَىْ ـ ulay') التى صارت أُولَى ـ ula') (بفعل الإبدال الضرورى للمصوت المزدوج ـ صوت اللين ـ فى نهاية الكلمة) ، وهذه صورة تميم . أما الحجازيون فكانوا يقولون (أُلاءِ ـ ula i') ، وهى الصورة التى استخدمها القرآن عادة .

فالإشارات البسيطة القائمة على أساس (الذال والتاء) ، والجمع على أساس (أُلْ) هى :

مفرد مذكر : ذا مفرد مؤنث : ذى ، وتى ، وتا

والجمع المشترك هو : أولىٌ ، و أولاءِ

المثنى المذكر (مرفوعاً) : ذان ، والمجرور والمنصوب : ذين

المثنى المؤنث (مرفوعاً) : تانِ ، والمجرور والمنصوب : تين

وقد نظمت العربية إشارياتها لتعيين الشىء القريب والبعيد ، وهى صالحة لأن تكون ضمائر وصفات :

« الأشياء القريبة »

مذكر : هٰذا (هـَ + ذا)

مؤنث : هاتا (ها + تا) ، هٰذى (هـَ + ذى)

---

(١) ذو (جمعها أُلو ulū) بمعنى « صاحب » قد دخلت فى نطاق الأسماء ، وهى مستخدمة كثيراً .

(٢) لام التوكيد ولام التعجب ولام الاستغاثة – كما أطلق عليها العرب .

الجمع المشترك : هؤلاء (هـَ + أُلاءِ) .

ملاحظات : « هَذى » صارت في الوقف هَذِهْ ، ثم استعملت فى السياق هكذا ، او على صورة : هَذِهِ أَلْـ ـ hādihi-l ، وهى صيغة عادية . (وكذلك هذِهِي) .

« الأشياء البعيدة »

أ ـ مذكر : (ذاكَ (ذا + كَ) .

مؤنث: تِيكَ (تى + كَ) ، (تاكَ) : (تا + كَ) .

والجمع المشترك: هو نفسه جمع الضمير الإشارى : ذلك .

ثم إنهم استعملوا نفس الضمير : ذاك + ها (فى أوله) : هـذاك (للمذكر) ، وهاتيك (هاتاك) (للمؤنث) .

ب ـ مذكر : ذلك (* ذا + لَ + كَ) [1] .

مؤنث : تلك؛ (* تى ـ لَ ـ كَ) .

[تالك (* تَا + لَ + كَ)] [1] .

والجمع المشترك : أولئك (أُلاءِ + كَ) [2] .

---

(١) مع مخالفة الفتحة الى الكسرة (انظر ص ٥٧) وربما سهل المسألة قياس « أولئك » .

(٢) أكد بعض النحاة العرب أن هناك فرقاً صغيراً بين إشاريات المجموعة (أ) و (ب) : فبالنسبة إلى شيئين بعيدين تستخدم الاولى للأكثر قرباً ، والثانية للأكثر بعداً ، والمجموعة الثانية هى الأكثر استعمالاً .

وقد كانت التفرقة بين الأنواع عن طريق التعارض بين المصوتات ، فالفتحة (للمذكر) ، والكسرة (للمؤنث) ، وهذا هو أيضاً طابع المصوتات التى رأيناها فى الضمائر الشخصية ، فهذه هى الطريقة العادية . ولقد وضعنا الصور القليلة الشيوع بين قوسين ( ) ، وهى التى وردت بها شواهد فى الشعر القديم ، وهى تدل على أن التاء كانت مستخدمة للإشارة إلى المؤنث (التاء التى هى من ناحية أخرى إشارية ، وهى توجد مركبة موصولة بألف « تا » ، فى الظروف الإشارية) .

بيد أن التعارض حادث هنا بين الأصوات الصامتة : فالدال للمذكر ، والتاء للمؤنث ، وهو تبادل صامتى ، حدث اتفاقاً ، ولكنه ذو دلالة ومغزى (وسوف يرينا الموصول حالة مماثلة) . قارن : هذا ـ للمذكر ، هاتا ـ للمؤنث ، هذاك ـ للمذكر ، هاتاك ـ للمؤنث .

وتشتمل الإشاريات على التعبير عن المثنى ، ومما يلاحظ أن المثنى خاضع للإعراب [1] (دون العددين الآخرين : المفرد والجمع) . والمرفوع هنا على الوجه التالى :

الشىء القريب : مذكر : هَذَانِ ـ مؤنث : هَاتَانِ -

الشىء البعيد : آ) مذكر : ذَانِكَ ـ مؤنث ـ تَانِكَ

ب) مذكر : ذَانِّكَ ـ مؤنث : تَانِّكَ

وبالنسبة إلى التعبير عن المثنى المؤنث نجد أن الصورة ذات التاء هى الغالبة ، وأن التبادل بين الصوامت أمر أساسى .

---

(١) هذا الإعراب داخلى بالنسبة إلى الشىء البعيد :
(آ) المجرور والمنصوب : مذكر : ذَيْنِكَ (ḏayni + ka) ومؤنثه : تَيْنِكَ (tayni + ka) .
(ب) المجرور والمنصوب : مذكر : ذَيْنِّكَ ومؤنثه تَيْنِّكَ، وتأتى ذَيْنِّكَ ḏaynnika من : * ذَيْنِ + لِ + كَ) ، * ذَيْنِلِكَ ، ذَيْنِّكَ ḏaynnika ، وهذا التفسير منطبق على : تَيْنِّكَ ، وعلى المرفوع : ذَانِّكَ وتَانِّكَ .

تصغير الإشاريات :

الشيء القريب : مذكر : هَذَيَّا ـ مؤنث : هَاتَيَّا ـ جمع : هَؤُلَيَّاء

الشيء البعيد : آ) مذكر : ذَيَّاكَ ـ مؤنث : تَيَّاكَ .

ب) مذكر : ذَيَّالكَ ـ مؤنث : تَيَّالكَ ـ جمع هَؤُلَيَّائكَ .

وهكذا تغلب الصورة ذات التاء في المؤنث المفرد ، ويحدث فيها تبادل في الصوامت بالنسبة إلى المذكر المفرد .

ثانياً : « المكملات الإشارية » :

والظروف الإشارية لاتختلف عن الضمائر الوصفية الإشارية إلا أنها تشير إلى مكان : مكان شخصي ، أو مكان شيء (قارن في الفرنسية الظرفين ici و là) .

وقد استخدمت العربية في صياغتها بشكل واسع أصلاً إشارياً لا يظهر في الضمائر : وهو النون ، ووصلتها بالهاء [1] ، وقد حدث توسع ـ كما في الضمائر ـ بوساطة العنصرين (كَ ـ ka و ل ـ l) ، كما حدثت تقوية بإضافة (ها) .

وهناك أصول أخرى أكثر قدماً ، سوف نتحدث عنها فيما بعد ، هي : الثاء ـ ṯ) والميم ـ m والفاء ـ f والحاء ـ ḥ ، والهمزة ـ ʼ ، والتاء t ، وذلك حتى تعالج ظروفاً أخرى إشارية ، أو أدوات ، أو صيغاً مشتقة من أصل إشاري قديم ، والأصل الإشاري (ذ ـ ḏ) لايبرز إلا في (إذْ ـ ʼiḏ) بمعنى (alors) وهكذا يقدم لنا سلوك اللغة تقابلاً أو تناقضاً واضحاً ، فالذال ḏ في الضمائر ، والنون في الظروف ، وكأنما أرادت اللغة أن تخصص تعيين المكان في الظروف .

ويقوى هذا التقابل باللجوء إلى التضعيف أو الإدغام الذى نجده في

---

(١) (ها) ـ احتفظت برنين انفعالي ، كما سبق أن قلنا ، وهي أداة تقديم ، في مثل : هاأنذا ، ويمكن أن يضاف إليها (إنَّ) فيقال : هاإنَّ .

الضمائر ، كما يوجد شكل خاص فى اسم الإشارة الجمع : أُلاك .

ا - ففى اللغة ظروف إشارية مبنية على أساس النون n ، والهاء h :

فأما الظروف المبنية على أساس النون المرتبطة بالهاء فإنها تتطور فى مجموعتين .. **الأولى** : توسع وتقوى ما أطلق عليه : ظرفاً إشارياً أصلياً وبسيطاً ، وهو (هنا ـ ici) ، **والثانية** : توسع وتقوى ظرفاً إشارياً ذا تضعيف .

وذلك واضح فى توسيع (هنا) بالكاف ، فيقال : هناك ، وباللام والكاف ، فيقال : هنالك ، وتتم التقوية بإضافة (ها) فيقال : ههنا ، وههناك .

وقد يتسع الظرف بإلحاق الكاف فى آخره ، كما حدث فى (هنّا و هِنّا) المضعفتين [1] ، فيقال : هَنّاكَ ، وهِنّاك ، ويقال أيضاً : هُنّاكَ ، وقد يقوى ذَلك بالهاء فيقال : هَهَنّا ، وهَهِنّا ، كما يَقال : ههُنّا .

إن جميع الظروف الإشارية فى المجموعة الأولى ، والتى خرجت من الظرف (هنا) كانت مستعملة ، وظلت كذلك فى العربية الأدبية فى العصر الإسلامى ، فيما عدا (ههناك) ، وكانت الصيغ المضعفة أقل استعمالاً فى شعر البدو .

بيْد أننا نجد للظروف (ههناك) وأمثاله ـ شواهد فى الروايات اللهجية ، كما نجدها فى المستوى اللهجى الحديث .

ويتميز فى الظروف الإشارية للمجموعة الأولى نظامان [2] يتعلقان بالقرب والبعد :

فللقريب (هنا) وللبعيد (هناك) ، وإنما يبدو التعارض بإضافة الكاف .

وللقريب (هنا) ، وللبعيد (هنالك) ، ويتحقق التعارض بإضافة اللام والكاف .

---

(١) يفضل النحاة العرب (هنّا) على (هِنّ) ، ولكنهم يسكتون عن (هُنّ) ، ومع ذلك فهى واردة فى شعر ذى الرمة . (انظر ابن يعيش فى شرح المفصل ص ٤٥٤ سطر ٢٢) .

(٢) فسر النحاة العرب الظروف الإشارية ذات التضعيف من المجموعة الثانية كلها بأنها للبعيد ، فهم لم يعتبروها مقابل الصيغ القريبة ، اللهم إلا بالنسبة إلى (هَنا) و (هِنّا) ، والسمة المميزة حينئذ هى التضعيف .

وبناء على ما سبق من قبل نستطيع أن نفترض أن النظام الأول ينسب إلى تميم ، وأن الثانى هو للحجازيين .

وقد أراد النحاة العرب أيضاً أن يوزعوا الظروف الإرشادية على ثلاث مجموعات ، فللقريب : (هنا) وللمتوسط : (هناك) وللبعيد : (هنالك) ، غير أن هذا التوزيع متكلف سواء فى الظروف أو فى الضمائر .

ب ـ الأصل : النون :

وهذا العنصر يأتى فى صيغتين ، باعتبار موضع الحركة ، فى الأشكال : أَنْ ، وإنْ ، و نَ ، فالشكلان الأولان يمكن أن يدخلا على الثالث ، فيقال : أَنْ ـ نَ ، وإنْ ـ نَ ، ومع ذلك فقد تطورت (ن) إلى (نا) و نىْ .

وقد كانت لـ (أَنْ) أيضاً قيمتها الإرشادية الواضحة فيما أطلق عليه العرب (أَنْ المفسرة) ، وهى (أَنْ) التى تستحق أن نضع أمامها نقطتين (:) إشارة إلى ما سوف يقال بعدها ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ **ونودوا أن تلكم الجنة** ﴾ [الأعراف : ٤١، ٤٣] .

و(أَنْ) و (أَنَّ) أداتا ربط معروفتان ، وقد كانت (إنْ) و (إنَّ) فى البداية أداتى تقديم (وقد ضعف هذا المعنى فيما بعد) [١] .

وتوجد (نَ) فى (أَىْ – نَ) ، كما توجد (نَا) فى (هـُ + نا) ، وفى (أن – نَا) بمعنى كيف ؟ أو من أين ؟ ، كما توجد (نىْ – nay) فى الجعزية .

أما (أَنْ – an’) فهى موجودة فى العنصر الأول من الضمائر الشخصية مثل : أنتَ (أَنْ + تَ) .. إلخ ..

وأما (ن) فقد استعملت فى ضمير الاستفهام (مَنْ) ؟ وأصلها : (مَا + نْ) .

جـ – العناصر : الثاء – الميم – الفاء :

فأما الثاء والميم فيجتمعان فى الظرف الإشارى المكانى (ثَمَّ) ، وهو مكون

---

(١) وتكون (إنْ) أيضاً ظرفاً مؤكداً بمعنى (نعم) (انظر الزمخشرى فى المفصل ص ٥٢٧) .

من (ثَ + مْ + مَ) ، وفى العبرية (شام – šam) بمعنى هناك .

ويأتى عنصر الثاء فى (حيث) وهى مكونة من (حَيْ + ث + الضمة) وهى تؤدى دور ظرف موصول بما بعده ، والضمة الأخيرة هى لاحقة الحالة الظرفية (انظر ص ٤١) .

وأما الميم فقد كانت أداة للمعرفة (انظر ص ١٤٤ ، Traite) ، وما زالت موجودة فى اللهجات فى العربية الجنوبية بنفس الوظيفة ، وعنصر الميم موجود أيضاً فى (هالمّ) التى تنحل إلى (ها + ل + الضمة + م + مَ) ، والضمة هى اللاحقة الظرفية [1] .

هذه الأدوات كلها مجتمعة تعني أولاً (هنا) ، وقد أخذ التعبير قيمة فعل ، وتصرّف ، فجاء منه : هلُمّوا ـ أى : (تعالوا هنا) ، ويظهر التدرج فى هذا التجمع إذا ما قارنا كلمة (لهال – hal – ᵊ) بمعنى : هنا – فى العبرية – قارناها بكلمة هلُمَّ – فى العربية ، فالعناصر الإشارية م م (mma-) (وقد سبق الحديث عنها فى ثمّ) تفسر النداء فى (ألّهمّ) ، فهى حين ألحقت صار لها دور (يا) ، وصارت مثلها توجه النداء ، وتضخمه .

وأما الفـاء فذات قيـمة إشارية فى العبرية : پا ، پفو – pā>pō بمعنى (هنا) ، وهى لا توجد فى العربية إلا فى الربط بين المعطوفين ترتيباً وتعقيباً ، وفى أداة الاستفهام (كيف : كى + ف = kay - fa) .

د ـ الحاء :

والحاء ḥ تظهر فى (حيث) التى سبق أن تحدثنا عنها ، كما تظهر فى حَيَّ ḥayya بمعنى (أسرعوا) ، والتضعيف فيها ثانوى ، والأصل (حَيْ – ḥay) .

وتستخدم (حَيَّ) أيضاً بنفس المعنى مركبة مع (هَلْ – hal) ، فيقال :

---

(١) قد نفترض فى لحظة معينة وجود ظرف مكان مثل هَالُ ـ halu ، وهوجد قريب من الظرف العبرى هالوم hᵃlom بمعنى (هنا) ، وقد كان الأصل (هـ ـ h) مستعملاً فيه مقروناً بحركة قصيرة ، وقد يمكن سوق التعليل نفسه بالنسبة إلى الهاء المضمونة فى هنا ـ huna ، ولكن وجه المقارنة ليس واضحاً بدرجة كافية .

حَيَّهَلَ ، أو حَيَّهَلاَ ، أو حَيَّهَلا ، ويلاحظ أن عنصر الحاء يأتى هنا مزدوج حَىْ ḥay ، ويأتى فى الجعزية مع مصوت قصير فيقال كَحَا kaḥa بمعنى (هناك) ، كما تستخدم الحاء المفتوحة (ḥa) أداة فى اللغات العربية الجنوبية الحديثة (انظر El'àHā) .

هـ - الهمزة :

وقد نجد تركيباً من أصلين هما الهمزة والذال ، فينتج عنهما (إذْ ، وهى فى العبرية : (آزْ - 'az ، ولها صيغة قديمة (أزىْ - 'azay) ، وهذه الصيغة القديمة تقابل فى العربية (إذا) ، وقد كان الظرفان : إذْ وإذَا يفسران فى العربية باعتبارهما اسمين ، وهكذا جاء التركيب (حينئذ) ومعناه الحرفى (au temps d'alors) ومعناه مرتبط بمفهوم (إذن) ، وهو يكتب بكلمة واحدة ، وقد يدل جزؤه على معناه أو قريب منه (إذَنْ) بمعنى (donc) . وانظر فيما بعد - ص ٢٩٧ وما بعدها) .

وأما الهمزة فهى أداة نداء ، وهى تأخذ الأشكال الثلاثة من الضبط : فهى مع مصوت قصير (أَ - 'a) ، ومع مصوت طويل (آ - 'ā) ، ومع مزدوج (أَىْ - 'ay) ، وهذا الشكل الأخير يقدم لنا الضمير الاستفهامى (أىْ) ، (وسيأتى ذكره بعد صفحات) ، ويندر أن يجىء فى صيغة (أىْ) ، وإنما يأتى عادة مقروناً بتضعيف ثانوى : (أىّ - ayy) . أما الشكل الثانى وهو (اقتران الهمزة بمصوت طويل) فقد يرد فى ضمير إشارى نادر (آلِكَ - 'ālika)وكأنها اختصار للضمير (أولئك) ، وأما (أىّ) فهى مثل (مَنْ) وقد عوملتا معاملة الأسماء .

و - الكاف :

والقيمة الإشارية لهذا الحرف تبدو واضحة فى الآرامية الكتابية (كا - kā بمعنى : (هكذا - ainsi) ، وفى العبرية تطورت (كا - Kā) إلى (كو - Ko) وإلى كِنْ -Ken ، وهو ما يفسر الأداة العربية (لكن) ، وهى مكونة من (لا + كِنَ) - أداة للاستدراك ، وقد كان دور الكاف فى العربية ذا

وجوه متعددة ، فقد أعطت كاف التشبيه بمعنى (مثل) ، وكيف ـ أداة استفهام ـ وأصلها : (كَيْ + فَ) ، وقد سبق ذلك .

كما أعطت : كيت (كَيْ + تَ) ، بمعنى (كذا) ، وهى عادة ما تأتى مكررة : فى عبارة (كيت وكيت) ، وقد سبق أن أشرنا إلى Kaḥa فى الجعزية ، والكاف التى وجدناها مستعملة فى الضمائر والظروف الإشارية ، التى يشار بها إلى الأشياء والأماكن البعيدة .

ز. التاء :

والتاء موجودة فى الإشارة إلى المؤنث (تا ـ tā ، وتى ـ tī) ، وقد سبق الحديث عنها ، أما الشواهد الأخرى للتاء فقد نجدها فى إشاريات أخرى ، مثل : هَيْتَ (هَيْ + تَ) ، وشاهدها من القرآن : ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، والمعنى (تعال هنا) ، وهي حرفياً (هُنَا) ، وتأتى التاء كذلك فى (كَيْتَ) كما سبق ، وفى ذَيْتَ (ذَيْ + ت) ، وهى تستخدم مكررة مثل (كَيْتَ) ، كما تأتى فى (هيهاتَ) وتحليلها : (هَيْ + ها + ت) بمعنى (ما أبعده!!) وهى حرفياً (هنالك ـ là-bas) ، وتأتى أيضاً فى (ثَمَّتَ) ، وهى مركبة من (ثَمَّ + تَ) ، بنفس معنى (ثَمَّ) ، وقد أفرغت من معناها فى النهاية فصارت (ثُمَّ) ، أى : بعد ذلك ، وأخذت لاحقة التاء فصارت (ثُمَّتَ) (ثُمَّ + تَ) ، وقد تسكن التاء فتنطق (ثُمَّتْ) (ثُمَّ + تْ) بنفس المعنى ، وتأتى التاء أيضاً لاحقة فى كلمة رُبَّ ، فيقال : (رُبَّتَ) : (ربَّ + تَ) أو (رُبَّ + تْ) بنفس المعنى .

وينبغى أن نلاحظ أن جميع أدوات النداء المتجمعة فى (أيُّها) قد استخدمت فى العربية استخداماً إشارياً .

وقد خص النحاة العرب هذه الحالة باسم (الاختصاص) [المفصل ص٢١ الفصل السابع والخمسون] ، ويمكن أن نذكر لذلك مثالاً من السيرة (ص ٩١٠ سطر ١٣) : « ونهى رسول ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة مِنْ بين

مَنْ تخلف عنه » [دوساس : Gr.Ar., t. II, P.365] .

إننا لانستطيع أن نبلغ الكمال فى هذا العرض الذى طال ، والذى لم نقصد به أن يكون معالجة فى فقه العربية ، بل ولانستطيع أن نحشد كل معطيات علم اللغة المقارن ، ولكن الذى قلناه حتى الآن يكفى لبيان القيمة التعبيرية لهذه الظروف الإشارية فى علم الصرف العربى ، وهناك أيضاً بعض الظروف التى تستخدم أدوات للتعجب والنداء ، وهى تدل على علاقة هذه الظروف باللغة الانفعالية .

ومن المفيد أن نلفت النظر إلى دور التصويت (الحركات) فى تقوية كثير من الظروف ، مما يخول لها ثلاث حالات : مع مصوت قصير ، أو مع مصوت طويل ، أو مع مزدوج ، على النحو التالى :

ءَ ـ 'a ، أو ـ ءا ـ 'ā ، أو ـ أى ـ 'ay

فالكاف (كا ـ Ka) فى الآرامية : Kā ، وفى العبرية : كو Ko ، وفى العربية : Kay .

والنون : نَ ، و نا (وفى الجعزية نَىْ nay) .

والهاء : (هـَ) تأخذ شكل هَا و هَىْ .

وفضلاً عن ذلك : (فى الجعزية حـَ – ḥa) ، وفى العربية : حَىْ – ḥay ، وذا – ḏā ، وذَىْ ـ ḏay ، ولاداعى لأن نرى فى هذه الصيغ ذات المزدوج إضافة عنصر إشارى ، هو الكسرة (i) أو الياء (y) ، فهذه الصيغ تتضح بصورة كافية من خلال تدرجها الصوتى ذو الأصل الانفعالى [1]

(١) أما الياء فتوجد فعلاً فى (يا) التى للنداء ، وقيمتها الإشارية واضحة فى الكلمة الجعزية yə'əzē (بمعنى : الآن) ، وهى تقابل ('zay) فى العبرية ، و (إذا) فى العربية ، وتوجد الياء أيضاً فى سابقة تصريف الفعل غير التام (المضارع) ، ولكنها ليست مهمة فى نظرنا .

٣ ـ الضمائر الموصولة

والضمائر الموصولة (ما عدا الذى) تستخدم أيضاً فى الاستفهام (كما فى الفرنسية) ، فهى فى هذه الحالة ضمائر استفهامية .

أولاً : الذى

الضمير الوصفى الموصول « الذى » شأنه شأن الضمائر الوصفية الإشارية فى صلاحيته لتحديد النوع والعدد (بما فى ذلك المثنى الخاضع للإعـراب) . و « الذى » تتحلل إلى : الْ + لَ + ذى ، وأصلها الإشارى واضح جلى . وقد ذكـر رايت (جـ ١ ص ٢٧١) : لَذى (لَ + ذى ، دون الْ) ، وكـانت قبيلة طيء تكتفى بـ « ذو ـ ḏū » فى جميع الحالات ، وهى مؤسسة ببساطة على (ذ ـ ḏ) أو الذال ، وصورة كهذه للموصول لها أصولها القديمة فى السامية الغربية ، فى حين أن « الذى » هى من خلق اللغة العربية :

المفرد ، مذكر : الذى ـ مؤنث : التى

المثنىٰ ، مذكر مرفوع : اللذان ـ والمجرور والمنصوب : اللّذَيْنِ

مؤنث مرفوع : اللتان ـ مجرور ومنصوب : اللّتَيْنِ

فأما المفرد والمثنى فإن التفرقة بينهما متحققة ـ على السواء ـ بوساطة التبادل الصامتى : الذال للمذكر ، والتاء للمؤنث .

الجمع ، مذكر : الذين ـ مؤنث : اللاتى ، واللواتى .

وواضح أن « الذين » للمجرور والمنصوب ، وأما « اللذون » مرفوعة

فقـد خرجت مـــن الاستعمــال ، وقد وردت فى استعمال أحد الشعراء [١] .
(بروكلمان Gr., I, p. 324, n. 3) ، فإذا قورنت « اللاتى بالتى » هـــدانا البحث إلى الجمع تبعاً للطريقة المعروفة فى الأسماء : فالمفرد : أة ـ ât - ، والجـمـــع آت ـ ât ، ويـنتـــج مـــن ذلك تبـادل فى المصوتـات ، ثـم تأتى « اللواتى » بعـد ذلك بزيادة واو (w) ، على قيـاس جـمـوع من نفس النوع مثل : فوائد (جمعاً لـ : فائدة) .

وبالنسبة إلى جمع المذكر نجد فى اللغة القديمة صوراً للموصولات قائمة على أساس العنصر الإشارى الجمع : أُلْ : أُلَى (لتميم) بزيادة أَلْ ، فيتحصل : الأُلَى ، وحين زيدت « أَلْ » على « أُلاء » (الحجازية) نتجت : * الأُلاء ، ولما كانت هذه الصورة مشتملة على همزات كثيرة (وبخاصة إذا كان لابد من همـــزة مساعدة فى البداية) اختصرت واحدة من بينها وحذفت فصـارت : * الألاء : الَّلائى ، مستخدمة لجمع المذكر ، ولجمع المؤنث (فالصورة فى كلتا الحالين واحدة : اللائى ، نقلاً عن رايت جـ ١ ص ٢٧١) .

وهذا الذى تقوم عليه الإشارة (ء ل) والذى نجده فى « أَلْ » ، كـما نجده فى السامية الغربية ، إنما يدل مباشرة على حقيقة (اللِّى ـ elli) (التى لا تتغير) فى اللهجـات الشرقية . ويبدو أننا فى غنـى عن افتـراض أن لفظـة : « الذى » مرحلة أدّت إليها ، ما دام فقه السامية القديمة يمنحنا هذا التفسير .

و « الذى » تتعرض للتصغير : الَّذَيَّا ، والَّتَيَّا ، والمثنى : الَّذَيَّان والَّتَيَّان ، والجمع : اللذَيُّون الَّتيَّاتُ (نقلاً عن رايت جـ ١ ص ٢٧٢) .

---

(١) ربما كانت هذه إشارة إلى قول أحدهم :
نحن الذون صبّحوا الصباحا يوم النُّخَيْل غارة ملْحاحاً
وهى لغة هذيل أو عقيل ـ انظر شرح الأشمونى ـ باب الموصول (المعرّب) .

ثانياً : مَنْ ، مَا

و « مَنْ ومَا » ليستا سوى ضميرين موصولين ، وهما لا تتغيران ، أعنى : أنهما غير معربتين ، وهما لا تشيران إلى النوع أو العدد . فـ « مَنْ » تدل على المفرد ، مذكراً ومؤنثاً وعلى اسم الجماعة ، تاركة ذلك كله لفعلها ، وتستعمل « مَنْ » للكائنات العاقلة ، و « مَا » للأشياء ، فهى تعبر إذن عن المحايد ، وهذا مما تنبغى ملاحظته ، إذ إن هذه هى الحالة الوحِدة فى العربية التى يخصص فيها للاسم المحايد اصطلاح خاص .

ولقد تعبر « الذى » عن المعنى المحايد (الذى تؤديه « ما ») ، لكن هذا ليس سوى أحد معانيها ، على حين لا يوجد لـ « ما » سوى هذا المعنى المحايد أساساً .

و « مَنْ » تأتى من : ما + ن ـ mā + n (عنصر إشارى) .

ثالثاً : أى 'ayy

وأى الموصولة ضمير نكرة ، وهى صالحة للإعراب قياساً :

فالمرفوع : أىٌّ ، والمجرور : أىٍّ ، والمنصوب : أيّاً ، وهى على هذه الصور تذكيراً وتأنيثاً ، إفراداً ، وتثنية ، وجمعاً (النوع والعدد) ، ولا عجب فى ذلك إذا ما لاحظنا أنها اسم أولاً وقبل كل شىء ، وذلك مثل : جئنى بأىٍّ عَصَا عَلَىَّ ، فـ (بـأىٍّ : رجل أو امرأة) ، وكثيراً ما تستعمل متصلة بضمير (وهو تركيب للاسم فى إضافة نحوية) :

أيُّهُمْ وأيُّهُنَّ ... إلخ ... وقد فشت الصورة المؤنثة : أيَّةٌ ، بصفة ثانوية .

٤ ـ الضمائر الاستفهامية

مَنْ ، ومَا ، وأىّ ، التى رأيناها مستعملة ضمائر موصولة ، تستخدم أيضاً ضمائر استفهامية [١] ، وإن كان استعمالها موصولة هو أول ما خصصت له . وربما كان كل ما قيل فى موضوع صورتها ، على اختلاف النوع والعدد ، وفى إعراب « أى » ، صالحاً لأن يكرر هنا [٢] .

فـ « من » للسؤال عن العاقل qui ، و « ما » لغير العاقل que, quoi ، وهى غالباً : « ماذا » (ما + ذا إشارية) ، وأمثلة ذلك : مَنْ جَاء ؟ ، ومَن الذين جاءوا ؟ و ماذا تقول ؟ . ولقد تختصر « ما » إلى « مَ » حين تقع بعد حرف جر مثل : « بِمَ » (ب + م) ، وقد تصبح « مَهْ ـ mah » فى الوقف .

و « أىّ » quel, quelle, laquelle, , quels,lesquelles, etc ، مـثل : أىُّ رجل جَاءَ ـ ? quel homme est venu ، و « أى الرجـال جـاءوا ؟ ? lesquels des hommes sont venus .

فالترجمة الفرنسيـة تنوع الاصـطلاحات تبعاً للضـمائر الوصفيـة ـ و « أى » فى العربية هى فى ذاتها اسم ، كما أنها من الوجهة النحوية تعالج على أنها اسم ، وكذلك « من و ما » ، على الرغم من أن خاصتهما الاسمية أقل ظهوراً ، وهما فى أصلهما غير قابلتين للإعراب ، أعنى مبنيتان ، ولا يمكن أن يضافا إضافة نحوية (فهما لا تتصلان بالضمائر المتصلة) .

---

(١) يستعمل ما يقابل هذه الضمائر فى الفرنسية : (quoi, que, qui, lequel) موصولاً أو استفهاماً .

(٢) للحصول على التفصيلات الكاملة ، وبخاصة فيما يتصل بالحالة التى تبدو فيها (أىُّ) ثابتة على هذه الصورة ـ ينبغى بداهة الرجوع إلى قواعد النحو .

ملاحظات ـ أولاً : قد تعرب « مَنْ » ، وذلك عندما يراد معرفة الشخص المعين بوساطة اسم مشترك ، لا باسم خاص (علم) ، فيكون معناها (من هذا ؟) « qui est - ce ? » ، و « مَنْ » حينئذ مستعملة وحدها على صورة : « منُو » للرفع ، و « مَنِى » للجر ، و « منّا » للنصب ، إلخ ... (انظر رايت جـ ١ ص ٢٧٥) ، وهذه الطريقة التى كانت شائعة فى اللغة القديمة لم يعد لها وجود ، ولكنها تذكر فى معرض قابليتها للإعراب .

ثانياً : بجانب مَنْ (= ما + ن) وجدت « مى ـ mī » ، و « مى » هى أداة الاستفهام فى العبرية بالنسبة إلى الأشخاص : « qui ? » . و « مينْ - mīn (mī + n =) ، و « مِنْ ـ min » بمعنى « qui ? » هما أيضاً مستعملتان فى العربية اللهجية فى لبنان وغيرها .

ثالثاً : « أىّ » أداة نداء (وهى فضلة تكميلية استفهامية للمكان فى العبرية : ēʼ بمعنى : « أين » où) . وإى (īʼ) فضلة تكميلية مثبتة بمعنى « نعم » ، وهى : (إى ـ ēʼ » أو « أيْوَا » فى اللهجة اللبنانية) ، وتستعمل īʼ ـ إى للنفى فى الجعزية) . ويخيل إلينا أن لها أصلاً لغوياً قديماً فى اللغة الانفعالية ، ثم اختلف التطور الدلالى تبعاً للغات .

حاشية ـ المبهمات

رأينا فيما سبق « أى » الموصولَ المبهمَ . وفى الجملة المضاعفة التى تحتوى فكرة احتمالية أو افتراضية ، تكتسب من وما ـ سواء أكانتا وحدهما ، أم متصلتين بـأى ، أم كانت « ما » مكررة ـ معنى معمماً مبهماً : « مَنْ » و « أيَّمَنْ » و « مَا » و « أيُّمَا » و « مَهْمَا » ، وذلك مثل : مَنْ زَرَعَ الإِحَنْ حَصَدَ المحن ، وابْنةُ الجَبَلْ مَهْمَا يُقَلْ تَقُلْ .

ملاحظة : تضاف « ما » أيضاً إلى كلمات أخرى ، فى نفس الحالات ، ولأداء معنى معمم أيضاً : أينما ، وحيثما ، وكيفما ، وكلما ، ومتى ما .

وتنوين الأسماء يشير إلى المبهم ، فكلمة « يومٌ » منونة إذا اتصلت بها « ما » تقوى فكرة الإبهام ، وتترجم الصفة الفرنسية quelque, certain مثل : يوماً ما un certain jour (مفعول فيه ظرف زمان) . وقد سبقت (on) وهى ضمير مبهم ضمن دراسة الفعل المجهول (انظر ص ـ ١٩١) .

والضمائر الوصفية المبهمة : tel, plusieurs, autre, tout والصفات المبهمة même, mainte, chaque يعبر عنها فى العربية بوساطة أسماء ؛ أسماء قديمة حسية أو كالحسية ، فهى تعالج علاج الأسماء :

tout = كل أو جميع : كل الناس .

autre = غير : غيرك (un autre que toi) .

un ou plusieur = بعض : قال بعضهم .

chaque = كل : كل رجل .

mainte = رُبَّ : رب رجل (mainte homme) .

tel (ضمير) : للمذكر (فلانٌ) ، وللمؤنث : (فلانةُ) : قال فلان .

même = نفس (âme) ، عين (œil) وهى قليلة الورود : الموت نفسه أو عينه [1].

* * *

(١) لا يمكن التعبير مباشرة عن معنى quelqu'un بكلمة أحَد ، أو واحد فى الجملة المثبتة ، وهناك طريقة كثيرة الورود باستخدام اسم الفاعل من الفعل الذى يمثل معنى quelqu'un فاعلاً له ، فى مثل : قال قائل ، غير أن أداة النفى personne ـ وهى تفيد نفى الشخص يمكن التعبير عنها بنفى (أحد) فيقال : لا أحد فى الدار ، ويقال : ما جاءنى أحد .

القسم الرابع

الأدوات

سوف ندرس من بين الأدوات تلك الأجزاء من الكلام ، مما ليس اسماً (ضميراً) ، أو صفة أو فعلاً . فهى بصفة عامة أدوات نحوية ، وهى من حيث أصلها (عندما يمكن إدراك هذا الأصل أو لمحه) ذات علاقة بالأصول ذات الحرف الواحد للضمائر – فى بعضها ، وبعضها الآخر يعد جانب كبير منه مجرد عبارات اسمية متحجرة [1] ، وإحصاء تفاصيل هذه الأدوات كلها خارج عن نطاق هذا العمل ، وإنما سنكتفى بالنظرات العامة التالية :

١ - الظروف :

عرفت السامية المشتركة لاحقة ظرفية هى الضمة / u ـُ التى ما زالت فى اللغة الأكدية . ولم يَعُدْ لها فى العربية وجود إلا فى صورة رواسب (انظر ص ٨٦) : وهى الضمة الأخيرة فى مكملات مثل : فوقُ ، وتحتُ ، والتى بقيت أيضاً بعد حرف الجر فى مثل : إلى فوقُ . فالعربية لم تنْشِىء لاحقة ظرفية ، وهى فى هذه النقطة لم تضف شيئاً ، على الأقل من وجهة نظرنا الغربية .

وقد استخدمت العربية بعض الأسماء والصفات المنصوبة ، فاتخذت منها فضلات تكميلية ، أو كلمات ظرفية ، مثال ذلك :

---

(١) هذا القسم ملفق بالصورة التى ركبت بها عناصره : فالأدوات ذات الأصل الاسمى تتصل بالتحول الداخلى ، بوساطة أصلها ذاته ، والأدوات ذات العلاقة بالضمائر كهذه توجد خارج نظام التحول الداخلى .

للزمان : الآن ـ اليومَ ـ أبداً ـ ليلاً .

للمكان : خارجاً ـ داخلاً .

للكمية : كثيراً ـ قليلاً ـ جداً .

للسلوك : رُوَيْداً ـ حقاً .

بيد أن هذا لا يعد تعبيراً عن طائفة نحوية خاصة بالمعنى الصحيح ، هى : l'adverbe ، فما كتبه هـ . ڤير H. Wehr يظل صحيحاً : « الفضلة المكمِّل ـ المفعول الظرفى من نوع الأمثلة السابقة) لا ينطبق عليه إلا جزئياً [1] » .

وقد عرفت العربية وسيلة خاصة بها ، لأداء ما نعبر عنه بوساطة بعض الفضلات التكميلية ، وذلك باستخدام « فعْلٍ » (وهى طريقة سامية أيضاً » ، ومن ذلك أنها لكى تعبر عن معنى (de nouveau ـ من جديد) استخدمت الفعل : « عاد يعود » مقترناً بآخر معطوف مثل : « عاد فقال » ، ولأداء معنى) (bien استخدمت الفعل « أحْسَنَ » مع المصدر المراد : أحسن تربيته il) (l'éleva bien ، أو يؤخذ الفعل وحده : « أحسنت » بمعنى (bien) لمدح فرد معيّن ، إلخ ... وربما تطلب هذا نمواً على نحو خاص ، بيد أننا نكتفى هنا بأن نضيف ملاحظة هى : « أن ترجمة نص فرنسى (أو غيره) إلى اللغة العربية ، تؤدى ـ كلما استطعنا تحوير ظرف إلى فعل عربى ـ إلى أن تكسب الجملة مزيداً من الرشاقة والصفاء » .

وللتعبير عن مكملات السلوك اتخذت العربية أيضاً موردها من المفعول المطلق ، فيقال فى معنى (il le frappe violemment) : « ضَرَبَهُ ضرباً شديداً » ، وفى معنى (il le frappe une fois) : « ضربَهُ

---

(١) (Z.D.M.G., Bd. 97, 1943, P. 4) .

ضربةً » ، وهذا هو التركيب الشائع . ومن الممكن أن نجد مكملاً منصوباً أو مجروراً بالباء ، فلأداء معنى : (il le frappe injustement) يمكن أن يقال : « ضربه ظلماً ، أو بظلم [1] . أما الكتّاب المحدثون فإنهم خضوعاً لتأثير الجملة الأوربية (لا سيما الفرنسية أو الإنجليزية) التى تدخل فيها غالباً الفضلات التكميلية ، يميلون إلى الإكثار من هذا التحوير مع الباء ، مقرونة باسم معنى ، ولكن هذا يخرجهم عن الروح الصحيحة التى عرفت بها العربية ، وهو يعد عنصراً من عناصر الفقر فى الأسلوب .

٢ ـ أدوات الجر وأشباهها :

يميز فى هذه الأدوات بين طائفتين :

أولاهما : الموروثة عن الأصول السامية للعربية (قريبة أو بعيدة) .

ثانيتهما : الأدوات التى أنشأتها العربية .

والأولى تشتمل على :

أ ـ ذوات الأصل الأحادى : مثل : الباء واللام والكاف .

ب ـ ذوات الأصل الثنائي : مثل :إلىَ (il + ay > a) ، وعلَى al’ (+ ay > a) ، ومنْ ، ومعَ (معْ) .

جـ ـ ذوات الأصل الثلاثى : بيْنَ وتَحْتَ ، إلخ ...

ومن ناحية أخرى نجد أن العربية قد اختصت بالأدوات : فى ، وعَنْ ، وحتّى (التى ربما تشبه : عَدْ ‘ad فى العبرية) .

والأدوات القـديمـة (أ ـ و ـ ب) ذات علاقة بالضمائر من حيث

---

(١) يمكن فى تعبير رشيق أن يقال : ضربه ضربَ الظالم .

أصلها ، كما قلنا من قبل [1] . ولكن « بيْنَ » ليست سوى منصوبِ الاسمِ الثلاثى (بيْن) بمعنى البعد أو البوْن .

وأما الثانية : فإنها قد صيغت فيما يتعلق بالأدوات الباقية على وزان « بيْنَ » ، أى منصوب اسم ثلاثى احتفظ مع ذلك بجميع علاقاته بالصياغة الاسمية ، ومن ذلك : حوْلَ ، وخلْفَ ، وفوْقَ ، وقبْلَ ، إلخ ...

وما زالت اللغة الفصحى الحديثة تستخدم هذه الطريقة ، فهى تميل إلى بناء أدوات جديدة من منصوب الأسماء ، مثل قيْدَ (en connexion avec) ، ونتيجةَ (en conséquence de) وحالَ ، (exactement pendant) ، إلخ ...

٣ ـ الروابط :

هناك مجال للتفرقة بين روابط النسق وروابط التعليق . وتستعمل الأولى للربط بين أعضاء الجملة فى ذاتها ، أو الجمل فيما بينها . وقد تلقت العربية فى هذا الاستعمال عن السامية : الأدوات (وَ) ، و (أوْ) ، و (فَ) ، (والفاء مشتركة بصفة خاصة بين العربية الشمالية وكتابات جنوبى الجزيرة العربية) .

أما روابط التعليق المشتركة بين كثير من اللغات السامية القديمة فلا يمكن أن نجد لها سوى مثالين : لأداة الشرط : إنْ ـ in’ (فى السريانية : ان en’ ، وفى العبرية : إمْ im’) ، ولأداة الغاية : كَيْ kay (فى العبرية : كِى ki للمكمل المباشر ، وفى الأكدية : كِى kī بمعنى مثل) .

وعطف النسق (وحتى الاتصال المباشر بين الجمل) كان شائعاً كثير

---

(١) انظر أيضاً ص ٢١٤ مما سبق .

الشيوع في اللغة السامية ، يشهد بذلك نحو العبرية (الذى يعد ابتدائياً) ، كما يشهد به كل ما اتُّخِذَ من الواو (wāw) .

فليس عجيباً إذن أن نجد روابط التعليق قليلة فى اللغة القديمة المشتركة ، فإن تبعية الجمل بعضها لبعض تفترض أن اللغة قد نمت وتطورت ، حتى بلغت مرحلة الفكر التجريدى .

وقد أحرزت العربية بفضل أعمال شعرائها ـ فى هذه النقطة ـ تطوراً عظيماً ، يتجلى هنا فى ذلك العدد الهام الذى بلغته روابط التعليق : ففيها (إن) الشرطية المكملة بـ « لو » ، وأنْ (للمكملات المباشرة) ، وجميع ما رُكِّبَ مع أن : لأنْ ، بعد أنْ ، قبل أنْ ، إلخ ... وسائر ماركب مع (مَا) : بينمَا ، عِنْدمَا ، كُلَّمَا ، بما أنَّ ، إلخ ... ، ولام التعليل (Li) وما ركب معها : لكى ، لكيلا ، (« لأنْ » المذكورة آنفاً) ، ومتى ، ولَمَّا ، وإذا ، وحتى للتعليل ، وللغاية ، إلخ ...

والواقع أن هناك أدوات يمكن أن تستعمل أدوات جر ، وروابطَ ، ولسنا نستطيع أن نذكر سوى : اللام ، فهى أداة جر بمعنى لأجل ، وهى رابطة بمعنى (كى) ، وحتى للغاية أداة جر ، والتعليلية رابطة ، ومنذ بمعنى depuis (أداة جر) ، وبمعنى depuis que رابطة .

ملاحظة : أدوات النداء بأنواعها ، والصيحات ، والأصوات التلقائية الناتجة من الانفعالات الحادة أو العنيفة ـ ترجع كلها إلى اللغة فى خطواتها الأولى ، وهى تعد بقدر ما عناصر غريبة حين توضع فى نطاق نظام لغوى ، ولذا كانت مفهرسة فى المعجم ، وربما أغفلت هنا . على أنه ليس نقطة البداية ، أنها قدمت بطريقة عامة ، بمناسبة البناء الصرفى للضمائر ، على ما قلناه من قبل .

هذه الأدوات ـ باستثناء الحالة التى تكون فيها ـ فى ذاتها ـ أفعالاً (وهى نادرة) مثل هلمّ ، وجمعها هلموا [1] ـ لا تعد مجالاً للتطور الصرفى إلا فى صورة الصفة النَّسَبِيَّة بإضافة اللاحقة (الكسرة الطويلة ـ Ī) فى اللغة الفنية ، فيقال فى مثل « مع » : معىّ ـ عند النحاة .

* * *

(١) بيد أن هلم لم تعد سوى نصف أداة (نداء أمرى ، ومعنى المكمِّل الإشارى يتضح تماماً ، فـ (ها) فى نسقها التصريفى : فى جمع المذكر : هاؤم ، والمؤنث : هاؤنّ ، والمثنى : هاؤما – تعد مثالاً واضحاً للأداة المتصرفة .

القسم الخامس

الطرق النحوية الأخرى التى تبنى منها النماذج الرئيسة فى اللغة

١ ـ النبر الديناميكى أو الموسيقى :

عالجنا فيما مضى نبر الكلمات (ص ٦٤) . ونحن هنا نعالج دور النبر الذى يتحدد به نموذج اللغة ، ويمكن القول بأن العربية لا تتصف بشىء من هذا النبر ، سواء منه الديناميكى والموسيقى ، والحالة الوحدة التى نصادف فيها النبـر ـ فى الصـرف ، ويؤثر وجوده على المعنى ، هى حـالة لاحـقتى المؤنثة المفـردة :ـ آء ، وـ آ ـ وهذه الحالة تدع رغم ذلك دوراً ثانوياً للتنبير (آء / مع نبرموسيقى ،[؟] ، وـ آ / دون نبر [؟] .

والواقع أن هاتين اللاحقتين تكتفيان بذاتهما : فـ[آءُ] (ألف التأنيث الممدودة) تتبع الإعراب الثانى (ما لا ينصرف)، ذا الحالتين ، و[آ] (الألف المقصورة) لا تقبل الإعراب .

وهذه الملاحظة ليست صادقة تمام الصدق فى اللهجات : ففى اللهجة السورية اللبنانية : ضَرَبوا / ḍárabu ـ تعنى مجرد وقوع الحدث من الفاعليـن ، (ils ont battu) ، وأما ضَرَبُوا ’ḍarabū ـ مع نبر المقطع الأخير ـ فإنها تعنى وقوع الحدث من الفاعلين على فرد معيّن (ils l'ont battu) . فإيقاع النبر على المقطع النهائى معناه وجود نظام مباشر ضميرى ، مذكر مفرد (وهو الضمير المتصل فى العربية الفصحى) .

٢ - نظام الكلمات :

ينبغى أن نقرر - من الجانب الذى يهمنا - أن نظام الكلمات الذى يميز نموذجاً من نماذج لغة ما غير موجود فى الفصحى ، فالعربية الفصحى لا تخص موقع الكلمات بشىء ما ، لتحديد وظيفة هذا الموقع فى الجملة : فالواقع أنها استطاعت بوساطة المصوتات الإعرابية (والتصريفية) أن تجد وسيلة تحدد بها بطريقة متصلة باللفظ ، وظيفة موقعه فى الجملة .

ومع ذلك إن نظام الكلمات ليس حراً ، لأن للعربية نظاماً واجب الاحترام ، فيما عدا الحالات التى يكون فيها ترتيب الكلمات طبقاً لنظام صارم دقيق (وذلك كالمعرّف المتبوع بما يعرفه فى الإضافة النحوية ، وصفة المدح أو الذم بعد موصوفها) ، ونظامها العام هو :

فعل + مسند إليه + مفعول به مباشر + مفعول ظرفى .

مسند إليه + خبر (مسند) + مفعول ظرفى ، فى الجملة الاسمية .

والخروج على هذا النظام ليس نادراً ، ولكنه يكون حينئذ ذا طابع نحوى ، أو أسلوبى (بيانى) ، أما أسلوبى : فكإبراز كلمة فى رأس جملة ، أو أن يقصد بالجملة وجه خاص من البيان ، أو يراد بهذا الخروج تحقيق إيقاع معين . وأما نحوى : فلأن وضع كلمات معينة فى رأس جملة ، أو حتى وضع بعض الأدوات ، يستتبع مقدماً تقييد الأعضاء الأخرى فى الجملة . وللإلمام بتفصيلات أكثر يمكن الرجوع إلى كتب النحو .

وليست هذه حال اللهجات ، فقد فقدت هذه اللهجات المصوتات القصيرة الإعرابية فى آخرها ، كما فقدت مصوتات التصريف ، ولجأت إلى موقع الكلمات - طبعاً - لتحديد الوظائف الهامة : المسند إليه ، والمفعول المباشر ، والمعرّف فى الإضافة النحوية (وهى حالات تنشئها دواعٍ كثيرة) ...

٣ - التركيب (النحت - الاختصار) :

ويقصد به صوغ كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر . والمركب الحقيقى هو الذى يؤدى إلى بناء كلمة جديدة (ذات معنى جديد) ، بحيث يفقد الإحساس اللغوى بعناصرها . وهناك طرق كثيرة لبناء كلمات مركبة .

ففى الفرنسية ؛ توجد طرق بالغة الكثرة بحيث لا يفكر فيها أحد بصفة عامة : وذلك كأن يجمع بين كلمتين طبقاً لقواعد النحو العادية نحو : « aide de camp » ، أو أن يجمع بين كلمات مع الإضمار ، مثل : « timbre quittance » - يراد بذلك : (timbre à mettre sur les quittances) [1].

أما العربية فلم تعرف من طرق هذا التركيب سوى القليل ؛ عرفت منها :

أولاً : وصل كلمة خالية من المعنى بكلمة ذات معنى : ومن أمثلة ذلك وصل أداة النفى بالكلمة التالية فى : لاشَىَ يُلاشى (من لا شىء) ، ولا سلكى (أى بدون سلك) (لا - سلكى) فى اللغة الحديثة .

(وانظر أمثلة أخرى فى قاموس هـ . فير ، وليس كل ما فيه حديثاً) .

ومن ذلك وصل أداة الجر ومعمولها بالكلمة التى يتعلق بها ، وهكذا نشأت كلمة « مال » ، أى : « ثروة » من : ما (موصولة) و - لَهُ أو لِى ، (وقد فهمت « ما لى » ببساطة على أنها : مال + ى) .

ثانياً : إدماج لاحقة أو سابقة فى أصل ثانوى :

ومن ذلك السوابق المسبِّبة القديمة : السين (s) ، والهاء (h) : فبالنسبة إلى السين نجد أن اللفظة القديمة « سَكَانَ » *sakāna (التى صرفت :

---

(١) انظر : ف . برينو : الفكر واللغة ص ٥٥ وما بعدها . La Pensée et la langue, . PP. 55 .

سَكَنْتَ * إلخ ...) قد أدت إلى : سَكَنَ sakana (وجذرها الاشتقاقى س ك ن) .

ومن هَرَاق harāqa صيغت الكلمة هَرَقَ haraqa (الجذر : هـ ر ق) . وهناك كلمات كثيرة يمكن تفسيرها على هذا النحو (انظر بروكلمان : (Gr. I, PP. 521, 522).

والسابقة « الميم » : فمن كلمة « مِسْمَار يأتى الفعل الاسمى : مَسْمَرَ (والجذر الاشتقاقى : م س م ر) (انظر ص ٢٠٨) .

واللاحقة آن ān : فمن كلمة قَطْران أو قِطْران أخذت قَطْرَنَ (والجذر ق ط ر ن) (انظر المرجع السابق) .

ثالثاً : تداخل أصلين ثلاثيين مثل : صَهْصَلِقْ ṣahṣaliq (الصرخة القوية) ، وهى تأتى من ثلاثى جذرين هما : (ص هـ ل) (صَهَلَ - صوت الخيل) و (ص ل ق) (صلق - أطلق صرخة كبيرة) ، وقارن ذلك بما ورد فى اللهجة اللبنانية : شَهْنَقْ šahnaq (النهيق) الذى يأتى من شَهَقَ ونَهَقَ بنفس المعنى .

رابعاً : أن يستخرج من إحدى العبارات أربعة صوامت مميزة ، ثم يصاغ منها فعل رباعى يحمل معناها ، ثم ينطق بهذه الصيغة (التى تعد علماً على تعبير معين) ، وذلك مثل : بَسْمَلَ (أى قال : بسم الله الرحمن الرحيم) أو يحدث ذلك بطريقة أكثر حرية ، وذلك بأن تبنى صفة نسبة بوساطة حذف الكلمات واختصارها ، فيؤخذ من : « عبد شمس » علماً النسبةُ إليه : عَبْشَمِىٌّ ، ثم يبنى الفعل : تعبْشَمَ (أى : صار رجلاً من رجال عبد شمس) .وقد اعترف العرب بهذه الطريقة ، وأطلقوا عليها « النحت » (انظر فصل المزهر الخاص به فى الجزء الأول) .

وقد ظل هذا كله أمراً عارضاً ، حيث لم تستقر فى اللغة طريقة بعينها .

والعربية لا تجيز الجمع بين كلمتين أو أكثر تبعاً للقواعد النحوية العادية ، لتصوغ منها كلمة واحدة ، كما هي الحال في الفرنسية . وكلمة حبْقَرّ ـ ḥabqarr (البَرَد) ـ (حَبُّ قُرّ ، أي حَبُّ الشتاء) قريبة الشبه بالطريقة الفرنسية ، ولكنها تظل مثالاً شديد الندرة . كذلك لا تجيز العربية الجمع بين كلمتين بوساطة مصوت وصل ، على ما عليه الحال في اللاتينية والإغريقية ، ولا أن تجمع بينهما على ما جرت به الطريقة الإنجليزية أو الألمانية . إن التركيب ليس من صميم عبقريتها ، وهو نقص كبير في بناء المعجم الفني العلمي . والعربية في غالب الأمر مضطرة عند نفاد مواردها إلى أن تغير من هذه المركبات الإغريقية ، أو الإغريقية اللاتينية ، حين تكون مصطلحات ثقيلة أو معقدة ، بحيث لا تترك فيها ما يشير إلى أصلها الأجنبي .

وربما انتقدت طريقة المؤلفين المحدثين الذين لم يجدوا خيراً من النطق بكلمة « ديموقراطية » نظيراً لكلمة (démocratie) ، أو « فيزيولوجيا » نظيراً لكلمة (physiologie) . وبحسبنا أن نتصفح بعض فصول كتاب « مفاتيح العلوم للخوارزمي (طبعة ڤان ڤولتن Van Volten) حتى نجد من ذلك نماذج طريفة :

مالينخوليا (ص .١٦ سطر ٨) وفَنْطَازِيَا (١٣٩ سطر ١) ، للكلمتين الإغريقيتين : phantasia , melancholía (بمعنى « القوة المخيلة puis-sance imaginative ») . وقد اصطدم المؤلفون القدامى بنفس الصعوبات التي واجهها المحدثون [1] .

إننا عندما قدمنا الضمائر تحدثنا عن مكوناتها أو عناصرها ، والواقع أن فيها حالة من حالات التركيب : فقد تكدست هذه الكلمات ذوات المقاطع الأحادية ، والمعنى المتقارب أو المتماثل ـ في اثنين أو ثلاثة هي : هذا ، ذاك ،

(١) (Z.D.M.G., Bd. 97, 1943, P. 4) .

هذاك ، ذلـك ، إلخ ... (انظر فيما سبق) . ولكن هذا قد نتج فى ذاك المجال من مجالات اللغة : مجال الضمائر ، الذى يظل فريداً خارج النظام العام ، النظام الذى أدى إلى وجود الأسماء والأفعال : نظام التحول الداخلى ، حتى لكأن التحول الداخلى فى هذه الحالة لم يكن متوافقاً مع صياغة الكلمات بوساطة التركيب .

وأسـمـاء العـدد من ١١ إلى ١٩ ذوات لفظين متحدين لأداء معنى معـين ، ولكـن التـركيب بمعنـاه الصحيح لم يتحقق ، لأن معاملتهما تبعاً للنوع (التذكير والتأنيث) (انظر ص ١٦٣ وما بعدها) تدل على أنهما بقيا وحدتين متميزتين من ناحية المعنى اللغوى ، فهما لا يستحقان على هذا أن يطلق عليهما « عناصر تركيب » بالمعنى الصحيح .

* * *

(١) عالج جميل صليبا حديثاً مشكلة التعبير في العربية عن الكلمات الفنية الأجنبية : تعريب الاصطلاحات العلميـة (RAAD, XXVIII, 1953, PP. 18-27) قال : ومن المناسب أنه بعد استنفاد موارد اللغة – التي عددها تبعاً لثلاثة مباديء – لم يعد أمامنا إلاّ أن نفعل كما فعل القدماء : أن نستعير الألفاظ الأجنبية ذاتها ، ثم أضاف قائلاً : ومع ذلك إن عملنا هذا لن يتيح لنا حل جميع المشكلات .

وانظر أيضاً ما عرضه مصطفى الشهابى فى : (المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى القديم والحديث) دمشق ١٩٦٥ ، ٢١٨ صفحة ، وقد نشر مصطفى شويم رسالته للدكتوراة ـ (الفعل فـى القرآن) ، باريس ١٩٦٦ in-8, vi - 252 ، ولم أستطع أن أحصل على هذا الكتاب إبان مراجعة هذا النص ، وهو مذكور هنا . والمؤلف يفسر بعمق الصيغة الثالثة للفعل العربى ، باعتبارها صيغة توسعية . وارجع إلى المذكرة رقم ١ (السابقة ص ١١١) ، وهى تقدم وجبة موجزة ، ولسوف نجد مزيداً من التفاصيل فى التقرير الذى سأنشره عن هذا المؤلف فى الجزء XLIV ـ القادم من سلسلة MUSJ .

الباب الثالث

التركيب

القسم الأول

الجملة البسيطة

الجملة البسيطة

أوليات

التركيب هو مجال الوظائف[1] ، وهذه الوظائف تتطلب لمعرفتها محدّداً شكلياً ، أى : علامة ، وتقدم حالات الإعراب هذه العلامة.

فالرفع : هو المحدد الشكلى لأركان الجملة : المسند إليه ، والمسند ، **والجر** : هو المحدد الشكلى للوظائف ذات التعلق بالاسم: وهو المضاف إليه. غير أننا نجد كذلك حالات الجر إثر جميع الأدوات (الحروف). وهو ما يؤدى إلى وجود وظيفة المفعول به غير المباشر. فى موقع المجرور.

والنصب : يقدم المحددات الشكلية للوظائف ذات العلاقة بالفعل: وهى مفاعيل الأفعال ، غير أن هذا ليس على إطلاقه ، فسوف نرى فى الواقع (فى هذا الباب) وظيفة علامتها النصب تتصل بالمجال الفعلى ، وبالمجال الاسمى ، على السواء ، ووظيفة أخرى علامتها النصب أيضاً ، تتصل بالاسم باعتباره مسنداً إليه أو مسنداً ، والنعت بالصفة épitète – ليس مقصوراً على حالة واحدة ، فقد يأخذ وضع المنعوت ، ولسوف نعالجه بعد عرض كل الحالات.

والاستفهام ، وهو صيغة خاصة من النداء – يقع خارج الجملة ، وهو يمثل فى العربية تطوراً خاصاً ، سوف نعرضه فى ختام الموضوع. أما عن نظام الكلمات فى الجملة فانظر فيما مضى ص ٢٤٢ .

---

(١) الوظيفة فى مقابل الشكل هى الدورالذى يؤديه المصطلح فى البناء النحوى للنص؟ وظيفة المسند إليه ، وظيفة النظام... [انظر: ماروزو : معجم Lexique de la terminologie linguisitique– ط الثالثة ١٩٥١ باريس .

الفصل الأول

المرفوع

تستخدم العربية عادة كلا من الجملتين : الفعلية والاسمية ، فالجملة الفعلية هى التى يكون المسند فيها فعلا ، والجملة الاسمية هى التى يكون المسند فيها عنصراً اسمياً ، وهذا العنصر يكون فى العربية –أساساً– صفة أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول . كما يمكن أن يكون أداة جر مع مجرورها ، أو ظرف مكان مثل (هنا) ، أو أداة استفهام ، مثل كيف؟ أو كم؟

أ- وظيفة المسند إليه :

فى كلتا الجملتين : الفعلية والاسمية –تتحدد وظيفة المسند إليه بعلامة الرفع :

أولاً : فى مثل الجملة الفعلية : لعب الولدُ ـ يلعب الولدُ.

ثانياً : وفى الجملة الاسمية نحو : أ) الولدُ صغيرٌ ـ ب) الولد فى الدار ، الولد هنا ـ جـ) كيف الولد؟

ففى المثالين (أ ، جـ) الأول والثالث نجد أن المسند إليه حين يكون منكراً (غير محدد) – لا يصح أن يكون مسنداً إليه ، فلا يقال : (ولدٌ صغيرٌ على أن ذلك جملة اسمية) ، بل هو يحتاج إلى تعريف لاحق ، كأن يقال : ولد من أولادنا صغير.

وأما عن المثال (ب) الثانى فإن المسند إليه النكرة يمكن أن يستعمل فى جملة استفهامية مثل : هل ولدٌ فى الدار؟

أو فى جملة منفية مثل : لا ولدٌ فى الدار ، أو لا فى الدار ولدٌ . فأما فى الجملة المثبتة فإن المسند إليه يجب أن يوضع بعد المسند فيقال : فى الدار ولد ـ هنا ولدٌ.

ب ـ وظيفة المسند :

أولاً : فى الجملة الاسمية ، وحكمها أيضاً الرفع ، ويكفى أن ننظر إلى الجملة السابقة : الولدُ صغيرٌ ، مع ملاحظة أن الصفة منكرة .

وقد يكون كل من المسند إليه والمسند معرفاً ، ولكن على معنى آخر ، فقولنا : هذا مريضٌ (نكرة) يمكن أن يصير هذا المريضُ (معرفة) ، وفى هذه الحالة قد نضيف ضميراً منفصلاً فنقول : هذا هو المريض ، فلا يحدث لبس بين الجملتين .

وعندما يكون كل من المسند إليه والمسند اسماً معرفة يقحم بينهما عادة هذا الضمير المنفصل فى مثل : السلطان هو المريض .

وتتمتع العربية بحرية أكثر من الفرنسية فى استعمال المسند الاسمى ، فهى بهذا المسند وحدة قادرة على التعبير عن العلاقات الكثيرة التى نقصد إلى تنويعها بوساطة الاسم [انظر : بروكلمان : Ar, cct.12§101] ، وهو ما يتضح من الأمثلة التالية :

أ ـ الكيل والعدد ، كقولنا : العمود ثلاثون ذراعاً ، يعنى : أنه الثلاثون ذراعاً وهو مساوٍ لقولنا : إن علوه ثلاثون ذراعاً ، ومثله قولنا : عجائب الدنيا أربع ، فهو يعني حرفياً : أن عجائب الدنيا هى كلمة أربع ، وهو مساو حرفياً لقولنا : إن للدنيا أربع عجائب .

ب ـ التماثل كقوله تعالى : ﴿ **البيع مثل الربا** ﴾ [1] [البقرة : ٢٧٥] ،

---

(١) عبارة مقتطعة من الآية الكريمة : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . (المعرب) .

وهو يعنى حرفياً : البيع هو مثل الربا ، وهو مساوٍ لقولنا : البيع يشبه الربا ، ومع ذلك يمكن أن يقال بصورة أخرى : البيع كالربا.

جـ ـ التقسيم إلى طوائف ، مثل : ملوك الفرس أربع طبقات ، وهو يعنى حرفياً : أن ملوك الفرس هم نفس الأربعة الأقسام ، وهو مساو لمعنى : إن ملوك الفرس ينقسمون إلى أربع طبقات .

د ـ المادة ، كقولنا : بعض الأصابع حديد ، وبعضها خزفٌ ، وهو يعنى حرفياً : أن قسماً من الأصابع (كان) حديداً ، وأن قسماً آخر (كان) خزفاً ، وهو مساو لقولنا : إن الأصابع كانت جزئياً من حديد ، وبعضها كان جزئياً من خزف .

هـ ـ المضمون ، كقولنا : ظرفان أحدهما سمن والآخر عسل ، وهو يعنى حرفياً : قدران أحدهما هو سمن ، والآخر هو عسل ، وهو مساو لقولنا : قدران أحدهما يحتوى سمنا ، والآخر عسلاً .

و ـ السمات الخاصة للشيء ، فى هيئتها المجردة ، أو فى ظاهرها المحسوس ، مثل : فألسنتنا حربٌ ، وأبصارنا سلْمٌ ، وهو يعنى حرفياً : أن ألسنتنا (هى) الحرب ، وأن نظراتنا (هى) السلم ، وكقولنا :هو ثقة ، وهو يعني حرفياً : أنه نفس الثقة ، وهو مساو لقولنا : هو جدير بالثقة ، وقولنا : الدهر ألوانٌ ، ويعنى حرفياً : أن الدهر هو نفس الألوان ، وهو مساو لمعنى أن الحظ شديد التنوع والاختلاف .

ثانياً : الجملة الفعلية ، والمسند الفعلى قد يكون فعلاً تاماً ، أو غير تام ، وليس المقصود هنا أن يكون الفعل مرفوعاً ، فتلك حالة اسمية ، ولكننا نريد أن نعرف كيف يتفق هذا المسند الفعلى مع المسند إليه في جملته ، أما عن علامة الضمة التى تلحق الفعل غير التام ، نحو (يقتلُ) فى الجملة المثبتة ،

والاستفهامية ، والمنفية (بغير لم ولمّا) -فإن ذلك يعنى أن الضمة علامة غير التام المرفوع[1] .

ملاحظات :

أ ـ إدخال (إنّ) على الجملة الاسمية : فى مثل : إن الولد مريض ، لقد كانت (إن) مجرد أداة تتصدر الجملة لتأكيد المعنى لمن يتردد فى التسليم به ، والمراد حرفياً : انظر ، الطفل مريض ، وهو مساو لقولنا : أؤكد أن الطفل مريض .

فإذا وقع المسند إليه بعد هذه الأداة فإنه يكون منصوباً ، ولكنه ليس سوى خاصية مقصورة على هذه الأداة ، وأخواتها[2] .

وهكذا يمكن أن نقول حين نستعمل الجمل السابقة : إن الولدَ صغيرٌ ، أو : إن فى الدار ولداً ، أو إن هنا ولداً ، كما يكون الكلام مؤكداً حين يدخل (اللاّم) على المسند .. فى مثل قوله تعالى : ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾ [العاديات : ٦] ، وبهذا أصبحت (إن) وسيلة رشيقة لاستهلال الجملة الاسمية ، وبقيت -مع ذلك- قيمة التأكيد فى الجملة بإدخال اللام .

ب ـ إدخال (إن) على الجملة الفعلية ، وقد كان الأثر هو هو ، فهى أداة استفتاح لنفس الهدف ، بل لقد اعتبرت وسيلة لوضع المسند إليه قبل الفعل (كطريقة لإبرازه) مثل : إن الولد يلعب ، ومعناه حرفياً : انظر ، الولد يلعب ،

---

(١) سبق أن أشرنا إلى حالة الجزم بإيجاز فى (ص ١٧٨) ، وحسبنا أن نعطى بعض الأمثلة ، كالنهى فى مثل : لا تفسدوا فى الأرض ، والأمر للمتكلمين فى مثل : فلنكتبْ ، والأمر للغائب المفرد ، فى مثل : ليخرجْ ، وقد تدل لام الأمر أيضاً على التمنى ، كما ورد فى الترجمة العربية لأبينا ، غير أنه يستعمل فى التعبير عن التمنى بشكل عام الأداة (ليتِ) ، وهى مقابل التعبير (Plût à Dieu que) ، وهى تعمل النصب فى الاسم ، كما يقال : ليت مبلّغاً يأتى ، ولسوف نعالج الفعل المنصوب (يفعلَ) فى القسم الثانى : (الجملة المركبة) ، كما سنعالج استعمالات المرفوع l'indicatif - فى العبارات التابعة .

(٢) وهى ابتداء كل ما يتركب من (إن) مثل : فإن ، ولأن (كذا) الخ .... (وكذلك : لكنّ) ، ثم (أنّ) ، وجميع ما يتركب منها مثل كـ ـ أن ، ولو أن .. الخ .

وهو مساو لقولنا : بالتأكيد الولد يلعب . وقد لاحظنا أن الاسم التالى لها يكون منصوبًا – كما سبق ، ومن الممكن إدخال اللام بنفس الطريقة على المسند الفعلى ، كقوله تعالى : ﴿ إن الإنسان ليطغى ﴾ [العلق : ٦] ، وحين ضعفت قدرة (إن) البيانية صارت هنا أيضًا وسيلة رشيقة لاستهلال الجملة الفعلية ، ولكن إدخال اللام يفيد بصورة ما قيمة التأكيد .

جـ – جمل مكسرة phrases brisées – تستخدم العربية أحيانًا جملاً من نوع : الولد أبوه مريض ، أو فى جملة فعلية ، مثل : الولد مات أبوه .

هذه الجمل لا يمكن تحليلها باعتبارها جملا قياسية régulière : فإن الناطق يبدأ جملة ، ثم يكسرها ويبدأ أخرى ، وهى طريقة اللغة الانفعالية فى البحث عن الخاصة البيانية .

المطابقة بين المسند والمسند إليه:

حين يصل الحديث عن المرفوع إلى أن نتكلم عن المسند إليه والمسند فمن البين هنا ضرورة أن تدخل مسألة التطابق بين المسند والمسند إليه .

ففى الجملة الاسمية يتطابق المسند إذا كان صفة أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول – مع المسند إليه ، فى النوع والعدد[1] ، ولكنه يكون مفردًا مؤنثًا إذا كان المسند إليه جمع تكسير لغير العاقل .. فى مثل : الأبواب مفتحة ، والزهور جميلة .

أما فى الجملة الفعلية فإن المسند إليه يكون متصلاً بالفعل ، إذا كان ضميرًا للمتكلم ، مثل : ضربت ، أو للمخاطبين مثل : ضربتم ، والسؤال عن المطابقة فى حال الضمير الغائب ، ففى الوضع العادى للمسند إليه بعد الفعل : من حيث العدد يبقى الفعل دائمًا مفردًا ، ومن حيث النوع المؤنث لا يكون

---

(١) يغلب المؤنث المفرد ، كما هى الحال فى الصفة المشتقة .

التطابق إلا إذا تبع المسند إليه (المؤنث الحقيقى) – الفعل مباشرة ، مثل : جاءت امرأة ، فأما إذا قيل : جاء حينئذ امرأة– فإن عدم التطابق ممكن ، وعليه كان الميل إلى ترجيح أن يكون مع المذكر مسند إليه مذكر ، ومع المؤنث مسند إليه مؤنث ، وحين يسبق المسند إليه الفعل فإن الفعل يتطابق عندئذ نوعاً وعدداً مع هذا المسند إليه ، كحال المسند حين يكون صفة مع موصوفها [1].

(١) يغلب المؤنث المفرد أيضاً بعد جمع التكسير لما لا يعقل، حين يسند إليه الفعل، ولكن قد يستعمل مؤنث جمع، وهو ما ذكره ابن جنى فى سر صناعة الإعراب (جـ١ ص١٩ فى آخرها وص٢٠ سطر ٨، حين تحدث عن الأحرف الثلاثة: الألف، والواو، والياء، ولاحظ هذه الجملة: (وهنّ... يسمين حروفا كوامل)، فهو يستعمل فى هذا النص جمع المؤنث (هنّ) الذى يعنى (حروف)، والفعل فى جمع المؤنث (يسمّين)، وجمع التكسير (كوامل)، وهو لصفة مشتقة للجمع (حروف). وانظر ملاحظة ابن فارس فى (الصاحبى ط بيروت ص٣٢ سطر ٥–٩) فيما يتعلق باستعمال الضميرين (هنّ، وها) – من أن استعمال الضمير يتطلب (الأشخاص المطابقين للفعل. وقد كان ابن فارس يتحدث عن الضمائر المتصلة، ولكن ملاحظته صادقة بشكل أعم، [انظر سطر ٦]، فالقياس عنده يبدو مؤنثاً مفرداً، أو مؤنثاً جمعاً بالنسبة إلى غير العقلاء .

الفصل الثانى

المجرور

أ- وظيفة التعريف ، والإضافة :

هناك وظيفة ثابتة خاصة بالاسم هى وظيفة التعريف ، هذا التعريف يمكن أن يتحقق بالأداة (ألـ) ، لكن هذه الأداة لا أثر لها فيما تدخل عليه .

وهناك وسيلة أخرى لتحقيق هذا التعريف هى ما أطلق عليه النحو الفرنسى : (مكمل الاسم - أو مفعوله complément de nom) - وهو يعنى الإلحاق (l'annexion) (وهو لفظ يعنى الإضافة فى المصطلح العربى) ، وتلك هى (الحالة المبنية) فى القواعد العبرية ، (l'état construit) ، وهو المكمل المعرف) .

هذا البناء يشمل جزءين ، أحدهما هو المعرَّف (المضاف) والآخر هو المعرِّف (المضاف إليه) .

ب ـ التعريف الناشىء عن الإضافة

كما تعبر الإضافة فى العربية عن التعريف فإنها تعبر عن العلاقات التى يقوم عليها هذا التعريف ، فالأول له علامة (صفر) [متصلة بالجزء الأول] وهى غيبة الأداة . والأخريات علامتهن شكلية [متصلة بالجزء الثانى] ، وهى كسرة الجر ، مثل : كتابُ الولدِ ، فالجزءان معرفان ، الثانى بالأداة (أو التعريف المتصل

بالاسم الخاص) والأول بعلامته : الصفرية ، وهى سمة الإضافة المعرفة[1] .

والعلاقات التى يقوم عليها أساس هذا التعريف كثيرة :

فقد تكون علاقة الشىء المملوك بمالكه ، مثل : كتاب الولد .

وقد تكون علاقة المالك بالشىء المملوك مثل : سلطان البر والبحر . وقد تكون علاقة الكل بأجزائه ، مثل : كل المخلوقات.

وقد تكون علاقة الجزء بالكل مثل : رأس الحكمة.

وقد تكون علاقة السبب بالأثر ، مثل : خالق الأرض.

وقد تكون علاقة الأثر بالسبب ، مثل : حر الشمس.

وقد تكون علاقة الشكل بالمادة ، مثل : خاتم فضة (وفيه تنكير) [انظر ما يأتى بعد] .

وقد تكون علاقة المادة بالشكل مثل : فضة الخاتم .

وقد تكون علاقة الحدث بالموضوع مثل : خلْق السماء .

وقد تكون علاقة الفاعل بالموضوع ، مثل : كاتب الرسالة .

وقد تكون علاقة الموضوع بالفاعل : مثل : غائب الموت .

وقد تكون علاقة صفة بموصوفها ، مثل : صفاء الماء .

وقد تكون علاقة تفسيرية (وهو ما يسمى فى اللغة اللاتينية genitivuse epexegeticus) ـ مثل : مدينة بغداد .

والقائمة لا تنتهى .

---

(١) أما فى الفرنسية فإن الجزءين معرفان بأداة التعريف (le livre de l'enfant) وفى اللاتينية (liber petri) : كتاب بيتر، فالعضو الأول معروف، ولكن هذا التعريف يبقى ضمنيا، دون علامة صريحة واضحة، (ولكن اللغة اللاتينية ليس فيها مع ذلك أداة)، والعضو الثانى فى حالة الجر، يعبر عن العلاقات .

لقد سبق أن قلنا : إن الجزءين أو الطرفين كانا معاً معرفين ، والتعريف الذى يتم بالإضافة يشير إلى كائن معرَّف : كتاب الولد ، أى : الكتاب الموجود بين يدى الولد ، أو الذى يملكه الولد.. إلخ.. ومن الممكن أن يكون الجزءان معا معرفين ، ولكن يترتب على ذلك وجود فرق دلالى هو : أن الإضافة سوف تفيدنا الإشارة إلى طائفة لكائن معين[1] مثل : كتاب ولدٍ ، أى : إنه وضع من أجل الأطفال.

جـ- السمات النحوية للإضافة :

لقد عرفنا أن الجزء الأول ليس فيه أداة ، ولكن قد نلحظ فيه غيبة (النون) أو عدم التنوين ، فى استعمال الأسماء منكرة ، فى مثل : كتاب ولد .

ويجب أن نضيف أن النهايتين (نِ و نَ) ، فى المثنى أو جمع المذكر السالم تحذفان ، فيقال : ابنا الملك ، كما يقال : بنو الملك ، والعلاقة بين الجزءين جد وثيقة ، فهما متحدان ، ولا يمكن أن يفترقا ، حتى إن الصفة المشتقة للجزء الأول تأتى بعد الجزء الثانى هكذا : كتابُ الولدِ الجميلُ .

د- إضافة نحوية ، أو إضافة ناقصة :

صنف النحاة العرب الإضافة إلى : إضافة محضة أو معنوية ، وهى الإضافة السابقة ، أو الإضافة الحقيقية ، وإضافة غير محضة ، أو لفظية ، وهذه لا تعنى سوى طريقة أكثر خفة للتعبير عن نفس المعنى[2].

وفى العربية يجب أن نفرق بين هذه الإضافة اللفظية والإضافة الحقيقة .

---

(١) ويمكن أن يقال حينئذ: إن الجزءين محددان فيما يتعلق بالطائفة فحسب، ويبقى التنكير فيما يتعلق بتحديد الفرد من الطائفة، بصرف النظر عمن يكون، ونصل الفرنسية إلى هذا التنكير بأداة التنكير (un) فى مثل (un livre d'enfant).

(٢) أعنى أنهم يقارنون مثلا قولهم: الرجل الحسن الوجه، بجملة أكثر نمواً تؤدي نفس المعنى، هى قولهم: الرجل الذى وجهه حسن .

والواقع أن وظيفتها مختلفة : **فهى** تستند إلى الوصف ، رغم أن علامتها الشكلية **هى** ـ أيضاً ـ الكسرة ، علامة الجر ، وفضلاً عن ذلك فهناك فرق بنائى هام.

فيقال مع الصفة :

فى حالة التعريف : الرجل الحسنُ الوجه ، وفى حالة التنكير : رجلٌ حسن الوجه.

ويقال فى المثنى المعرف : الرجلان الحسنا الوجه ، وفى المثنى النكرة : رجلان حسنا الوجه.

وفى جمع المذكر السالم المعرفة : الرجال الحسنو الوجه ، وفى الجمع النكرة : رجال حسنو الوجه.

ملحوظة : قولهم : رجل حسن الوجه –مقصود به وصف رجل بالحسن ، فهو وصف ، ولكن بوساطة المكمل المجرور ، أو هو تحديد لمجال الوصف ، وهو هنا مقصور على الوجه ، فهو إذن وصف مقيد.

اختلاف التركيب : فى حالة المعرَّف تبقى الأداة ، بعكس البناء الأصلى فى الإضافة السابقة ، ولكن النهايتين (نِ : ni و نَ : na) فى المثنى وجمع المذكر السالم ـ تحذفان ، كما تحذف نون التنوين من النكرة.

ومن الممكن أن نستعمل هذه الطريقة مع اسم الفاعل واسم المفعول ، كما فى قوله تعالى : **﴿ وبشر المخبتين.. . والمقيمى الصلاة ﴾** ، [الحج : ٣٥ ـ ٣٦] ، وقوله : **﴿ هدياً بالغَ الكعبةِ ﴾** [المائدة : ٩٥] [١] .. **التركيب مهم** : فهو حين تصحبه صفة يكون وسيلة أساسية للوصف فى العربية ، وهو كذلك

---

(١) فى العربية بناء آخر للتعبير عن الوصف، فبدلا من استخدام المفعول به المقيّد المجرور تستخدم التعبير عن الموصوف بإعادة ضميره متصلا، فيقال فى المعرفة: الرجل الحسن وجهه، وفى النكرة: رجل حسن وجهه، وهنا نجد أنفسنا أمام بناء مفرد، تقوم فيه الصفة بدور الوسيط بين الاسم والفعل، فهى فى =

فى السامية القديمة ، غير أن العربية تفرق فى التركيب النحوى بين نوعى الإضافة ، أما فى السامية القديمة فإنها تستخدم النوعين دون تمييز ، فهى حالة تركيبية ، وعلاقة إضافية ، تستخدم النوعين دون تمييز ، فهى حالة تركيبية ، وعلاقة إضافية ، [انظر : بروكلمان ، .Gr. II §171,f) ، وبالنسبة إلى العبرية خاصة ،] انظر [p. joüon, Gr., de l'hébreu biblique .(Rome 1923 § 129 i)

هـ- المجرور بعد جميع الأدوات :

كل الأدوات تجر مكملاتها ، حتى ولو كانت الأدوات ذات أصل اسمى ، مثل (بين) [انظر فيما سبق ص ٢٣٦] ، فإنها تعمل الجر ، وهو أمر لا يدهشنا ، لأن المجرور إنما تفسره الإضافة الأولى.

ولكن لماذا عملت كل الأدوات هذا العمل ، بما فيها ذوات المقطع الواحد ، مثل الباء واللام والكاف ، وهى ذوات أصول بعيدة (لها علاقة بالضمائر) [انظر السابق ص١٣٥] ؟.. إن السبب فى ذلك ينبغى أن يكون بعيداً أيضاً ، ففى الأكدية تعمل كل الأدوات الجر فى المضاف إليه ، وهو ما لا نستطيع أيضاً أن نعلله إلا جزئياً ، حين نرجع الجر إلى الإضافة الأولى.

و - وظيفة المكمل : غير المباشر وتفسيرها بعمل الأداة :

يقع المجرور بعد جميع الأدوات ، وعليه فهذه خاصة للمكمل غير المباشر للفعل : أن يدخل عليه حرف جر (أداة) ، فوظيفة المكمل غير المباشر إذن ،

= منتصف الطريق بينهما، ولما كانت الصفة هنا مشتقة (حسن)، فهى تقوم بدور التعريف أو التنكير بالنسبة إلي الاسم السابق، ولكنها باعتبارها فعلا سابقاً على فاعله فإنها تظل فى حال الإفراد، على أن يكون الاسم التالى (وجهه) مرفوعاً، شأن المسند إليه (الفاعل)، وهكذا يقال فى المثنى: مررت بامرأتين حسن أبواهما، ويقال فى الجمع: رأيت رجالا كريما آباؤهم [انظر رايت جـ٢ ص٢٨٣، وانظر أيضاً كتابنا : gc traitè §53] وهذا التركيب قليل الاستعمال، إلا فى بعض التعبيرات المسكوكة مثل: «السلطان السابق ذكره»، و «الملوك المتقدم ذكرهم».

وتفسيرها بعمل أداة ينبغى أن ندرسها هنا باعتبارها امتداداً لهذا القسم الذى خصصناه لدراسة المجرور.

وتكشف ملاحظات س . دوساسى s.de sacy فى هذا الصدد عن معرفة عميقة ، [انظر : [Gr.Ar^2, II pp. 117 sq. ، وحسبنا أن نوردها هنا . وهذه أولاً ملاحظاته فى المرجع السابق ص 218 قال :

« إن الاستعمال والمعاجم هما وحدهما اللذان يمكن أن يدلانا على الأفعال التى تحكم مكملها مباشرة ، والأخرى التى تحكم هذا المكمل من خلال إحدى الأدوات ، فالفعل قد يكون متعدياً بمعنى ، ولازما بمعنى آخر ، وهذا الفعل اللازم نفسه قد يكون أيضاً مرتبطاً بمكملاته بأدوات مختلفة ، كما يتنوع مدلوله بسبب هذه الطرائق المختلفة فى التعبير عن طبيعة العلاقة بين الفعل ومكمله . ومثال على ذلك الفعل : خرج من ، وخرج على ، وخرج عن ، وخرج إلى ، وأيضاً الفعل : دخل إلى ، ودخل على ، والفعل (نظر) متعدياً ، ناصباً مفعوله مباشرة ـ يعنى (الرؤية) ، مع حرف الجر (إلى) يعنى (وجه بصره إلى) ، وهو مع حرف الجر (فى) بمعنى فحص أو قرأ ، ومع (اللام) بمعنى ساعد وأمد إنسانا بحاجته ، واشتغل بمصالحه .

والفعل : أشار ، إذا كان مع (الباء) فهو بمعنى أمر ، ومع (إلى) بمعنى عيّن وأرى ، ومع (على) بمعنى نبه أو أعطى أمرا . وتفاصيل هذا الموضوع لا علاقة لها بالنحو » .

ويضيف دى ساسى إلى هذا الفقرة التالية (ص ٢١٩) : «ومع ذلك ينبغى أن نسجل عن هذا الموضوع المهم بعض الملاحظات العامة» ، وهى الملاحظات التى نلخصها هنا متجاوزين بعض النقاط غير المفيدة أو التى لا قيمة لها فى هذا المقام :

١ – غالباً ما يكون الفعل متعدياً بنفسه فى معناه الحقيقى ، ومتعدياً وأشاد بذكره بوساطة حرف الجر بمعنى مجازى ، وذلك مثل : أشادَ : امتدحه ، وجذب ، أى : شدّ ، ويقال : جذب بضبْعِه : ساعده على أن يكبر ، وهى بالمعنى الحرفى : شده من ذراعه . ويقال : وضع ، بمعنى : أقره فى مكان ، ولكن يقال : وضع من فلان ، أى : حقر من شأنه.

٢ – قد يصير الفعل المتعدى بنفسه متعدياً بالواسطة إذا ما احتاج المفعول به واسطة ، كما يقال : بعث رسولا ، أى : أرسل نبياً ، وبعث بكتاب –يحتاج إلى الأداة ، إذ لابد من إنسان يوصل هذا الكتاب إلى صاحبه.

٣– قد تكون هناك فكرتان ماثلتان ، إحداهما فى الفعل ، والأخرى فى الأداة المضافة ، كما يقال : قام ، بمعنى انتهض ، فإذا اقترن بالفعل : إلى – أصبح معناه : نهض وذهب إلى فلان ، وهو معنى قولنا : قام وتقدم إلى . ثم إن الفعل (تقدم إلى) قد يقترن بالباء ، فيقال : تقدم إليه بأن ، فيكون معناه : سعى إليه وأمره.

والفعل : رضى بـ معناه : سُرَّ بشىء ، فإذا أضيف إليه مكمل مقترن بـ (من)[1] كان المعنى : سر بشىء ، بحيث إنه لا يهتم بغيره ، فى مثل قوله تعالى : (أَرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة)[1].

ـ وهناك أيضاً من الأفعال : رغب ، ومال ، وكثير غيرهما ، وهذه الملاحظة تلقى ضوءاً سابغاً على أسلوب العرب .

٤– أفعال الحركة مع الباء تتحول إلى مشاركة (correlatif) أعنى : متعدية بوساطة حرف الجر تشير إلى المصاحبة (وهو معنى avec) وهذه الأفعال تعبر عن الحركة بالشىء المعبر عنه ، وهكذا تتطور فكرة الإحضار إلى نقيضها فى

(١) فى الأصل أخطأ المؤلف، بأن جعل الأداة (أنْ)، وجاء بالآية هكذا (أن الآخرة)، والصواب ما أثبتناه. (المعرب).

قولهم : جاءوا بالدنانير ، وهى حرفياً : جاءوا مع الدنانير ، ومساوية لمعنى : أحضروا الدنانير وذهبوا بها ، وهى حرفيا : وذهبت معها ، ومساوية لمعنى : استوليت عليها .

وحركة المعنى المجازى فى قولهم : قام بالحق حرفياً : قام مع الحق ، ومساوية لمعنى : أيد ونصر الحق . وقولهم : نهض بأعباء المملكة ، حرفياً : قام بحمل شئون الدولة ، وهى مساوية لمعنى : نهض وحمل هم شئون الدولة .

* * *

الفصل الثالث

المنصوب

أ- وظيفة المكمل ، وعلامة المنصوب فى المكملات الخاصة بالفعل

لوظيفة مكمل الفعل أشكال كثيرة ، غير أن الوظيفة فى كل هذه المكملات تأخذ نفس العلامة ، وهى علامة النصب . وفى بعض المكملات لا تقتصر تركيبا ثانويًا من وجهة نظر النظام اللغوى ، مهما تكن درجة التطور الذى حدث لها [1] .

ولدينا فى هذا المجال : **أولاً** : المفعول المطلق le complèment d'objet interne ، **وثانيا** : المفعول به le complément d'objet direct **وثالثًا** : المفعول لأجله le complèment de manière ، **ورابعًا** : -le complé ment de Cause ou de but, d'intention ، **وخامسا** : مفاعيل الزمان والمكان les compléments de temps et de lieu .

أولاً : المفعول المطلق ، وإنما سمى كذلك لأن مفعوله يمثل فكرة الفعل ذاتها فى شكل مصدر ، كما فى التعبير الفرنسى (يعيش حياته) ، وتستخدم العربية المفعول المطلق لأغراض شتى :

فهى أولا تستخدمه استخدام المصدر وحده مثل : قام قيامًا ، وأخرج إخراجًا ، وضربه ضربًا ، ويقول النحاة العرب : إنه هنا للتوكيد : Corroboration ، ولكنا نتساءل : توكيد لأى شيء؟ .. فى رأينا : أن هذه صيغة تعبر عن

---

(١) فى مثل حالة المفعول لأجله مقرونًا بالباء .

الإحـداث actualisateur ، أعنى : أنها تفهمنا أن القضية (أو الحدث) قد تحقق فعلاً فهى تحفزنا إلى أن نرى هذا الحدوث فى الواقع ، ومن هنا جاء الشعور بنوع من التقوية (أو التوكيد) ، فإذا ما ألحقت بهذا المصدر لاحقة التاء (فى اسم المرة) ، فإن المكمل أو المفعول يعلمنا أن الحدث قد وقع مرة واحدة ، وإذا ما ألصقت به لاحقة المثنى ، كان المعنى أن الحدث قد تكرر ، فإذا قلنا : ضربه ضربةً ، كان المعنى حرفياً : ضربه ضربة واحدة ، وهو مساوٍ لقولنا : أعطاه لكمة ، وإذا قلنا : ضربه ضربتين ، كان المعنى حرفياً : ضربه مرتين ، وهو مساو لقولنا : أعطاه لكمتين[1] .

فإذا ما وصف المصدر بصفة كان معناه بيان النوع ، كقولنا : ضربه ضرباً شديداً ، ومعناه حرفياً : ضربه ضربة قوية ، وهو مساو لقولنا : ضربه بعنف ، (وانظر فيما مضى ص ١٥٥) .

وإذا ما صيغ المصدر على وزن فعلة (دون أية صبغة أخرى) ، فإنه يعبر عن نوع من المقارنة ، كقولنا : جلس جَلسة شيخ ، وهو حرفياً بمعنى : جلس مجلس الشيخ ، مساوياً لقولنا : جلس كما يجلس الشيخ .

ثانياً : المفعول به : le complément d'objet direct وهو نموذج المكمل المنصوب ، كما تقول : رأيت الولد ، ونادراً ما يقترن هذا المكمل بلام الجر [انظر بروكلمان Gr-II§211a-] اللهم ما عدا ما يجيء بعد المصدر كما في المثال : قام إكراما لى (أو : إياى ، وقولهم : بعدِ فتحه للحصنِ (أو : الحصن) ، وهو مساوٍ للتعبير : وهو يفتح الحصن ، أو : بعدَ ما فتح الحصنَ .

والعربية تستعمل كثيراً من الأفعال المتعدية مباشرة ، تعبيراً عن الحركة نحو هدف معين ، ومن ذلك : أتى ، وجاء ، وقصد ، وقَدِمَ ، وورد ... إلخ ... فيقال : جاءنى ، ودخل البيت .

فأما بعد أفعال (العلم Savoir) بخاصة فإن المنصوب يمكن أن يدخل

(١) ويمكن أن نزيد فى العدد فنقول : ضربه ثلاث ضربات ، أى : أعطاه ثلاث لكمات .

عليه حرف الجر (الباء)[1] . وهى الباء التى تلى المصدر مثل : لعلْمه بـ ـ وهو مساو لمعنى : لأنه كان يعلم ، أو تلى صيغة التفضيل ، نحو : هوَ أعلم منك بذلك ، وهناك أفعال تنصب مفعولين مكملين أيضاً . [انظر بلاشير 186 §] .

ثالثاً : مكمل السلوك ، ويؤول بالحال : le complément de manière ، ومن أجل هذا المكمل تتصرف العربية كما رأينا فى جملة المفعول المطلق المقترن بصفة ، وهى تستخدم عادة أيضاً المنصوب (النكرة) من أسماء المعانى nom abstrait ، فى مثل : ضربه ظلماً ، وهو حرفياً بمعنى : ضربه بطريقة ظالمة ، أى : فى حال ظلم ، وقد نجد هنا المكمل مجروراً بالتاء فيقال : بظلم . [انظر فيما سبق ص ٢٣٦ ، فى موضوع امتداد هذا التركيب] .

رابعاً : مكمل السبب (أو الغاية) والنية complement de cause on de but, d'intention ، وهو المفعول لأجله ، فالأول كقولنا : مات جوعاً ، وهرب خوفاً ، والثانى كقولنا : ضربته تأديباً له ، هذا المكمل عادة ما يكون نكرة ، فإذا جاء مضافاً جاء منصوباً ، كقولنا : فعلته ابتغاء الخير ، وقد يجر باللام أيضاً فيقال : لابتغاء الخير .

خامساً : مكمل الزمان والمكان وهو محصور فى الزمان والمكان ، وقد يتوسع فى مدلولهما ، فتظهر وظيفة هامة علامتها النصب . فأما الزمان الظرفى فكقولنا : مات اليوم ، وخرج طلوع الشمس ، ومع التوسع : صام يوماً ، وتأمل شهرين فى اختيار الأستاذ . وطبيعى أن تنصب كلمة (مدة) بإدخالها ضمن هذا النوع من المكملات ، لما تتميز به من قدر كبير من التحديد ، كما فى المثال : صام مدة يومين . وأما المكان الظرفى ، فكقولنا : انتصر على العدو براً وبحراً ، غير أن التحديد يتعين بوساطة حرف الجر (فى) فيقال : مات فى بغداد ، ومع التوسع يقال : مشيت فرسخين[2] .

---

(١) وهنا نصل إلى مسألة المكمل غير المباشر [انظر فيما سبق ص ٢٦٠ وما بعدها].

(٢) بيد أن هذا المكمل قد يفهم على أنه مفعول به، فيصير مسنداً إليه الفعل المجهول كما يقال: سير فرسخان، والمعنى حرفياً: أن فرسخين قد سيرا، وهو مساو لقولنا: إن مجهولاً سار مسافة فرسخين . [انظر Muf § 436] تماماً كما يمكن أن يقال : سير سير شديد ، وهو بناء المجهول من : سار سيراً شديداً ، وحين لا يكون المسند إليه مقصوداً يقال : سير سيراً شديداً.

هذا المنصوب الظرفى : زمانا ومكاناً يتسع ليدخل فيه تعبيرات كثيرة :

أ ـ تلك التى تقابل ظروفنا وتعبيراتنا الظرفية ، فى الزمان والمكان ، مثل : الآن maintenant ، واليوم aujourd' hui ، [انظر ما سبق] وغداً demain ومرةً une fois – وليلاً nuitamment ، ويميناً à droit ويساراً à gauche ، إلخ .. .

ب ـ أو تلك التى تؤدى دور الأداة [1] مثل : بين entre ، وأمام أو قُدّام devant ، وخلف أو وراء derrière ، وفوق ، وحول autour de ، وكذلك : شرقىّ à l'est de ، وغربىّ à l'ouest de .

ب- وظيفة المكمل وعلامة النصب فى المكملات غير المتصلة بالفعل ، أو المشتركة بين الفعل وطائفة أخرى .

رأينا حتى الآن فى موضوع المنصوب -الوظائف المعبر عنها بالمكملات والتى تخص الفعل وحده ، وهناك أيضاً وظيفتان أخريان ، وعلامتهما النصب ، ولكنهما معتبرتان مكملين ، أحدهما للمسند إليه ، وللمفعول ، والآخر للصفات وللفعل ، وتخص الوظيفة الأولى : الحال (l'etat) ، والثانية : هى التى أطلق عليها النحاة العرب : التمييز (la spécification) .

أولاً : الحال :

الحال وظيفة هامة وسَّعَت العربية التعبير عنه باسم مكمل الحال ، وبهذا المكمل يتعرف على حالة المسند إليه ، أو المفعول ، عند الاقتضاء ، وذلك بوساطة صفة ، أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، وتكون فى شكل المنصوب النكرة ، فحال المسند إليه مثل : جاء الولد باكياً ، وقوله تعالى : ﴿ **وخُلِقَ**

---

(١) قد تقوم هذه التعبيرات بدور الظرف، وتلزم الضم فى آخرها، مثل: فوقُ وتحتُ [انظر ص ٨٦]. ويبدو أن المؤلف يقصد الظرفين قبل وبعد، ففاته تحديدهما. (المعرّب) .

الإنسانُ ضعيفًا ﴾ [النساء : ٢٨] ، وأما الحال من المفعول فهى : أ ـ المفعول به المباشر مثل : ركبت الفرس مُسْرَجًا ، ولقيته فارحًا .

ب ـ المفعول غير المباشر مثل : مررت بزيد جالسًا ، وكنت فى البستان زاهرًا .

أ - مجىء الحال بعد كان وما يشبهها من الأفعال .

وهذا هو مكمل الحال الذى يبين عن حقيقة المنصوب الوارد بعد كان ، والأفعال المماثلة لها (كان وأخواتها)[١] ، وهى : أصبح ، وأضحى ، وأمسى ، وظل ، وبات ، وصار ، ودام ، أو الأفعال المقترنة بنفى ، وهى : ما زال ، وما برح ، وما انفك ، وكذلك شبه الفعل (ليس) ، ومن الأمثلة : كان الوزير عالمًا ، وأصبح مريضًا ، وما زال صابرًا .

والجمل التى تتركب مع هذه الأفعال هى جمل فعلية ، حيث يعتبر الفعل مسندًا[٢] كسائر الجمل الفعلية : ولهذه الأفعال خصوصية التعبير عن الوجود فى لحظة معينة : صباحًا .. مساء ... إلخ .. أو التعبير عن الماضى فحسب أو عن الصيرورة ، لكنها أفعال ، شأنها شأن الأفعال الأخرى ، يمكن أن تتقبل مكمل الحال ، وهى بهذا المكمل الحالى تدل على وضع المسند إليه فى لحظة الوجود التى تعبر عنها صباحًا . . أو مساء . . إلخ . . كما تعبر عن صيرورته أو ديمومته . ولئن كان بعض هذه الأفعال ، مثل أصبح وأمسى – ليست سوى تعبير أكثر رشاقة من (كان) فى دلالتها على الكينونة فى زمن ماضٍ – فإن ذلك لا يغير من الأمر شيئًا .

---

(١) تبعًا لما ذكره دوساسى (Gr.ArII P.87)، ووافقه فليش (Kleinere schriften p. 576، ونولدكه (Zur Gram. § 33).

(٢) على ما ذهب إليه دو ساسى (فى المرجع السابق)، وتحليل جملة (كان لقمانُ حكيمًا) هو نفس تحليل الجملة الأخرى القائلة: مات حسينٌ شهيدًا. (Rech. 5-13).

إن دخول هذه الأفعال (كان وأخواتها) فى الجملة الاسمية لا يؤهلها لتكون أفعالا إسنادية verbes prédicatifs ، فكل دورها أنها تغير صفة الجملة ، التى كانت اسمية ، فصارت فعلية[1] .

ب - مكمل الحال حين يكون فعلاً غير تام ، أو جملة مقرونة بالواو .

قد يتغير مكمل الحال الاسمى ليصبح جملة اسمية مقترنة بالواو ، كما تقول : جاء الولد وهو باك ، ولقيته وهو فرح .

ولكن يجب أن تذكر نموذجاً آخر من التعبير عن الحال ، وأعني بذلك أن يحل محل اسم الفاعل فعل غير تام ، أو يستبدل بالصفة فعل غير تام من مادتها ، (وغير التام يصبح فى هذه الجملة نعتاً) ؟ شريطة أن يكون الفعل الأساسى تاماً .

ومن هذا قولنا : جاء الولد يبكى ، ولقيته يفرح ، وهنا فرق (ينبع من الأسلوب) فى تقديم الفكرة : ذلك أن الفكرة تبقى ساكنة جامدة مع تعبير الصفة ، أو التعبير باسم الفاعل . أما الفعل فهو بعكس ذلك يفيد حركة غير التام ، وهو التعبير الحركى ، الأكثر حياة ، بل والأكثر دقة وحساسية أيضاً ، وذلك لوضع الحال فى جملة أكبر ، مقترنة بالواو ، كأن نقول : جاء الولد وهو يبكى ، ولقيته وهو يفرح[2] .

---

(١) الجملة المصدرة بفعل الكينونة هى جملة فعلية، شأن جميع الجمل الفعلية، [انظر بنفيست (Problèmes de linguistique générale) مشكلات علم اللغة العام – باريس ١٩٦٦ ص١٥٣ سطر ٧–٥.

(٢) أما عن اسم المفعول مثل: مُسْرَجاً، فى قولنا: ركبت الفرس مُسرَجاً –فمن الممكن أن يحل محله فعل، مع مراعاة أن (مسرجاً) تشير إلى نتيجة عمل مضى، فيؤتى بالماضى مقروناً بقد، فيقال: ركبت الفرس وقد أُسرِجَ. وأما (ضعيفاً) فى الجملة القرآنية (وخلق الإنسان ضعيفاً)، فيعسر التعبير عنها بطريقة أخرى، إذ نجد أنفسنا فى الواقع أمام حال هى نتيجة دائمة لحدث خاص مضى (هو هنا حدث الخلق)، والصعوبة تتمثل فى هذا المثال خاصة فنلجأ إلى تقدير جملة (على حال الضُعف)، ولكن هذا لاعلاقة له بموضوعنا .

وبعد كان (وأخواتها)(يضيف الفعل غير التام خصائصه[1] بعد الفعل الزمنى ، مثل : كان الوزير يعلم (كان يعلم : فالزمن تام مستمر –Savait) ، وأصبح يمرض (فى الصباح) وما زال يصبر (فهو لا يتوقف عن الصبر) .

جـ - مكمل الحال بعد « أفعال القلوب » .

إن النصب ، وهو علامة وظيفة الحال ، يفسر أيضاً منصوب النكرة الذى يتبع المفعول به ، للأفعال التى أطلق عليها النحاة العرب . (أفعال القلوب)[2] ، مثل : حَسب ، وخال ، وزعم ، وظن ، وعَدّ ، وعلم ، ووَجَدَ ، وذلك كقولنا : حَسبت الولد مريضاً ، وظننت العبد مذنباً ، فأما عن إمكان وضع الفعل غير التام موضع الصفة أو اسم الفاعل ، كما يحدث فى الحال فيجب ، (رغم ما قرره ابن يعيش (ص٩٨٨ سطر ١–٨) ، – أن ننظر هذا المثال فى البخارى ، وقد ذكره رجيس بلاشير فى (§ 403) ، (بصدد حديثه عن التبعية) ، والمثال هو : (والله ما أرى أموالكم تسعُ لهذه) .

د - مكمل الحال بعد أفعال الشروع /inchoatifs وأفعال الشروع فى العربية تأتى من أفعال كانت تشير فى البداية إلى موقف استهلال ، أو طريقة خاصة فى الابتداء ، مثل : أخذ ، وجعل ، وشرع ، وعلَق ، وقام ، وأقبل ، وأنشأ ، ثم إن منها أفعالا دلت على البدء مثل : (بدأ ، وطفق) ، لكن ذلك فى حالة التمام (المضى) متبوعاً بفعل غير تام ، فيقال : أخذ يضحك ، وجعل يكتب ، وقامت المرأة تنوح ، وأقبل يَعَضّ . . . إلخ . . . فقد فسر غير التام

---

(١) وهو الحدث المستمر للفعل المبنى للمعلوم، بعد أن تتم الصيرورة لفعل من الأفعال الموصوفة le de-venirs' effectuant, pour un verbe de qualité إن اجتماع فعل زمنى verbe de temps وفعل غير تام يمكن أن يقابل فى الفرنسية صيغة الماضى المستمر l'imparfait، على ما نلاحظه فى ترجمة الأمثلة، فى الإسناد إلى ضمير الغائب، إذ ينبغى أن يقال: (إنه يصبر بلا حدود) حتى نتذوق معنى الفعل غير التام فى (يصبر).

(٢) وكان دوساسى (Gr. ArII§ 149) يدخل أيضاً فى الحال ذلك المنصوب النكرة، ولا تستطيع الترجمة الفرنسية أن ترد حال أفعال القلوب خضوعاً لتوهم تركيب آخر.

بتركيب من عبارة مكملة مباشرة بلا أداة وصل en asyndète (دكيندروف § 188,6e ؛ وبروكلمان -Gr., II § 337 a) .

وفى رأينا أن ذلك لا يعدو التعبير عن الحال بفعل غير تام بعد فعل تام ، تماماً كما يقال : جاء يبكى ، وذهب يصرخ .

ومن ناحية أخرى :كيف نرى جملة المفعول به بعد أفعال مثل : قام ، وعلق[1] ؟

ملحوظة أولاً : الاستثناء :

والاستثناء بالمعنى الصحيح يفترض أن الجملة قد انتهت واكتملت ولكن ، وبعد حين ، أريدَ إخراجُ واحد أو أكثر من وظائف هذه الجملة ، فأما الفرنسية فتعبر عن ذلك باستخدام الأداة : (sauf) ، فتقول : ils sont tous venus sauf zayd ، حضروا كلهم عدا زيداً ، فزيد مستثنى من وظيفة المسند إليه ، وتقول : je les ai tous vus sauf zayd ، فزيد مستثنى من وظيفة المفعول به المباشر . (رأيتهم جميعاً سوى زيد) .

أما العربية فتستخدم تراكيب كثيرة ذوات أصول مختلفة فهى مثلاً تستخدم (غير) ، وهى كلمة بمعنى (فرق أو اختلاف) وهى اسم ، أخذ من مصدر قديم [انظر فيما سبق ص) ، وهى تستخدم (سوى) بمعنى (آخر) ، وهى أيضاً اسم ، و(إلا) ، وأصلها إن + لا = (Si non) ، كما تستخدم من الأفعال : عدا وخلا ، اللذين جمدا فى هذه الصيغة التامة (للمفرد المذكر) ، وتستخدم اسماً قديماً هو حاش ، أو حاشا ، التعجبية ، المحولة عن معناها .

ولسنا نستطيع هنا الدخول فى كل التفاصيل (انظر رايت -II p.p.235 243) .

(١)انظر أيضاً فى موضع الحال -فيما يلى ص ٢٨٦ .

وقد قدم الأستاذ بلو J.B.Belot موجزاً جيداً لهذا الأسلوب فى كتابه (Gr. Ar. pp. 293-295) يوضح فيه أن (سوى) لها نفس بناء (غير) ، ولكن حركات الإعراب لا تظهر عليها .

أما نحن فنتناول هنا (غير وإلا) ، وهما الأكثر استعمالاً فى الجمل الموجبة التامة ، يقال عند استخدام نسق الجمل الفرنسية السابقة : جاءَ كلُّهم غيرَ زيْدٍ ، فغير منصوبة على مقتضى موقعها : الحال ، من المسند إليه ، أو من المفعول .

وإذا استخدمنا (إلا) فى نفس المعنى قلنا : جاء كلُّهم إلا زيداً ، ورأيت كلَّهم إلا زيداً .

وقياساً على ذلك ، ونظراً إلى تماثل المعنى ، انتقل نصب (غيرَ) فى تركيبها إلى ما بعد (إلا) ، فيقال : إلا زيداً ، ولكن تردداً قد حدث فى تطبيق هذا القياس ، نشأ عنه (استثناءات) صار بها الاسم مرفوعاً بعد (إلا) ، بدلاً من أن يكون منصوباً ، وذلك حين تكون الجملة منفية ، حيث ذكروا أن بنى تميم لا يُعملون هذا القياس ، فقد كانوا يقولون تبعاً للجملة النموذج (وهى هنا شىء مستثنى من نوع آخر يختلف عنه)[1] : ما قام القوم إلا حمارٌ ، ولكن أهل الحجاز ينصبون فيقولون : إلا حماراً ، [انظر رايت جـ٢ صـ 337) . واختلاف السلوك فى تطبيق القياس المشار إليه يفسر لنا تركيب (إلا) فى الجملة المنفية ، وهو أمر مشروح لدى نولدكه ، فيما قدم من قواعد واختلافات (Zur Gram§37) حين تعرض لموضوع (إلا) .

ثانياً : التمييز

والتمييز وسيلة خاصة للتعبير عن التحديد ، وهو يستخدم لتقييد امتداد المعنى فى صفة أو فعل ، لتمييز طائفة من الأشياء ، بعد أسماء الموازين أو

(١) يشير إلى الاستثناء المنقطع (المعرب).

المقاييس ، أو بعد الاستفهام بـ (كم) ؟ وهو ما يعد كذلك تحديداً بالتخصيص الذى يعبر عنه التمييز .

أ ـ تحديد الصفة : وهو الوصف المقيد الذى رأيناه من قبل معبراً عنه بالإضافة الناقصة ، فتحمل على التمييز (ومع ذلك فهذا البناء أقل استعمالاً) ، فى مثل قولهم : الرجل الحسن وجهاً ، أو رجلٌ حسنٌ وجهاً . ويأتي التمييز عادة بعد صيغة أفعل التفضيل(للمقارنة أو التفضيل) ، فيقال : فلان أحدثنا سنا ، أو إنه أوسع علماً منك ، أو أشد ، أو أكثر (وغير ذلك مثل أجود وأحسن) والتمييز –على هذا ، يعتبر وسيلة للتعبير عن التفضيل مع اسم المفعول ، فى صيغته الأولى ، أو أسماء الفاعلين أو المفعولين فى الصيغ الفرعية ، أو التفضيل فى الصفات بوزن (أفعل) [من الألوان ، أو صفات التقبيح) مثل : أكثر تواضعاً ، من (متواضع ، وأشد سواداً ، من (أسود) ، وهو الأحسن تعليماً ، من (معلم) .

ب ـ تحديد معنى الفعل ، كما تقول : طاب الورد لونا ، ورفعت الشيخ قدراً .

جـ ـ التمييز بعد أسماء الأوزان والمقاييس ، مثل : اشتريت رطلاً زيتاً وذراعين جوخاً . وبعد (كم) مثل : كم ولداً عندك؟ والمنصوب النكرة بعد العدد من ١١-١٩ ، والعقود من ٢٠-٩٠ ، (وقد مضى فى صفحتى : ١٦٣ـ ١٦٤) ـ ويعتبر كذلك من التمييز .

الفصل الرابع
الوصف بالمشتق
التبعية

لقد سبق أن قلنا فى مستهل القسم الثالث : إن الوصف بالمشتق (سواء أكان اسم فاعل أو اسم مفعول) ليس مقصوراً على حالة واحدة ، فهو يتبع حال الموصوف ، وإذا كنا قد أشرنا الآن إلى الحالات المختلفة التى قد يرد عليها الموصوف تبعاً للوظائف المختلفة فمن حقنا أن نقدم هذا الوصف .

تتبع الصفة المشتقة موصوفها فى الإعراب ، وفى النوع ، والعدد ، والتعريف والتنكير ، وتأتى بعده ، فيقال : جاء الولد الصغير (فأداة التعريف فى الصفة)/ . ورأيت ولداً صغيراً ، ومررت برجال صالحين .

فإذا كان الموصوف جمعاً مكسراً (داخلياً) لغير العاقلين – غلب اعتباره مفرداً مؤنثاً ، فيقال : فواكه كثيرة ، وجمال عظيمة ، (ويقال : عظامٌ) . [انظر التفاصيل فى بلاشير ص٢٤٠) ، (وأما بالنسبة إلى المسند لصفة فارجع إلى ما سبق ص ٢٥١) .

وعلى نحو ما رأينا (فى ص٢٤٩) عن استخدام اسم المعنى (المصدر) مسنداً ، يمكن أن نجد –بدلاً من الصفة المشتقة –اسم معنى تابعاً لاسم آخر فى وظيفة الوصفية ، فيقال : رجلٌ عدلٌ ، والمعنى الحرفى بالفرنسية (un homme justice) ، وهو يساوى (رجل عادل) . (انظر كتابنا : فقه العربية §79e, f et Muf§143) ويبقى هذا الاسم دون تغيير حتى مع الجمع فيقال : رجال عدل (= عدول) .

وفضلاً عن ذلك نستطيع أن نعبر عن هذه العلاقات التي سبقت في (ص ٢٥١) على أنها مجرد مسند (خبر) [انظر بروكلمان Ar. Gr 12 §124 a] : ولكن من الأفضل حينئذ أن نتحدث عن التبعية[1] ، وفي هذه التبعية يأخذ الاسم فقط إعراب الاسم الذي يتبعه .

وهكذا تعبر التبعية عن العلاقات التالية :

أولاً : المعايرة ، والعدد ، فيقال : ثوبٌ ذراع ، والمعنى الحرفي : أن الثوب هو الذراع ، وهو يساوي : أن الثوب طوله ذراع ، ويقال : مصنفات عدة ، والمعنى الحرفي : أن المصنفات هي العدد ، وهو يساوي : مصنفات كثيرة (عديدة) .

ثانياً : المشابهة ، كقولنا : رجلٌ مثل زيد ، والمعنى الحرفي : أن الرجل هو مثل زيد ، وهو يساوي : أن الرجل مشبه لزيد ، ويمكن أن نقول أيضاً وبكل بساطة : رجل كزيد ، أي : مشبه لزيد .

ثالثاً : الأجزاء والمكونات ، كقولنا : جبلٌ أرمَاثٌ ، والمعنى الحرفي : حبل الألياف التالفة ، وهو مساو لمعنى : حبل ذو ألياف تالفة .

رابعاً : المادة ، كقولنا : الخاتمُ الحديد ، ومعناه الحرفي أن الخاتم هو الحديد ، وهو مساو لمعنى : خاتم من الحديدِ ، ومع اسم نكرة متصدر قد يستعمل كثيراً حرف الجر (مِن) ، فيقال : صنمٌ من ذهبٍ .

خامساً : المحتوى ، كقولنا : رطلٌ زيتٌ ، وهو حرفياً يعني أن الوزن برطل من زيتٍ ، وهو مساو لمعنى : محتوى رطل من الزيت ، فإذا ما عايرنا قلنا : رطل زيتاً [انظر ص ٢٧٣] .

---

(١) الصفة المشتقة مطابقة ، ولكنها مطابقة تؤدي وظيفة الوصف ، وتتفق مع الموصوف ، فهي إذن مطابقة خاصة ، تستحق أن ينظر إليها على حدة ، أما مطابقة الاسم فإنه لا يستخدم سوى مسألة الاتفاق في الحال ، مع الاسم الذي يقبل المطابقة .

ملاحظات :

أولاً : بالنسبة إلى (كل وجميع) اللتين رأيناهما مستخدمتين للتعبير عن معنى (tout) بالفرنسية – فإنهما تستخدمان كذلك توابع ، فيقال : كل الناس ، كما يقال : الناس كلهم ، ويقال : جميع الناس ، كما يقال : الناس جميعهم .

وتأتى كلمة (أجمع بدون أداة تعريف ، شكلا ثانياً من أشكال التبعية ، لتأكيد معنى كل ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ [ص : ٧٠] ، كما يجوز أن تقترن (أجمع) بالباء فيقال : جاءوا بأجمعهم .

ثانياً : رأينا التبعية فى وحدات الجملة البسيطة ، وقد نجد كذلك هذه التبعية ، أو العلاقة المباشرة من جملة بسيطة إلى جملة أخرى ، ومن ذلك ما وجدنا قبل (ص ٢٨٩) من مجيء الفعل غير التام تاليا للتعبير عن الحال ، غير أننا لا نستطيع أن ندخل هنا فى هذه التفاصيل إلا إذا رجعنا إلى عرض رجيس بلاشير (400 §) ، حيث نلاحظ التبعية التى تهدف إلى التعرف على الفاعل بعد فعل فى صيغة المجهول ، وكذلك فى (401§) . وفى (404-402 §§) حيث عالج الوظائف ، وفى (406§) نجده لم يتعرف على السمة الحقيقية للإضافة (المبنية على جملة حولت إلى اسمية ، لا على فعل) . [انظر ما سبق فى ص٢٠٩] ، أما فيما يتعلق بالنسق فيرجع إلى الفصل الخاص به (وما بعدها IV, pp 473) .

ملحق

أولاً : درجات فى المقارنة

وهو ما يتصل هنا بالوظائف الخاصة بالنعت : كيف نقارن كائنا بآخر له صفات أقل ، أو معادلة ، أو أكثر منه ، أو نبين أنه هو الذى يتميز بالأكثر؟ .. يطلق على هذا : صيغة مقارنة تفيد القلة أو المساواة ، أو الزيادة ، كما يطلق عليه : اسم التفضيل النسبى . واللغة العربية تصغر الظروف للدلالة على التكثير أو

التقليل ، أو المساواة ، كما تستخدم وسائل أخرى . وقد سبق لنا أن قدمنا (ص ٢٣٥ فى نهايتها) – المقارنة فى التفوق ، والتفضيل النسب (المسمى بأفعال التفضيل élatif) وحسبنا أن نقدم بعض الأمثلة ، كما نقول : زيد هو أكبر من أخيه ، وهذا أكثر منه تواضعاً ، وعمرو هو أحسن تعليما من زيد ، وهو خير الناس . ويلاحظ أن (خير) ليس لها صيغة (أفعل) : أخْيَر ، وكذلك (شر) بمعنى سيء أو أكثر سوءاً [1] .

أما عن أفعل التفضيل المعبر عن القلة فإن العربية تستخدم صيغة (أقل) – من قليل ، مقرونة بالتمييز ، كقولنا : زيد هو أقل حسنا من عمرو .

وليس لمقارنة المساواة تعبير مباشرة ، فمن الممكن أن ننكر القلة بافتراض المساواة ، كقولنا : ليس عمرو أقل حكمة من زيد ، ويمكننا أن نجدد بأن نقول : عمرو هو سيُّ (أو كفء) زيد حكمة ، أو نقول : يساوى عمروٌ زيداً حكمة .

ثانياً : التعبير عن الدهشة :

للتعبير عن الدهشة أو الإعجاب بصفة تتوفر بدرجة عالية – تستخدم العربية التركيب : ما أفعل زيداً [2] فنقول : ما أكبر زيداً ، فصيغة (أكبر) مكونة من نفس عناصر صيغة أفعل التفضيل ، كما تستخدم الصيغ البديلة : ما أشده تواضعاً ، وهو دور من أدوار التعجب فى اللغة الانفعالية .

وإذا كان التعجب للحكم على شيء بأنه حسن أو سيء ، فإن العربية قد تستخدم (نعم وبئس) ، وهما صيغتان متطورتان مخصصتان من الفعلين : نعِمَ ، وبئِس ، وهما مستعملتان على الأرجح فى صيغة المذكر المفرد : نعمَ الوزير ، وبئسَ الطعام .

أما عن جانب النحو فى نعْمَ وبئْسَ فارجع إلى J.B.Blot, Gr. Ar.5, pp. 203-4 .

(١) خير وشر يستعملان فى التفضيل على غير قياس. (المعرّب).

(٢) انظر فى موضوعه H.WEHR, Der Arabische, Elatif وقد سبقت الإشارة إليه ص١٤٢ .

الفصل الخامس

النداء

والنداء صيغة أو شكل خاص للاستدعاء يتطلب حضور منادىً ، ولما كان محدداً ، فهو إذن معرفة .

وعلامته الإعرابية الضمة ، وهو بعامة مسبوق بإحدى الأدوات ، اثنتان منها مستخدمتان عادة ، وهما : يا ، وأيّها ، (ومؤنثها : أيتها) ، وهذه الأداة الأخيرة ، وهى الأكثر خصوصية ، لا تستعمل إلا فى نداء الأسماء المعرفة بأل ، كما فى عبارة : أيها الملك اسمع ، وقد ينادى بـ (يا) فيقال : يا مَلِكُ - (دون أل)- اسمعْ ، ويقال : يا زيدُ (دون تنوين)- اسمعْ .

وقد تجىء (يا) متبوعة بمنصوب نكرة إذا كان المنادى طائفة من الناس أو الكائنات ، وهو نداء يصدق على جميعها ، كما يصدق على كل منها ، وهو يحتوى اسماً منكراً فى مثل : يا جاهلاً ، فالنداء يتوجه إلى كل الجهال ، وهو نمط خطابى . غير أن النداء بيا- فى كل أحواله -يكون فى كل المنصوب ، كلما كان المنادى مضافاً ، أو موصوفاً ، كما يقال : يا رجلاً حكيماً ، أو : يا عبد الله ، أو : يا سيدَ السماء والأرض ، أو : يا حسناً سلوكُه ، أو : يا حَسَنَ السلوكِ ، أو : يا طالعا جبلاً .

ولقد حدث نوع من التطور اللغوى ، وتنظيم الاستعمال ، فإلى جانب استعمال (يا) فى الاستدعاء الخاص بالنداء كان استعمالها فى صرخة الألم ، فيضاف حينئذ للاسم المسبوق بـ (يا) الأداة (ā) الألف ، وهى (آه/ -āh) : أى ألف مع هاء السكت فى اللغة الانفعالية (وهى ألف الندبة فى مصطلح النحاة العرب[١] ، فيقال : يا ويلتا ، ويا أسفا . ويا عجبا أو يا عجباه!! ، ويا جارتا!! . ولما

(١) وقد كانوا يستعملون أيضاً (وا... آه) فى مثل: واسوأ تاه واعجباه، واأسفاه، واذلاه واذل جاراه (وانظر : رايت : Ar.sym. p.108. II p.93 G ركيندورف).

كان الاستعمالان قد يختلطان فى موقف واحد ، فكذلك التعبير الأخير : يا جارتا ، لأن النص فى (كتاب الأغانى جـ٨ ص٨٠ سطر٢٤) يستمر فيقول :

* بِيني فإنك طالقة *

فهذه الألف (ā) التى دخلت فى النداء ، والتى صارت فتحة قصيرة فقط . لكثرة الاستعمال –قد فسرت باعتبارها علامة نصب ، ثم صارت منونة (an) ، وانتشرت كما رأينا ، حتى نطقت : يا عجباً [انظر طرفة ١٦ ، ١ ، عن . (Reckendorf Ar. S., p. 109)

لم تقتصر هذه الأداة (الألف ā) من اللغة الانفعالية –على التعجب المتألم[1] فحسب ، بل لقد فسرت على أنها شبيهة بالمنصوب : مهلاً ، ورويداً ، وهنيا ، وأهلاً وسهلاً[2] . فهذه الألف القديمة تفسر لنا وجود الفتحة (a) فى (شتانَ) ، حين يقال : شتانَ ما بيني وبينك . كما تفسر وجود الفتحة فى ربَّ ، التى كانت فى البداية تعجبية ، فى : ربَّ رجلٍ ، على معنى : يا له من رجل ، ثم صارت من بعد مجرد تعبير سردى يعنى : عدة رجال ، فالفتحة (a) فى أفعل التفضيل élatif فى تعبير التعجب : ما أكرمَ زيدا ، والفتحة القصيرة (a) بعد الفتحة الطويلة (ā) تفيد النفى أو الإنكار المطلق (nêgation absolue) ، فى مثل : لابدَّ ، ولا إله (فى الشهادة الإسلامية) . وانظر H.Wehr, Des Arabisch Elatin (مذكور ص ص ٨٠ رقم ٢) ، وأيضاً : -Starre syn taktische schemata affektische Ausdrucksf ormen in Arabischen, in ZDMG 1951 pp. 157 sq.).

---

(١) وهو أيضاً موجود فى الواقع اللهجى : يا حسرتاه (W.Marcais, le dialecte arabe parlé Telemcên, paris 1902 p.195) يا حَسْراا (H. Stumme Gr. des Tunisesch Arabisch; Leipzig, p. 149)، وفى لبنان ينطقون تعبير الترحيب: أهلاً وسهلاً (زغربًا)، فالرأى فى الفتحة الأخيرة أنها هى الألف القديمة، أو الفتحة الطويلة، وفى بيروت ينادى الطفل على أمه بطريقة حزينة فيقول: إمًّا 'ammā .

(٢) فى رأينا أن التعبيرات: سبحان الله، وسمعاً وطاعة ، ومعاذَ الله ، وما أشبهها إنما تفسر بنفس الطريقة دون إضمار فعل.

وهنا تأتى واو المعية التى تعمل النصب ، فهى ذات علاقة بالأداة القديمة (à) الألف –فى اللغة الانفعالية ./ التى كانت تضاف عند الوقف إلى الجزء الثانى من الاستفهام المزدوج فى مثل : ما أنا والمجونا؟ على معنى : ماذا أفعل مع فحش القول؟ ، فهذه الفتحة الطويلة تحولت إلى فتحة قصيرة ، فيصبح المثال السابق هكذا : ما أنا والمجونَ؟ (كتاب الأغانى جـ٩ ص١٢٠ فى نهايتها) ، وفسرت على أنها فتحة النصب ، بعد الواو ، التى استشعر أنها معادل للظرف (مع) ، ومن هنا جاء تعبير (واو المعية) ، مع مفعوله المتوهم -Pseudo Complément المنصوب . وانظر الأمثلة فى WKAS p. 4b, L/3 .

والأداة (ليتَ) يحتمل أن تكون من (رأيتَ) التى أخذت شكل ريّت ، ليّتَ[1] ، فقد أبدلت الراء لاما على رأى فليشر [انظر :-Kleinere Schsrif ten, p. 561) ، وهو تفسير مقتبس من بروكلمان (Gr. II p.30) ، فالنصب يتضح إذن بعد (ليت) بصورة عادية ، أما النصب بعد (إنّ وأنّ) ، والتعبيرات المركبة فلا مكان لمناقشته هنا .

---

(١) انظر (C.RABIN. Ancient Wesb Arabian, londres 1951, p.143) .

القسم الثانى
الجملة المركبة

تعتبر الجملة المركبة نمواً لمكونات الجملة البسيطة ، وفى هذه الجملة كانت الوظائف تمارس من خلال عنصر اسمى : اسما أو صفة أو اسم فاعل ، أو اسم مفعول ، مزود بعلامة شكلية متغيرة . أما فى الجملة المركبة فإن الوظائف تبقى كما هى ، ولكن بدلا من وجود اسم أو صفة ... إلخ وتؤدى الجملة الوظيفة : لقد تغير ببساطة البناء النحوى ، ولكن هذه الجملة تحتاج –هى أيضاً– فى أدائها لوظيفتها – إلى علامة شكلية تسمح بالتعرف على هذه الوظيفة كما هى . وهذه العلامة هى : مورفيم الجملة (أو المورفيم الجملى) .

فإذا كان تحقيق الربط – ثمت – يتم من خلال مورفيم الصيغة morphème modal الذى يخصص الفعل ، فإن لاصقة الفتحة هنا (a) فى يفعلَ –هى التى تدل على الفعل المنصوب ، ويطلق على هذه الجمل – فى مجال القواعد– لقب (الجمل التابعة) فى مقابل (الجملة الرئيسة) ، وهذه الجملة الرئيسة مكونة أساساً من المسند إليه والمسند ، وهما مكونا الجملة البسيطة ، عندما جرى تكبيرها بالمكملات فى الجمل التابعة . وعلى ذلك نستعمل غالباً مصطلح (عبارة – Proposition) ، وهو المألوف لدى كثير من المستعربين ، وهكذا نرجع إلى المقابلات المشار إليها ، وهى :

- المكمل المباشر ، وهو مقابل العبارة المباشرة المتممة للمعنى .
- مكمل الغاية أو القصد ، وهو مقابل العبارة النهائية .
- مكمل السبب ، وهو مقابل العبارة السببية .

- مكمل السلوك (أو ظرف السلوك) وهو مقابل العبارة المقارنة .
- مكمل الزمان ، وهو مقابل العبارة الزمانية .
- مكمل المكان ، وهو مقابل العبارة المكانية .

أما عن الوصف فإنه يجد معادله الجملى فى الجملة الموصولة . ولكى نجسد كل هذا النظام من المقابلات يمكن أن نتخيل ابتداء الجملة البسيطة التالية :

القائد العام (مسند إليه) وهو قائد الجيش العربى (مكمل وصفى) بعد انتصاره الباهر (مكمل الزمان) أنهى (مسند فعلى) إلى الخليفة بأسلوب لائق (مكمل ظرفى سلوكى) لينال جائزة سنية (مكمل الغاية) -خبر هروب العدو (مكمل مباشر) على إثر مناوراته الماهرة (مكمل السبب) .

ومن الممكن بعد ذلك أن نستبدل بكل هذه المكملات الاسمية عبارة تابعة Proposition subordonnèe ، فما دامت نفس الوظائف قد أديت فلابد من ذكر الشيء نفسه ، ولكن مع وسائل نحوية مختلفة ، فى هذه الجملة المركبة :

القائد العام (مسند الجملة الرئيسة) الذى كان يقود الجيش العربى (عبارة مفصولة) بعد أن حقق انتصاره الباهر (عبارة زمانية) أنهى (فعل الجملة الرئيسة) إلى الخليفة بما يليق (عبارة مقارنة) لكى يحصل على جائزة سنية (عبارة نهائية) -أن العدو هرب (عبارة متممة للمعنى مباشرة) لأن القائد قد ناور بصورة ماهرة (عبارة سببية)[١] .

---

(١) هذه الجملة المركبة نظرياً تبين ما نريد قوله، ففى مجال المحادثة قدر من المكملات والعبارات التابعة، بحيث يتوازن الحديث، أو الخطاب للحصول على نص واضح وميسر. والمسند إليه والمسند يمكن أيضاً أن يكون لهما مقابلهما، فى عبارة ما ، عبارة مكملة للمعنى، مسنداً إليه، وعبارة متممة للمعنى، مسنداً، [انظر فيما بعد ص٢٠١]- أما فيما يتعلق بالعبارات التى تعبر عن الحال فهى ليست عبارات تابعة، ولكنها جمل منسوقة، أو هى مجرد تابع من التوابع، وقد سبق ذلك فى ص ٢٦٩.

على أنه يوجد نموذج آخر من الجمل المركبة التى لا تدخل فى نمو مكونات جملة بسيطة ، ولكنها تقوم على أساس علاقة بين جملتين ، ويمكن أن نطلق على هذا النموذج من الجملة المركبة : الجملة المزدوجة . وأول ما نذكره هنا هو الجمل الشرطية ، فهى تفترض : شرطًا مصدراً بالأداة (si) –وهو (الجملة الأولى) ، ثم المشروط ، وهو (الجملة الثانية) ، ويطلق عليها (الجملة الرئيسة) .

وقد وسّعت العربية مجال الجمل المزدوجة ، غير الشرطية بالمعنى الصحيح ، والتى تأتى (مع إن . ولو) ، وهى تعالج فى الجملة المزدوجة استعمال فاء السببية ، وما يجيء بعد حتى .

لسوف نمضى إذن فى بحث العبارة الموصولة أولاً ، وهى العبارة ذات السمة الخاصة ، ثم نبحث كل العبارات المكملات propositions complé-ments التى سبق أن ذكرناها ، ثم تأتى دراسة الجملة المركبة المزدوجة .

الفصل الأول

العبارة الموصولة

الوصف قد يتم بصفة نعتية مشتقة ، وقد يكون عبارة موصولة ، ووظيفة النعت هي هي في كلتا الحالتين . والعبارة الموصولة ليست في الواقع سوى صفة تركيبية ، تبعًا لتعبير E.Benveniste[1] ، أى : إنها صفة ، لا تأخذ شكل كلمة ، بل هي مكونة من عناصر تركيبية : فالوسائط أو الوسائل النحوية تتغير ، وتبقى الوظيفة كما هي ، وهو ما ينطبق تمامًا على العربية .

والجملة أو العبارة الموصولة فى العربية ، والصفة النعتية المشتقة لهما نفس الوضع التركيبى ، فالصفة المشتقة تقع بعد الموصوف ، وتتبعه فى النوع ، والعدد ، والحالة الإعرابية ، وكذلك العبارة الموصولة بعد صدرها ، ثم إن هذه الصفة تكون معرفة أو منكرة ، تبعًا للموصوف ، وكذلك الموصول يبدو معرفًا أو منكرًا ، تبعًا للحالة التى تسبق : فبعد السابق المعرفة يكون للموصول ما يعرفه ، فالموصول (الذى) ، يعتبر على وجه الدقة – عنصرًا إشاريًا ، وهو من حيث الوظيفة يقوم بدور أداة (أداة تركيبية) ، فبعد الموصوف السابق النكرة لا يكون للموصول ما يعرفه؛ لعدم الموصول ، فوجود ، صفر ، والمثال التالى المثنى يرينا التناظر فى المعالجة ، فى كل أحوال التطابق :

---

(١) الجملة الموصولة : انظر: (Problème de syntaxe générale, BSL p,t. 53, 1 er paris 1966, pp. 208-222).
(Fasc. 1958, pp. 39-54 de linguistique gènèrale) وقد أعاد المؤلف دراستها فى كتابه : Problémes .

أولاً : فى حال التعريف :

أ ـ الصفة : الإمام العادل

ب ـ العبارة الموصولة : ضربت الرجلين اللذين جاءا .

ثانياً : فى حالة التنكير :

أ- الصفة : إمام عادل

ب- العبارة الموصولة : ضربت رجلين جاءا . [أى : اللذين جاءا]

أما العبارة الموصولة مع (مَنْ ومَا)[1] ، فكما سبق فى (ص٢٢٩) : مَنْ تعنى (celui qui) فى المذكر ، و (Celle qui) فى المؤنث ، وكذلك : (ceux qui) للجماعة ـ collectif . أما الفعل الذى تجىء (مَنْ) فاعلا له فإنه يبقى بلا تغيير أو تنويع ، فهو مسند إلى الشخص الثالث المذكر المفرد (هوَ) . وتستعمل (مَنْ) للعاقل ، و (ما) لغير العاقل ، وهو تعبير عن المحايد الذى يجعل الفعل مسندا إلى الشخص الثالث المذكر المفرد ، دون تغيير[2] ، وسوف نجد أمثلة لذلك فى الفقرة التالية[3] .

الضمير الرابط ـ le pronom de rappel ، وله حالات :

---

(١) يمكن الاستمرار فى البرهنة التى بدأناها من قبل فى موضوع الموصول (الصفة التركيبية) ، ولكنا هنا -لما لم يوجد سابق على الموصول صريح فيجب أن تعتبر من وما (وكذلك الذى فى المذكرة رقم٢) فى وظيفة الأداة التركيبية ، محددة للجملة الوصفية ، كما هى حال الأداة الموضوعة أمام صفة اسمية - un adjectif pour la substantive فى الفرنسية ، مثل : Le bon, Le bien, Le mauvais ولن ندخل فى هذا الاستطراد.

(٢) تجتمع (الذى) مع معنى (ما) ؛ مثل : (إن الذى طلب الأميرُ ليس عندى) [كتاب الأغانى - ذكره بلاشير § ٢٧١ ، وكذا فى (مجانى الأدب) للأب لويس شيخو جـ٢ صـ١٣ سطر ١٧ ، وصـ٢٦ سطر ١٧ .

(٣) قد تستعمل الذى ، والتى ، والذين ، بمعنى : (celui qui) ، و (celle qui) ، و (Ceux qui) ، فى مثل : ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ [فصلت : ٢٦] .

أ ـ في بناء عبارة الصلة مع (الذى) :

في عبارة الصلة المعرّفة لا يلزم الرابط ، كما يقال : المال الذى تشتهيه نفسك- أو (تشتهى) .

فأما إذا كان السابق على الموصول مكملا مباشرا فى عبارة الصلة المنكرة ، فلابد من ربط الموصوف بضمير متصل ، كما يقال : رأيت رجلا أعمى يقوده شاب .

وأما إذا كانت عبارة الصلة مع (مَنْ) أو (مَا) ، أو (الذى) بمعنى (ما) -فإذا كان الضمير مكملاً مباشراً فإن رجيس بلا شير يرى «أن الربط كان نادراً فيما قبل العصر الكلاسيكى[1] ، وكان كثير الوقوع بعكس ذلك فى العصر الكلاسيكى ، ويبدو أنه صار القاعدة العامة فى العصور اللاحقة» ، وهذه بعض أمثلة ننقلها عن رجيس بلاشير : (إنه بما تعملون بصير) [فصلت :٤٠] . و(ندم على ما قاله لمروان) [كتاب الأغانى] . و (ففضل من فضله وأَسْقَطَ من أسقطه) [الأغانى] .

و (فقال يعتذر من الذى قال فى عائشة) [ابن إسحاق فى الأغانى] .

ب ـ الموصول لا تعمل فيه أداة جر ، فهذه الأداة تأتى بعد الموصول ، حيث يلصق بها ضمير رابط ، كما فى قولهم : (التاجر الذى عنده البضاعة) ، فأما عن الحالة الخاصة التى يمكن فيها تجاهل الأداة وضمير الربط فيرجع إلى بلاشير ـ المرجع السابق § ٤١٨ .

جـ ـ الموصول لا يكون اللفظ الثانى فى الإضافة ، فالإضافة داخلة على ضمير الربط المتصل ، الذى يشير إلى السابق على الموصول ، وذلك مثل الجملة الفرنسية : (J'ai vu l'enfant dont le père est mort) فعبارة (dont le

(١) لمعرفة ما يقصد بلاشير بعبارة (العصر ما قبل الكلاسيكى) انظر فيما بعد: ص ٣٠٢ رقم١ .

(le père duquet) = père) ، ويضاف (le pére) [اللفظ الأول] إلى [اللفظ الثانى] وهو الضمير المتصل (hu - o) وكل ذلك بعد الموصول ، ومثاله فى العربية : (رأيت الولد الذى مات أبوه) .

ملاحظات :

أ ـ لا يوجد موصول فى تعبيرات مثل : (المقيمو الصلاة) أو : (الجميلو الوجه) . وانظر فيما سبق ص ٢٥٩ ، وهما بالفرنسية مع جملة الموصول : (celui qui est beau de و (Ceux qui acoomplissent le prière) . visage)

بيد أن المهم هو بكل بساطة الأداة (ألْ) التى تقع فى الجملة التالية ، والتى تؤخذ ككل .

ب ـ أما فيما يتعلق بالعبارات الموصولة ذات السابق المعرفة ، والتى لا تشتمل على اسم موصول (انظر بلاشير § ٤١٤) - ففى رأينا أن هذه الجمل لا علاقة لها بالموصولات .. بل هى إلى تعبير (الحال) أقرب ، كقوله تعالى : ﴿ **كمثل الحمار يحمل أسفاراً** ﴾ [الجمعة : ٥] ، وتقدير الموصول (الحمار الذى) يحمل أسفاراً . ومن الممكن أن نلمح فيها - (على ما ارتآه بلاشير § ٤١٤ب) مجرد عطف بيان أو بدل من الجملة ، كما جاء فى القرآن [النساء : ١٦٩ـ١٧١] وذكره بلاشير فى المرجع السابق .

الفصل الثانى

العبارات التكميلية

أ- المكملات المباشرة :

تركيب هذه العبارات تحكمه اعتبارات طبيعة الفعل الموجود فى الجملة الرئيسة .

أولاً : بعد فعل يدل على عمل راجع إلى الإرادة : كالمشيئة Volition والسماح permission ، والرفض refus ، والنية intention ، والالتماس requêts ، والتكليف obligation ، والتوافق convenance ، والجهد ef-fort ، والأمل espérance والحزن regret ، والخوف crainte .

ويكَمِّلُ مورفيم الجملة : أنْ (an') بمورفيم الصيغة : الفتحة /a- بالنسبة إلى الفعل ، وهذا الفعل المنصوب يقع مباشرة بعد /an' أنْ[1] ، مثل : أريد أن تنوب عنى ، ومثل : سألهم أن يناولوه سوطه ، ومثل : أرجو أن تساعدنى .

ثانيا : وبعد فعل يعبر عن العلم والملاحظة constatation ، والتقدير estimation ، والإعلان dèclaration[2] ، -يكون مورفيم الجملة هو أنَّ ، داخلة على اسم (أو ضمير متصل) pronom affixe – فى حالة النصب ،

---

(١) على ما أشار إليه رايت (II p.25 D)، فالفعل التام قد يلتقي مع نظيره إذا أريد تفسير الحدث وقد انتهى حالا، كما يقال: (إنه تعالى كمَا قدَرَ أن أحياها أولا قدر أن يحييها ثانيا)، لكن ذلك حالة غير شائعة.

(٢) أما عن أفَعال المقاربة verbes d'imminence، فيقال فى إيجاز: كاد يقوم، وأوشك أن يقوم، وانظر: رايت II p. 106، وبلو: Gr. Ar5 § 203, et MUSJ,t. XLIII (1968) p.265

ويكون الفعل غير تام مرفوعاً ، أو تاماً ، تبعاً لما تقتضيه صورة الجملة ، وهو يأتى دائماً بعد اسم أنَّ ، فى مثل : اعلمْ أن الحداثة لا تدوم ، ومثل : ظنوا أن لصاً دخل ، ومثل زعموا أنه كان يصوم يوما فى كل أسبوع .

وشذ عن ذلك حالات : فقد وردت أمثلة لأفعال إرادية بعد أنْ ، وهى مرفوعة ، وذلك كما فى قراءة مجاهد للآية [٢٣٣] من سورة البقرة : ﴿ لمن أراد أن يُتمُّ الرضاعة ﴾ ، وهناك من ناحية أخرى استعمالات لأفعال ملاحظة (verbes de constation) مع (أنْ) ، وما بعدها مرفوع ، بدلاً مما تعودناه من (أنّ) واسمها فى حالة النصب . فأما الأفعال الأولى فإنها لم تلفت انتباه النحو الأوربى ، ولكنها كانت موضوع مناقشة لدى النحاة العرب . وأما الأفعال الثانية فقد ورد ذكرها فى ذلك النحو ، كما تعرض لها بالمناقشة النحاة العرب .

هؤلاء النحاة يقبلون التركيب بعد أفعال الملاحظة ، التى يطلقون عليها : أفعال العلم (اليقين) ، وهم يرون حينئذ في (أنْ) شكلا مخففا من أنّ ، فهى (أنْ) المخففة من الثقيلة ، ولكنهم يضعون لها شروطاً : وجود أداة للنفى (لا ـlā) أو السين sa- وسوف للمستقبل ، أو المقاربة l'atténuatif : (كاد) بين (أنْ) والفعل غير التام مرفوعاً . ومن الأمثلة الآية (٢٠ من سورة المزمل) : (عَلِمَ أنْ سيكونُ منكم مرضى) ، وهم يضعون فى مقابل هذه الأفعال اليقينية أفعال التقدير : ظنّ ، وحَسِب ، وخال ، ورأى (بمعنى حكم واعتقد) .

إن تأكيد الواقع الثابت قد يغلب فى ذهن المتكلم فتصير هذه الأفعال أفعالاً يقينية ، فتعمَل عملها ، كما جاء فى الآية (٧١) من سورة المائدة : ﴿وحسبوا ألا تكونُ فتنة﴾ [فى قراءة أبى عمرو ، وحمزة ، والكسائى ، ويعقوب] ، فإذا غلبه الشك استعمل الفعل حينئذ منصوباً ، دون التفات إلى الأدوات ، كما يقال : ظننت ألا تفعلَ ذاكَ ، وهو ما ورد أيضاً فى النص القرآنى السابق ، تبعاً لقراءات أخرى : وحسبوا ألا تكونَ فتنةٌ ، وانظر كذلك الآية (٢٣٠) من سورة البقرة : ﴿ إنْ ظنَّا أنْ يقيما حدودَ الله ﴾ .

وانظر أخيراً ابن مالك فى ألفيته ، فى البيت (١٩٥) بشرح ابن عقيل ، بمناسبة أفعال اليقين ، وهو يقرر غيبة الأدوات المذكورة ، مع أنه يرى أن حضورها أحسن وأفضل ، وقد روى عن أحد الشعراء أنه قال :

علموا أن يؤمّلون فجادوا　　　قبل أن يُسألوا بأعظم سُؤْلِ[1] .

ثالثاً : الحذف l'asyndète بعد فعل من أفعال الإرادة . ففى حالة الحذف يصبح مورفيم الجملة صفراً : فـ (أن) ليست منطوقة ، و (يفعلُ) ، المرفوع ، يأتى عادياً ، ومفضلاً على (يفعلَ) المنصوب [انظر لين lexicon ، الأداة أنْ ص ١٠٤٢] ، والحذف قليل الاستعمال فى النصوص ، ولكن صاحب تاج العروس (جـ١ ص٦٢٦ سطر ٢٦) يذكر أنه كان استعمالا لهجياً ، منتشراً فى الحجاز ، وقد كان الحذف فاشيا أيضاً فى السامية القديمة [انظر بروكلمان (Gr., II, § 339 et 340) ، وهو ما زال حيا فى المستوى اللهجى فى العربية المعاصرة (السابق § 337b) ، ومن الأمثلة فى العربية الفصحى [الآية ٦٤ سورة الزمر] : ﴿ **قل أفغير الله تأمرونى أعبُد** ﴾ ، وكذلك ما جاء فى [ابن سعد ـ الطبقات جـ٢ صـ٧٠ سطر ٤] من قوله : (فلما أرادوا يَقْبُرونَهُ) ، وهناك أمثلة أخرى فى كتاب بروكلمان G.r, § 337a - ، وركيندورف (Ar. syn., 383) .

وقد درسنا مسألة أن الناصبة والرافعة فى مقالنا المنشور فى بروكلمان (Gedachtnisband/ : بعنوان (yaqtula cananéen et subjonctif arabe) وسنجد فيه ما يلزم من توثيق ، وما حدث من تطور ، لا موضع لمناقشته هنا .

---

(١) يرى النحاة العرب رفع غير التام هنا قولا واحدا: لا يُقالُ : علمت أن يقومَ زيد (البيضاوى جـ١ صـ١٢٠ سطر ٢٤) ، فهم يرون أن علِمَ فعل من أفعال اليقين ، وهو ينفى النصب .

وفى رأينا أن صيغة (يفعُلَ) المنصوبة فى العربية هى إنشاء حديث فى السامية الغربية . وقد مضى زمن كان العرب فيه ، كلهم أو جماعات منهم ، يستخدمون صيغة (يَفعُلُ) فى وظيفتى المرفوع والمنصوب دون تفريق ، واستمر بعضهم على هذا الاستعمال ، وكانت حالة النصب قد انتشرت فى اللغة العربية ، إلى حد أن تفردت وكأنها هى الأصل ، بيدأنها لم تستطع أن تبعد الحالة الأخرى إبعاداً كاملاً ، فاحتفظت بها فى نفسها فى صورة بقايا ، فلا مجال لافتراض أن (أنْ) المخففة هى استحداث منهجى قدمه النحاة العرب ، وهم الذين لم يكن لديهم أدنى معرفة بالنحو التاريخى : فرفع الفعل بعد (أن) هو من البقايا القديمة ، وهو يمثل نوعاً من إدخال نظام الفعل المرفوع والوحيد (يفعلُ) فى نظام أكثر حداثة يقابل المرفوع (يفعل) بالمنصوب (يفعل) . على أنه من المفيد أن نلاحظ أن المرفوع يستخدم عادة لأداء وظيفة المنصوب فى حالة الحذف . l'asyndète .

ملاحظات :

أ ـ هناك عبارة يمكن أن تؤدى وظيفة المسند إليه[1] ، كما يمكن أن تؤدى وظيفة المسند ، والمعالجة العامة التى رأيناها من قبل تغنى أيضاً عن هذه العبارات . فعبارة المسند إليه مع فعل إرادى (وهو هنا إلزام) ، مثل : (وجب أن تخرج) وعبارة المسند إليه مع فعل ملاحظة مثل : (مما يدل أنْ .. أنّه) [الحماسة ٤٠ ، ١٢ ، ذكره ركيندورف : synt. verh p.567] ، وانظر أيضاً الآية ٣٩ من سورة فصلت[2] ، ومن اللغة الأكثر حداثة مثالى ابن خلدون [بلاشير § 426, III] ، ولكن يمكن أن نجد (أنْ) فى الطبرى (ركيندورف synt. verh, p565, L. 16) ، وانظر فيما بعد (ص ٢٠٢ ، سطر ٢٣ وما بعدها

(١) هنا تستعمل لَنْ بمعنى لا + أنْ، وقد تكون (لا) فى قيمة فعل ناف (مثل: ليس)، وضمت إلى أن، فصارت: لَن (وهو نفى قوى، يجىء بعده منصوب، ويدل النص على المستقبل، مثل: لن يدخل.

(٢) هى قوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة». (المعرّب).

ص ٢٠٢ ، سطر ٢٣ وما بعده) فى (طَالَ) ... إلخ ... . والجملة المسند إليه مع (أن) أو (لأن) قد تُرَى بخاصة فى أفعل التفضيل مثل : لأن يذهب حق هذا أحب إليه من أن يلحن[1] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأن تصبروا خير لكم** ﴾ [النساء : ٢٥] .

أما العبارة فى موقع المسند : مع (أنْ) للتعبير عن الرأى فيما يجب عمله ، فمثل : (فالرأى أن تغزوهم فى بلادهم) ـ (ابن قتيبة) ، وتأتى فى أسلوب الملاحظة صيغة : وذلك أنَّ– التى تدخل فى بيان شيء .

ولمزيد من التفاصيل انظر (R.Bla chère §§ 426 et 427) .

ب ـ حذف حرف الجر قبل (أنْ) : فعندما يكون الفعل الإرادى متعدياً بوساطة حرف الجر ، فإن حرف هذا الفعل يوضع عادة قبل (أنْ) ، فيقال : أمره بأن يخرج ، وما استطعت على أن أتحرك . ويمكن حذف حرف الجر ، فيقال : أمره أن يخرج ، وما استطعت أن أتحرك .

ويرى ر . بلاشير (المرجع السابق 430 §) أن الأصل أن يجرى هذا الحذف مع جميع الأفعال ذوات المصدر غير المباشر ، وهو لا يحدث فى الواقع كثيراً إلا إذا سبقه قول أساسى : فكرة ذات قوة ، أو جدارة ، أمر ، أو نهى ، أو خوف ، أو جهد .

جـ ـ العبارة مع (أن) هى معادل لاسم مكمل غير مباشر ، وقد سبق أن أشار رجيس بلاشير فى الفقرة السابقة ، بمناسبة حذف حرف الجر قبل (أن) –إلى أن ذلك يحدث عندما يحل محل الاسم المكمل غير المباشر عبارة مع (أنْ) ، حين يكون هذا الاسم مصدراً ، أى : اسما يعبر عن حدث (action) ولكن المعادل قد يصدق أيضاً على اسم معبر عن الحال ، بشرط أن تستخدم

(١) لهذا المثال فائدة الإشارة إلى مقارنة ثابتة بين لفظين احتوتهما جملة (أن) ومعها المنصوب ، وقد وجدت فى مختار المرزبانى. انظر (Travaux et Jours, no 12, p. 44, n1).

(أنّ) فى الجملة الاسمية ، كما يقال بالنسبة إلى اسم الحدث : حزنت من السفر ، وحزنت من أن أسافر ، ويقال فى اسم الحال : حزنت من مرض أخيك ، وحزنت من أن أخاك مريض .

د ـ ما المصدرية ، أى : (ما) التى بمعنى (أنْ) ، لإدخال مكمل مباشر ، وقد ساق (المفصل ص٥٧١) البيت التالى (وهو هنا مع مكمل مسند إليه ـ (complètive Sujet- :

(يسر المرءَ ما ذهب الليالى)

ومعناه (يسر المرء أنّ الليالى ذهبت) .

هذه الـ (ما) المصدرية أقل استعمالا من أنْ فى التعبير عن هذه الوظيفة . ولكن مع الأفعال : طال ، وكثر ، وقَلّ -كثر استعمال (ما) أكثر من أنْ ، للتوصل إلى المكمل ، (وهو هنا مكمل مسند إليه) ، فيقال طال أن ، أو طال ما ، وطالما ، ويقال : كثر أن ، أو كثر ما ، وأيضاً : قل أن ، أو قل ما وقلما . فالجملة التى كانت فى البدء تعجبية صارت خبرية[1] ، وذلك نحو : قلما يخطىء ، وقد طالما سألتك . (ركيندورف synt. verh. pp. 568-9) .

والأصل أن (ما) المصدرية موصول محايد (مشترك) – ما[2] .

وهذه الـ (ما) قد توجد أيضاً موازية لـ (أنْ) ، وقد لا توازيها فى تكون ظروف الزمان ، أو الظروف السببية ، أو المقارنة ، على ما سنراه فيما بعد فى (ما) الظرفية الزمانية (ص ٢٩٧) .

---

(١) ويقال أيضاً: كثيراً ما، وقليلاً ما، فى مثل: كثيراً ما يعملون كذا.

(٢) قارن فى اللاتينية: quod، ضمير الموصول المحايد، واللاتينية الكلاسيكية تستعمله فى بعض الحالات للتوصل إلى مكمل مباشر، ولا سيما بعد فعل يعبر عن عاطفة، وقد عممت اللاتينية الشعبية الاستعمال، dico quod بمعنى (je dis que: أقول إن)، فقد أعطت quod إلى الفرنسية الاسم الموصول que.

هـ ـ وجمل الاستفهام غير المباشر ليس لها ملمح خاص ، ذلك أن الجملة الاستفهامية المباشرة تصبح متعلقة فقط بأخرى رئيسة كما فى هذا البيت الذى ذكره الأب لويس شيخو فى مجانى الأدب ، (جـ٢ صـ١٢٦ سطر ١٤) :

ولست بسائل ما عشت يوما   أسارَ الجندُ أم ركب الأمير؟

(فالاستفهام هنا مزدوج) . وهناك أمثلة أخرى عند (بلاشير : 404 § ، وابن سعد فى الطبقات جـ٢ ، ١ ، ص٥ سطر ١١ ، وص٨٤ سطر ٢٦-٢٧ ، صـ٨٦ سطر ٢٤ ، ونولدكه - Delectus, p. 3v.10) .

ب - العبارات الأخيرة :

أما بالنسبة إلى العبارات الأخيرة فإن مورفيم الجملة هو (لـ) ، و لأنْ ، وكَيْ ، ولكيْ (وأقل ورودا من هذه : كيما ، ولكيما) ، وحتىَ [1] [pour que, afin que] ، والنفى مستفاد من لا : لئلا ، (وهى مساوية لـ : لأن لا) ، وكى لا ولكي لا . وقد استكمل مورفيم الجملة بمورفيم الصيغة : الفتحة فى الفعل المنصوب وهذا الفعل المنصوب يأتى مباشرة بعد المورفيم المتصدر le morphème initial ، مثل : جربتُ الناس لـ (أو لأن) أعرفهم ، ومثل : ادرسْ كى (ولكى) تتعلمَ ، ومثل : لم نشتغل بذكر ذلك كيلا يطول الكتاب .

ملحوظة : يمكن للفعل غير التام الذى رأيناه فى (ص ٢٦٩) يحل محل اسم الفاعل للتعبير عن الحال ، بعد فعل من أفعال الحركة -أن يدل على الغاية ، كما فى قولنا : ذهب ينام .

جـ - العبارات السببية :

هذه العبارات السببية لاتحتوى إلا على مورفيم أصلى للجملة : لأنّ ، وإذْ

---

(١)انظر فيما بعد ص ٣١٥ ، آخر الصفحة.

ـ التى كانت أصلاً ظرفية زمانية ، وهى تلتقى مع معنى (لأنّ ، أو علْماً بأن) ، فيقال : هرب لأنه خاف ، وأيضاً : أنت إذ لم تصلحى لأبيك لا تصلحين لى [بروكلمان Gr. II p. 595 fin] .

ملحوظة : تستخدم أيضاً الأداتان : إذ إنّ ، وبما أنّ ، وهما من الأدوات الأكثر حداثة . أما عن (حيث) السببية ، فانظر فيما بعد ص٢١٠ .

د ـ العبارات المقارنة ـ propositions comparatives

عرفت العربية وسائل مختلفة للتعبير عن المقارنة من خلال فعل ، أو بدونه ، وقد رأينا (ص ٢٦٥) استعمال المكمل المباشر الداخلى complé- ment d'objet interne ، ولكن مع حرف الجر : كاف التشبيه الذى يفيد المقارنة بخاصة ، فهذا الحرف يمكن أن يعبر عن المقارنة المستمرة فى المكمل السابق كما فى قولهم : تمشى كمشى النزيف (WKAS, p. 1a l. 5a.) ، أى : كمشى السكران . وقد استخدم هذا الجار كثيراً فى أبنية مختلفة ، مثل : (والسفاهة كاسمها) ، [المرجع السابق p. 1b, l.11][1] ومثل : لم يلْفَ فيهمُو كبِشْرٍ [السابق p. 1b,. l3 a.f.] ومثل : إنى كأطَبِّ الرجال [السابق p.la, l 19] وكذلك كونوا كما أنتم [السابق p.9a l.5] .

وقد بنت العربية بدقة من كاف التشبيه : كـ + ما – مورفيم جملة مقارنة ذات استعمال شائع ، ومن ذلك الصيغة المستعملة لرواية أقوال شخص ما ، مثل : (أو كما قال) ، ومن الأمثلة : ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ [القصص : ٧٧] ، ومثل : ﴿ **فيحلفون له كما يحلفون لكم** ﴾ [المجادلة : ١٨] ، ومثل :كما هى مفتقرة إلى المحدث [WKAS p. 8b l. 18]

---

(١)انظر فى هذا النوع من التعبير دراسة شبتالر: الصبر كاسمه... [Ein Beitrage Zur arabso-hen phrase ologie Festschrift für otto spies, wiesbaden, 19 6G7, pp. 634-656] .

وكـذلـك : كونوا كما أنتم [السابق p. a l.5] .

أما (كأنْ) ، وهى غالباً (كأنّ) (وكأنما) - فإنها تأخذ معنى التشبيه الشرطى (Comme si) ، مثل قوله تعالى : «كأن لم تكن بينكم وبينه مودة» [النساء ٧٣] . وقوله : ﴿ **ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا** ﴾ [لقمان : ٧] . ومثل : كأنما هن القشور [WKAS, p.5 a, l 2a p] .

وتستخدم العربية أيضاً أسماء مترادفة : مِثْل ومَثَل :

أ - فتأتى (مثل) مجرد بدل أو عطف بيان كما فى قوله تعالى : ﴿ **ما أنت إلا بشر مثلنا** ﴾ [الشعراء : ١٥٤] ، وقوله : ﴿ **فلنأتينك بسحر مثله** ﴾ [طه : ٥٨] .

ب - وتأتى كاف التشبيه مقترنة بكلمة مثْل :[1] كَمِثْل ، فى قـوله تعـالى : ﴿ **ليس كَمِثْله شىء** ﴾ [الشورى : ١١] .

جـ - وأخيراً صيغة مَثَل ، وكَمَثَل ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **فمَثَله كَمَثَل صفوانٍ عليه تراب** ﴾ [البقرة : ٢٦٤] [2] .

وتستخدم اللغة الحديثة (مثْلَ) منصوبة acausatif de manièrs باعتبارها أداة جر ، فصاغت منها مورفيم الجملة المقارنة (مثلما : de même que) .

هـ - العبارات الظـرفية الزمانية les propositions temporelles

---

(١) هناك أيضاً: كَمَثَل -فى الآية ١٦ من سورة الحشر.

(٢) وقد تأتى (كما) فى موضع (كذلك) فى الجملة الرئيسة، على ما ذكر فى (مجانى الأدب) للأب لويس شيخو (جـ٢ صـ٥٢ سطر ١٥-١٦) ولكن دون إشارة إلى قائلها، وقد استعملها عبد القاهر الجرجانى فى (دلائل الإعجاز) صـ١٢٥ سطر ١٤-١٥ [ط. القاهرة ١٣٢١ هـ].

أولاً : لمّا ، إذ ، إذا .

أما (لما) (quand, lorsques) – فهى مورفيم جملى لعبارة ظرفية زمانية تذكر واقعاً غير افتراضى ، ماضياً ، مترتباً على الجملة الرئيسة ، ولذا يجىء بعد (لما) دائماً فعل تام ذو معنى منته ، باعتباره نتيجة (résultatif) أو يكون مجرد زمن للقصة : كقوله تعالى : «فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض» [البقرة ٣٣] ، وكقولهم : لما كان بناحية اليمامة كتب . [ركيندورف Ar. s. § 245, 20] . وذكر أيضاً فى كتابه synt) (Verh. p. 657 (إذ) [alors que quand] [1] تدخل كذلك فى العبارة الظرفية ، فى حين أن (لما) تبرز بصورة أكثر وضوحاً التناقض الظرفى فى أصل هذه العبارة ، فى مثل قوله تعالى : ﴿ **كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : اكفر ، فلما كفر قال** .. ﴾ [الحشر : ١٦] .

أما (إذا) فعلى العكس ، فهى تأتى زمانية مثل إذ ، وقد فقد وضوحها فى الإشارة إلى (لحظة) الحدث procès ، فهى تستعمل مع التام عندما لا تكون هذه اللحظة محددة ، وحينئذ قد يتكرر الحدث ، وهو ما يؤدى إلى فكرة الاحتمال والتوقع ، وللأداة صورتان : إذا ، و (إذا ما – التى ترد فى الشعر بخاصة) ، وهى بمعنى (lorsque, toutes les fois que si) وبذلك تشبه أدوات الشرط ، وتليها جملة مزدوجة ، فإذا كان الحدث فى ذاته موضع شك ، أو افتراضياً _استخدمت معه (إنْ) (si) ، لتفيد الاحتمال البعيد .

أمثلة : أ ـ فى الحال : قوله تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ﴾ [الأنفال : ٢] ، ومثل : إذا دخل بيتاً يصلى حيث شاء (ركيندورف فى كتابه : Ar. s., § 235, 2°) ، ومثل : إذا كثر الدخول والخروج تهشمت الأبواب (الجاحظ نقلاً عن بلاشير 459b §) .

(١) تستعمل (إذ) (alors que) مع الفعل التام أو غير التام، أو حتى فى الجملة الاسمية فى مقابل (إذا) [ركيندورف Ar. S. §239]، وصار لـ (إذ) معنى سببى sens causal – [بلاشير السابق 460، وانظر بعد ص 204].

ب ـ وفى الماضى مثل : كان النبى إذا خطب يقوم إلى جذع منها ـ (ركيندورف السابق) .

جـ ـ وفى المستقبل يكون بمثابة التوجيه ، مثل : إذا كان منها قريباً كاتب جعفراً (ركيندورف السابق)(١) .

ثانياً : التعبير عن التناقض الزمنى : وفى العربية مجموعة متنوعة

من مورفيمات الجملة تتيح لها بيان الأوضاع المختلفة للزمن بالنسبة إلى الجملة الرئيسة ، وذلك بوساطة عبارات زمنية des propositions tempo-relles ، مثل : قبل avant ، وبعد après ، وبينما pendant ومنذ de-puis ، وإلى أن jusqu'à :

أ ـ قبل أن ، ومن قبلِ أنْ ـ مع التام ، أو غير التام المنصوب تبعاً لما يتطلبه شكل الجملة ، وتأتى (قبلما) بخاصة مع التام ، وقد يجىء معها غير التام المرفوع ، أو تعبير اسمى ، فى مثل ما ساقه [بلاشير ص 45^{o} ، وركيندورف Ar. S., § 249] .

---

(١) تأتى (إذا) أحيانا مع غير التام المرفوع، كقوله تعالى فى سورة القصص ٥٣ «وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به» ، وقوله فى سورة مريم ٥٨ «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا» ، [وأورد ركيندورف ثلاثة أمثلة أخرى فى Ar. S., 235, 5^{o}]، وأورد كذلك أمثلة لغير التام المرفوع مع إذا ما فى [syn. verh. § 207 B].
أما (إذ) فيبدو أنها مشتقة من عناصر إشارية ، من حيث دلالتها أصلاً على معنى الحين (alors) [انظر ما سبق ص ٢٢٦] . فبدت فى العربية باعتبارها اسما، وعولجت علاج الاسم فى التراكيب (حينئذ ، ووقتئذ ، فهى حرفياً بمعنى au temps d'alors ، مضافة ، وأما (إذا) فقد جاءت فى موقع المنصوب، واستعملت اسم زمان، على نمط: حين، ويوم [انظر فيما بعد ص ٣٠٠].
ويقرر ابن فارس فى كتابه (الصاحبى ص٨٤ سطر ٥-٦، ط بيروت ١٩٦٤/١٣٨٣)- برهانا على اسمية (إذا) أن من الممكن أن يقال: القتال إذا يقوم زيد، فكأننا قلنا: القتال يوم يقوم زيد. وفى رأينا أنه لا مجال للبحث عن أصل آخر لورود غير التام المرفوع بعد (إذا) .

وتأتى: بعد أن (من بعد أن) أيضاً مع التام أو غير التام المنصوب ، كما تأتى (بعدما) مع التام ، لكن غير التام المرفوع ليس نادراً ، والأمثلة فى [ركيندورف السابق 246 §].

ب ـ بينما (أو اختصاراً: بينا) ، وتأتى مع غير التام المرفوع أو مع تعبير اسمى ، والأمثلة فى [ركيندورف السابق 244 §] أما عن (بينما ... إذ) فانظر بلاشير 4606 § ، وركيندورف السابق 24450 § ونولدكه § Zur Gram. 84. وأما عن (ريث ، وريثما) فانظر [ركيندورف السابق 252 §].

وتأتى أيضاً: (فيما) و (عندما) فى عربية الصحراء ، والأولى نادرة ، والثانية شائعة ، وإن لم يظهر لها شواهد [ركيندورف السابق 241 §].

وهنا تأتى (ما) الظرفية بمعنى (tant que, aussi longtemps que) متبوعة بالفعل دام (فى الماضى) ، فى مثل قوله تعالى: ﴿ **وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم** ﴾ [المائدة: ١١٧] أو متبوعة بفعل آخر تام [ركيندورف السابق § 243,2°] ، وقد مضى مثال لها فى ص ٢٠٣.

جـ ـ (منذ ، ومذ) مع التام ، والأمثلة فى السابق 248 § وفى بروكلمان Ar. Gr12 § 154 e.

د ـ (إلى أن) أو (حتى) مع التام أو غير التام المنصوب ، حسبما يقتضيه شكل الجملة ، والأمثلة فى [ر.كيندورف السابق 251 §] للأداة الأولى ، وأما امثلة الثانية فهى فى [بلاشير 438 §].

ثالثاً: التعبير عن الزمان بالإضافة:

وللعربية وسيلة خاصة للربط بين حدث ما فى عبارة ما ، والزمن الذى وقع فيه الحدث . وهنا لا يكون الأمر متعلقاً بمورفيم الجملة ، إذ لا مكان لتبعية معينة ، لأن اللغة العربية تستخدم فى الواقع طريقة الإضافة ، أعنى: إضافة اسم الزمان إلى الجملة التى تذكر الحدث ، وما كانت هذه الإضافة ممكنة إلا لأن

هذه العبارة معتبرة ككل ، من الناحية المعجمية ، فهى وحدة جديدة تعامل باعتبارها اسماً ، ولها الصلاحية التى تملكها كل عبارة لتعتبر اسما ، وهذا هو جانبها المعجمى[1].

إن تظريف الجملة localisation dans le temps ـ يتم بوساطة استخدام اسم زمان منصوب ، وهو (مكمل الزمان) [انظر فى ذلك ما سبق فى ص ٢٦٦][2]. هذا الاسم ، وهو اللفظ الأول فى الإضافة ، ليس به أداة تعريف ، شأن كل اسم فى موقعه [انظر قبل ، ص ٢٥٨]. أما اللفظ الثانى فى الإضافة (فى العبارة المحولة إلى الاسمية) فإنه يلى مباشرة اسم الزمان ، تبعاً لما تتطلبه الإضافة. أما الجملة فقد تكون فعلية أو إسمية.

وأسماء الزمان المستعملة على هذا النحو ، هى: يَوْمَ ، وليلةَ وساعةَ ، وأوانَ ، وزمنَ أو زمانَ ، ووقتَ ، وحين (بخاصة) ، ولسوف نجد لـ (حين) أمثلة كثيرة لدى [ركيندورف Ar. S., § 190, 2^0, § 240] وهكذا يورد فى الفقرة الأولى: ليلةَ صاحوا ، وعلى حين لا أمشى ، ومن حين يخرج من بيته ، وقوله تعالى: ﴿ **حينَ يرَوْنَ العذابَ** ﴾ [الفرقان : ٤٢].

ومع جملة اسمية ـ فى مثل قوله تعالى: ﴿ **يومَ هم بارزون** ﴾ [غافر : ١٦] ، وزمانَ الحجاجُ أميرٌ ، [ركيندورف السابق § 190, 2^0].

أما فى اللغة المعاصرة فقد صارت (حين) أداة ربط بين جملتين une conjonction ، فيقال أيضاً (حينما) ، وبقيت: فى حين أن ، أو فى حينِ ـ (على ما هى عليه فى الفصحى) [انظر هانزفير - Ar. Wörterb Ed.. angl, p. 223].

---

(١) انظر دراستنا عن: الجانب المعجمى فى جملة العربية الفصحى (روما ١٩٥٢) Analecta bibli-ca, 12, III, pp. 78-94.

(٢) قد يتدخل حرف الجر أيضاً، كما سنرى فى الأمثلة.

أما عن العبارات الموضعية فإن مورفيم الجملة هو (حيث: là où) مقترناً بحركة مادية أو بدونها (وهو يقابل فى اللاتينية ubi و quo) ، فيقال: وحيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم ، [ابن قتيبة ، نقلاً عن بلاشير b 462 §].

ويقال: ليذهبْ حيث أحبّ [ركيندورف Ar. S., § 190, 30] وقد يدخل حرف جر فيقال: يأتى الموت من حيث لا ندرى.

إن العبارات الموضعية تبدو وكأنها متعلقات بموصول ظرفى (relatif ad-verbial) ، وحتى كادت تتضمن ضميراً يربطها به (pronorn de rap-pel) [انظر ما سبق رقم ١] ، لكنها ليست متعلقات حقيقية؛ فـ (حيث) ـ فى الواقع ـ بالضم الذى بنيت عليه ، وبموضعها الظرفى [انظر ما سبق ص٢٢٥] ـ تحتاج إلى تحديد خاص يجعل منها مورفيم جملة حقيقياً ، على حين أن الموصول ليس سوى ضمير إشارى (تبعاً لأداته التركيبية En fonction d'article syntaxique).

ولقد حدث انتقال من الموضعية المكانية إلى الموضعية الزمانية ، فـ حيث تدل على معنى: فى حين أن (alors que) ، أو عندما (lorsque) [ركيندورف السابق 242 §] ، ثم تدل على علاقة سببية (rapport de cause) فتكون بمعنى (لأن) (parce que) [ركيندورف السابق ,242 § 1°] ، وبروكلمان Gr., II § 343 b] ، وهى فى اللهجة اللبنانية: بِحَيْس ، وبِحَيْس .

ولعلنا نلاحظ التعبير: (من حيث) (١) متلُواً باسم مرفوع ، حين يقال : من حيثُ الحكمةُ .

---

(١) تتضح حيث من الناحية الاشتقاقية بوساطة بعض العناصر الإشارية [انظر ما سبق ص ٢٢٥]، ونحن نفصل هذا الرأى على ما ذهب إليه بروكلمان فى (Gr., II, § 253 b) الذى يريد أن يفترض لها اسماً قديماً (غير موجود).

الفصل الثالث

الجملة المزدوجة

الجملة المزدوجة تنشىء علاقة منطقية بين جملتين ، قد تكونان متتابعتين بحيث يدعو السياقُ الذهن إلى إدراك العلاقة بينهما ، وحينئذ يكون أحد المورفيمات عادة هو دليل هذه العلاقة ، وتلك هي الحالة الشرطية.

أ - الشرطيات

وهى جمل يخضع مضمونها لشرط ، كما في الفرنسية: (Si tu viens je t'honorerai) = (إن تأت فسأكرمك) ، ويدرك الذهن الإنسانى من هذه الجملة إثبات أحد الجزأين (أو نفيه) ، وهو (فسأكرمك) (وهو المشروط le conditionné [ويطلق عليه: apodose: الجواب أو الجزاء ـ عند النحاة العرب] ـ و يأتى هذا الإثبات أو النفى من الموقف الواقعى فى الجزاء الآخر ، وهو (إن تأت) ـ (الشارط le conditionnant أو العبارة الشرطية protase ـ وهو الجزء الأول فى الجملة الشرطية: ، أو الشرط (لدى هؤلاء النحاة) ففى الفرنسية نجد أن مورفيم الجملة ، ودليل الشرط هو (Si) ـ (إن).

وهناك ثلاث حالات لهذه الشرطيات:

أولاً: الجملة الواقعية: le réel ، ويكون الشرط فيها واقعاً ، لأن المشروط قد تحقق بتمام الشرط.

ثانياً: الجملة الاحتمالية : le potentiel ، وذلك حين يكون الشرط فى نطاق الإمكان فقط ، مجرد افتراض قابل للتحقق ، فيبقى المشروط إمكانة مجردة .

ثالثاً: الجملة المتعذرة: l'irrèel ، وهى فى حالتين: أ ـ إما أن يكون الشرط عكس الحالة الماثلة ، أو غير مؤكد ، أو خيالياً متوهماً chimèrique أو حتى غير معقول absurde ، وحينئذ يكون المشروط غير قابل للتحقق irréalisable ، ـ ب ـ وإما أن الشرط لم يكن قد وقع أصلاً فلم يتحقق المشروط.

وأداة الشرط ـ فى العربية ـ فى هذه الحالات الثلاث هى مورفيم الجملة (إنْ) ، فى كل من الواقعية والاحتمالية ، أما المتعذرة فأداتها (لو) مكملة بـ (لا) فى صدر المشروط[1].

ففى الشرط ، كما فى النفى ، يستخدم فى الجملة الفعلية (لم) بعد (إنْ) ، وأما استخدام (إلا) [وأصلها: إن + لا] ـ فى حالة الجزم فهو قليل. [انظر ركيندورف: Ar. S., p. 485, L. 14-18, et p. 487, L.9] وفى الشرط يستخدم فى الجملة الفعلية ـ بعد لو ـ النفى بـ (لم) ، [انظر: ركيندورف السابق ـ § 459, 2° fin] ، وقد نجد (لو أنَّ) فى الجملة الفعلية ، وفى الجملة الاسمية. وفى هذه (الاسمية) تستعمل أداة النفى الاسمية: غيّر ، وإلا... يُلَوَّنُ التعبير بدخول (كان) لتصبح الجملة فعلية .

أما (لولا) فسيأتى الحديث عنها .

إن الاتجاه الغالب هو استعمال الصيغ الفعلية تبعاً لقيمتها الشكلية ،

---

(١) يرى بلاشير (472 §) أن استعمال (لا) لم يكن ضرورياً فيما قبل العصر الكلاسيكى، (أى: فى المرحلة السابقة على إنشاء النثر الأدبى ـ نهاية القرن الثانى الهجرى)، وذلك كقوله تعالى: ﴿ لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ﴾ [الأعراف:١٠٠]، وقوله: (إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً، ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم) [المائدة/ ٣٦]، وقوله: (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) [طه/ ١٣٤]. فهذه الأداة لم تظهر حين كان المشروط l'apodose – منفياً، (ومع ذلك نجده أحياناً أمام أداة النفى ما)، أو حين يسبق المشروط الشرط la protase. أما إذا نظرنا إلى ما أثبته رايت [II, p. 349 A] فسوف نستشعر ضرورة أن يكون لدينا استقصاء بالأرقام dépouillements chiffrés .

sa valeur d'aspect ، وإنما ينبع التظريف الزمانى: فى الجملة الواقعية من السياق أو الحالة ، فيكون الماضى بإدخال (كان) ، والمستقبل باستعمال المشروط مع (الفاء ـ والسين) أو (الفاء ـ وسوف) (كان) ، والمستقبل باستعمال المشروط مع (الفاء ـ السين) أو (الفاء ـ سوف) ، متلوة بغير التام مرفوعاً ، أو (بالفاء ـ ولن) مع المنصوب. وكذلك الحال فى الجملة المتعذرة ، حيث ينبع تظريفها من السياق أو الحالة ، فالماضى قد يتحقق بإدخال (كان).

أما فيما يتعلق بالجملة الاحتمالية فلا علاقة لها بالزمان atemporel. وعلى ذلك يتحصل لدينا عند الاستعمال الجملة التعليمية السابق ذكرها :

أولاً: فى الجملة الواقعية : فعل تام فى الجملتين ، فيقال: إن جئت أكرمتك.

ثانياً: فى الجملة الاحتمالية: غير تام مجزوم فى الجملتين.[1] فيقال: إن

---

(١) قد يقع بعد (إن) أشكال من الصيغ الفعلية، كأن يقع التام فى الشرط، وغير التام فى المشروط، مثل: إن جئت أكرمك، أو العكس مثل: إن تجىء أكرمتك وقد عرض لذلك رايت فى الجزء الثانى من كتابه [p.39]، أما النحاة العرب، ولا سيما (الزجاجى فى الجمل ط باريس ١٩٥٧ ص ٢١٨و ٢١٩، وابن يعيش ص١٢٠٦ سطر ١٩، - فإنهم يرضون الشكل الأول، وينقدون الثانى، رغم أنه وارد فى نصوص جيدة، فى مثل طبقات ابن سعد جـ٢، ١، ص٩٠ سطر ٣، وأيضاً: فى كتاب الأغانى، نماذج مختارة من صالحانى، جـ٢، الطبعة الثانية ١٩٢٣) ص١٩٩ سطر ٧، وهما مرجعا [ركيندورف Ar. S., p. 487]، ففى هذا الشكل الأول يمكن أن يكون غير التام المجزوم مرفوعاً، ولكنه يكون عادة مسبوقاً بالفاء، مثل: إن جئت فأكرمك، وهو على نسق ما جاء فى قوله تعالى: ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ [البقرة : ٢٣٠].
وقد يأتى فعل الشرط مع (إن) بعد الجملة الرئيسة، وفى ذلك يقول النحاة العرب [المفصل ص٥٩٠، وابن يعيش ص١٢١١-١٢١٢]: إن الجواب حينئذ أو الجزاء محذوف، لأن (إن) فى هذا لا يليها مجزوم فلا يقال: أكرمك إن تجىء، بل يقال: أكرمك إن جئت، ولكنهم يقبلون: أكرمتك إن جئت. وهذا الشرط المرفوض كثير الورود فى القرآن، ولا سيما بعد الأمر كقوله : ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٢٣]، وقوله: ﴿أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة : ٣١]، وقوله: ﴿ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴾ [القلم : ٢٢]، وبعد النهى أو الاستفهام كما فى آيات [البقرة:٩١ وغافر: ٢٩، والقلم: ٤١]، وبعد غير تام مرفوع، كقوله: ﴿ وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ﴾ [النساء : ١٧٦].

تجىْء أكرمْك (أى: إن كان ممكنا أن تجىء)[1] فسوف أكرمُك.

ثالثا: فى الجملة المتعذرة: تام (أو غير تام مرفوع) فى الشرط ، وتام فى المشروط (الجزاء) فيقال: لو جئت (أو لو تجىء) لأكرمتك (أى: لكنك لا تجىء) . وهناك أمثلة واردة فى بعض النصوص :

أولاً: فى الجملة الواقعية: «إن منعونا قاتلناهم» [الطبرى ، وهى فى بروكلمان Gr, II, p. 637 L.2] فالتام يعنى أن العقبة ، وهى [المنع] ينظر إليها على أنها واقعة.

وعن نولدكه فى كتابه : [Delectus, p. 5, V. 10; p 36, V. 15] جاء الفعل (كان) فى مثل قوله تعالى: ﴿ **وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ [يونس:٨٤].

ثانيًا: فى الجملة الاحتمالية ، كقوله تعالى: ﴿ **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك** ﴾ [نوح : ٢٧]. وتدل الأفعال غير التامة المجزومة على اعتبار الإمكان. وهو شبيه بقوله تعالى: ﴿ **إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم** ﴾ [التغابن : ١٧] [2].

ثالثا: فى الجملة المتعذرة ، كما فى المثال: لو نُشرَ لك أكنت آخذاً برأيه ؟ [الطبرى ، نقله عنه ركيندورف Ar. S., p. 495, L. 22]. (فالشرط هنا خيالى وهمى) ، وكقوله تعالى: ﴿ **قالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم** ﴾ [آل عمران : ١٦٧] ، وانظر أيضاً نولدكه فى: Delectus 2 V. 15,10 V. 13] وقد أورد من الآيات قوله تعالى: ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ [السجدة :

---

(١) تفرق الفرنسية بين الأولى والثانية فى المثال المذكور بالتنغيم، أما بالنسبة إلى الجملة الاحتمالية فهى تستخدم الشرط : (si tu venais je t'honorerais)، بيد أن التنغيم يلعب هنا أيضاً دوره.

(٢) وهذا مثال يجمع بين الاحتمال والتعذر، وهو قوله تعالى: ﴿ إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ [فاطر: ١٤].

١٣]. وقوله: ﴿ **وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير** ﴾ [الملك : ١٠]. ومثل قولهم: لو كانوا عرفوها لما كانوا صلبوا رب المجد ـ [رايت II, p. 8 A].

وبقى استعمال (لولا ...لـَ) ، وهى أداة تستخدم فى صدر جملة ناقصة أو فى صدر جملة كاملة ، ففى الحالة الأولى يليها اسم مرفوع (أو ضمير منفصل ، أو حتى ـ متصل) ، والأمثلة من القرآن ، قوله تعالى: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم** ﴾ [النور : ١٤] ، [بلاشير § 474, fin] ، وقوله تعالى: ﴿ **لولا أنتم لكنا مؤمنين** ﴾ [سبأ : ٣١].

وفى الحالة الثانية: تجىء (لولا أنْ) متلوة بغير تام منصوب ، [الكامل ص ٥٧٤ سطر ٢ ، ط. رايت] ، أو متلوة بفعل تام ، كما فى قوله تعالى: ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً** ﴾ ، [الإسراء : ٧٤] ، أو تأتى (لولا أنّ) فى جملة فعلية ، مثل: (لولا أنى رأيت) ... فى البخارى [ركيندورف § 25?, 2°] أو فى جملة اسمية (كمثال ابن قتيبة) لدى [بلاشير § 474].

ملاحظات:

أ ـ يمكن أن تستخدم (لو أنّ) متلوة بمسند إليه منصوب ، أو بضمير متصل ، فى جملة فعلية أو اسمية ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّلَ منهم** ﴾ [المائدة: ٣٦] ، [رايت II, p. 348 A] لكن (لو) بخاصة لا تستعمل فى الجملة المتعذرة دائماً ، بل تستعمل أيضاً فى الجملة الاحتمالية[1] وفى هذه الحالة لا يقترن المشروط (الجواب) باللام ، وهى حالة كثيرة الورود ، ولها مثال جيد فى طبقات ابن سعد ، جـ٢ ص٢٤ سطر ٤ ،

(١) لا تدل (لو) دائماً على امتناع الشرط ، وإنما تدل أحياناً على مجرد توقع حدوث الفعل أكثر من (إنْ).

وهو: (لن يلاقوك لو سمعوا بمسيرك هربوا فى رءوس الجبال) ، ويسوق [ركيندورف Ar. S., § 259,1°] من هذا القبيل أمثلة أخرى ، وفى مجانى الأدب للأب لويس شيخو جـ٢ ص٤١ سطر ٧ـ٨ (والغزالى) ، ص١١٤ سطر ٦ـ٧ ، (والسيوطى) ص١٣٤ سطر ٢ .a.f ـ (بيت غير منسوب) ، وفى ابن يعيش (ص١٢١٢ سطر ٨ـ٩): (ولو قلت... جاز) .

ب ـ وفضلاً عن ذلك فإن (لو) ترد دون جواب شرط منطوق apodose ـ فى استعمالات تدل على معناها الأول عن التمنى[١] ، (لو أداة تمن ، مثل ليت) ، وانظر [بلاشير 475-c §].

ومن ناحية أخرى يجب أن نأخذ فى الاعتبار الاستعمال الغالب للفعل التام بدلاً من غير التام (مجزوماً أو مرفوعاً) وأثر ذلك فى التطور التاريخى للغة [انظر بلاشير 473 ,455 §§] ، غير أن ذلك يحتاج إلى أن يكون محدداً فى إحصاءات ، واستقصاء بالأرقام .

اقتران جواب الشرط بالفاء

يقترن جواب الشرط بالفاء حين يكون جملة اسمية ، أو يعبر عن حدث إرادى؛ أمر أو نهى ، أو تمن ، فإذا كان الجواب فعلياً فإن الفعل لا يبدأ التعبير مباشرة ، فقد يكون الفعل حينئذ مسبوقاً بقد ، أو السين أو سوف أو لن ، أو عسى ، أو ليس ، أو النفى بما ، وقد نجد أحياناً الفاء مع أداتى النفى لا ولم[٢] ، لكنها صارت مألوفة بعد ذلك. ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿ **فإن اتبعتنى فلا تسألنى** ﴾ [الكهف : ٧٠] ، فقد وقعت الفاء هنا قبل لا الناهية ، وقد تقع قبل الأمر فى قوله تعالى: ﴿ **فتيمموا** ﴾ [النساء : ٤٣] ، وقد أورد أمثلة أخرى : [رايت II, p.p. 345-346 ، وبلاشير 454 § ، وركيندورف Ar. S., § 260, 2°] .

---

(١) عبارة الأشمونى (لو الشرطية أشربت معنى التمنى) [المعّرب].

(٢) ومن هذا القبيل ما نجده فى القرآن من مثل قوله تعالى: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا﴾ [البقرة: ٢٣٠]، فقد دخلت الفاء هنا على (لا)، وهى مجرد نفى بسيط .

لاحقة: العبارات الإضرابية les propositions concessives

تعبر العبارات الإضرابية عن تعارض بين الفكرة، أو الحدث الذى تذكره، والفكرة أو الحدث المذكور فى الجملة الرئيسة، فهى بهذه الطريقة تشترك مع الجملة المزدوجة، وبذلك استطاعت اللغة العربية أن تستخدم لتقديم هذه الجملة وسائل نحوية مأخوذة عن الجمل الشرطية، مثل (وإنْ)، و (ولو) [قارن ذلك بما فى اللاتينية: و etsi etiamsi]، وتقع هذه العبارات عادة بعد الجملة الرئيسة، وتتركب مع الفعل التام (أداة النفى لم).

أما (وإن) فإنها تؤكد الواقع فى جملة البدل instituée، وأما (ولو) فهى على العكس من ذلك تحدد المتعذر[1]، ومن الأمثلة: (فأنا معه وإن لم يعرفنى) [ابن قتيبة نقلا عن بلاشير 479 §]، وانظر أيضاً نولدكه فى Dalectus, p.9 vers 2؛ فقد أورد ركيندورف المثال: لو علمت لأقحمت خلفه ولو دخل النار [نقلاً عن الطبرى، وانظر كتابه: 3^{o}, 263 § .Ar.s]. وقد نجد الإضراب مقحماً فى الجملة الرئيسة، كما فى قول الشاعر: إنه، ولو كرهته النفس، آخر موعد[2]، [زهير، ركيندورف السابق $263,5^{o}$ §][3].

---

(١) ولكن يجب أن نتذكر أن (لو) لا تستعمل دائماً فى الجملة المتعذرة [وانظر ما سبق ص٢١٤] وذلك كما فى قوله تعالى: (وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) [يوسف ١٧] فـ (ولو) هنا يمكن أن يوضع فى مكانها (وإن)، دون مساس بالمعنى، لأن الآية تمس الواقع -حقيقة.

(٢) البيت فى ديوان زهير ص١٢٧ ط بيروت:

تزود إلى يوم الممات فإنه ولو كرهته النفس آخر موعد [المعرِّب].

(٣) هذه العبارات الإضرابية «المناقضة» تتناسب مع تلك التى نقحمها بوساطة الأداة (saus que)، أما العربية فتعبر عن ذلك بوساطة: (من غير أن، وبدون أن، وبلا أن)، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند ابن خلدون، ونقله بلاشير 44 §- بيد أن هذه التعبيرات لا تبدو إلا فى اللغة الأكثر حداثة. ولسوف ندرك بسهولة قيمة التعارض فى الجملة الإضرابية إذا ما حولنا العبارات إلى جمل مترابطة (وهو أسلوب اللغة العادية أو الشعبية):

ففى الفرنسية يقال "tu l'as fait bien que je te l'aie dèfendu" وهو يساوى "tu l'as fait, et [cependant] je te l'auait dèfendu" فوضع cependant بين حاصرتين يحدد التعارض، ولكنه ليس ضرورياً، فمع التعبير (sans que) تكون الجملة الثانية المنسوقة منفية، فيقال: "tu l'as fait sans que tu m' aies averti" = "tu l'as fait et tu ne **m'as pas** averti".

أى : « إن النفس تكرهه ، وهذا آخر موعد » ، بمعنى « مهما تكن كراهية النفس » .

وقد أضافت اللغة الحديثة إلى هذه الوسائل القليلة إمكانة أخرى ، ألوانا من الصيغ : (ومع أنّ... إلا أنّ... أو مع أن فقط [1] التى تترجم: bien que cepen-dant ، أو يقتصر على bien que.

ويمكن أن تقول أيضاً مع المصدر من (كان) : مع كونه غنياً. [هانزفير: Ar. wörterb éd. angl. p. 914].

ب ـ اتساع مجال الأفعال الشرطية :

قد تعالج اللغة العربية فى جمل مزدوجة ، كجمل الشرط ـ جملاً كثيرة ، منها (وهى أبسطها) : حالة التتابع بين جملتين مع مورفيم (صفرىّ) ، أى: بلامورفيم ، ثم تأتى عبارات هى من الناحية الشكلية ـ من متعلقاتهما ، أو ذات مورفيم مختص بجملة غير محددة indéterminé ؟ ومن ذلك:

أولاً: جمل متتابعة ذات وظيفة شرطية

تتابع جملتين: وفى هذه الحالة تعبر الجملة الأولى ـ عادة ـ عن فعل إرادى: أمر ، أو إنفاق dépense ، أو تمن souhait ، وتكون الجملة الثانية مضارعاً (غير تام) مجزوماً ، مثل: (فليتوكل علىّ ، وليستعن بى أُعِنْه) [ابن هشام ـ السيرة ص ٥٩٣ سطر ٦] ، ومثل: فتب إلى الله منه... نعُدْ لك ، [الكامل ، ط رايت ، ص ٥٥٨ سطر ١٠] ، [أو كتاب الأغانى جـ٣ ص٦٦ سطر ٢٥ ، وانظر بروكلمان Gr.II, p. 472].

---

(١) ومع ذلك فقد وجدنا فى حوليات الطبرى (المجموعة الثانية، ص٧٤٢ سطر ١١-١٢: (لو.... لبعث عبد الملك مع أنى لا أحب أن أختار على أهل مصرى مصراً) . أن للاستعمال الحاضر جذوره فى الماضى .

فالمقصود هنا هو الجمل التى كانت متتابعة ابتداء فى تركيبها البسيط Simple parataxe [انظر ركيندورف Synt.verh, p.680, L.14-17] ، كأن نقول بالعربية: «سوف تأتى ، آمل» ، وهو أيضاً ما نقوله فى الفرنسية: (Vous viendrez, j'espère) ثم إن المتكلمين بالعربية شعروا بعد ذلك بأن بين الجملتين علاقة منطقية ، من شرط إلى مشروط (جزاء): ففى الجملة الأولى نجد الشرط: وهو الدعوة من خلال حدث الإرادة المذكور آنفاً ، إلى إيقاع الحدث المقترح ، وفى الجملة الثانية نجد المشروط (الجزاء): وهو وقوع الحدث الذى سينشأ مما تذكره الجملة ، فيدخلون فى هذه الجملة الثانية غير التام المجزوم ، كما يحدث فى الجملة الشرطية. ولكن قد نتوقع فى مكانه فعلا تاماً ، لأن النتيجة سيقت ـ على أنها مؤكدة ، لا مجرد احتمال ، فلتكن واقعة. ومن هنا يجب أن نبحث عن أصل هذا الفعل غير التام .

لقد تضمنت هاتان الجملتان المذكورتان فى التمثيل النحوى الأولى (la parataxe première) فعلاً فى صورة إرادية ، مثلا فى الجملة المزدوجة: « أبقنى يبقك الله » ، وهو توسل الصياد إلى العفريت ، فى قصة « الصياد والعفريت فى الزجاجة » ، وهى فى (ألف ليلة وليلة) فالتمثيل النحوى الأولى la parataxe première ـ يقدم إلينا :

الجملة الأولى : أبقنى ، وهى صيغة أمر ، والجملة الثانية هى: يبقك الله: غير تام دعائى[1] فالربط المنطقى بين الفعلين فى جملة مزدوجة يجعل الثانى

---

(١) تدخل العربية اللام المكسورة على الفعل الدعائى Jussif ، غير أن اللام فيه ليست ضرورة، فإن صيغة (يفعل) تدل على الدعاء بذاتها، أيضاً أمرية دعائية دون اللام، وارجع إلى [طبقات ابن سعد، جـ ١ ، صـ٧٥ سطر ١٧-١٨]: «فقال: يغفر الله للمحلقين»، وفى شعر أبى طالب [ابن هشام الأنصارى، مغنى اللبيب جـ٢ ص٦٤١ ، ط محيى الدين عبد الحميد]: (محمد تفد نفسك كل نفسٍ) وفى شكل الجملة la فى التمثيل النحوى الأولى: قل له يفعلْ، وقد جاء كذلك فى القرآن قوله تعالى: «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة» [إبراهيم: ٣١]، وقوله: «وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن» [الإسراء: ٥٣]، وللتعبير عن التمنى بفعل تام، فى المثال النحوى: أقلنا أقالك الله، [كتاب الأغانى جـ١٠ ص١٣٧ سطر ٢١].

منهما وكأنه نتيجة للأول ، ولكن لا يفهم منه الأمر. jussif[1] وقد فقد هذا الفعل ، خلال التطور ، قيمته الإرادية ، وبقى من حيث الشكل مجزوماً ، ولكنه كسب قيمة جديدة لغير التام (فهو غير تام ، خاص شكلا ، إلى جانب صيغة: يَـفْعُلُ) . وقد كان هذا الفعل غير التام مستخدماً فى الشرطيات مع (إنْ) ، حيث كان يفهم منه نفس العلاقة المنطقية التى تتضمنها الجملة المزدوجة موضوع الحديث. غير أن التعبير عن الواقع فى جملة الشرط بإن ـ كان يعتمد على استخدام الفعل التام ، أما غير التام المجزوم فقد كان مخصوصاً بالاحتمال ، وتم توفيقه بصورة طبيعية لأداء هذه الوظيفة. [انظر بحثنا: Etudes sur le verbe arabe فى سلسلة mélanges, louis Massignon, II, la p. 173] .

ثانياً: موصولات شكلية بدلالة الشرطيات:

تستطيع العربية أن تعالج فى الجملة المزدوجة الروابط التى تتضمنها (مَنْ أو ما) الموصولتان ، ولكن الوظيفة حينئذ تصير إلى إفادة الشرط ، فى الإطار الشكلى لهذه الموصولات ، وتصبح الموصولات نكرات ، إذ يكون معنى مَنْ: أىّ إنسان ـ (quiconque) ، ومعنى ما: أىّ شىء ـ (quoi que) ، وتحل محلها غالباً: مهما. فأما عن استعمال الفعل فإن لها ما للشرط من حكم تركيبى (نحوى) ، فإما أن يليها فعلان غير تامين ، مجزومان ، حين يقصد بهما الاحتمال ، وإما أن يليها فعلان تامان إذا ما نظرنا إلى الواقع المتحقق ، وذلك هو الغالب.

ويتم اقتران الجواب بالفاء بنفس الشروط ، لتحدث نفس الآثار.

هذه الجمل المزدوجة تتضمن تعميماً ، ومن ثم ، إمكانة غير محدودة ، من تكرار الموضوع بالنسبة إلى كل فرد من المجموعة المشار إليها فى الإطار

---

(١) لم يرد اقتران الجملة الثانية بالفاء، فقد ظلوا يستعملون نفس البناء الشكلى، وقد انتقل هذا البناء إلى جمل تبدأ بصيغة الأمر، مثل: دع، وذر، وتعالَىْ، وهلم، دون أى رابطة بين الشرط والجزاء، وذلك لأن الجملة تبدأ بالأمر: وهو تركيب يقوم على القياس الشكلى الخالص [انظر كتابنا -76i § Traitè]، والأمثلة فى [رايت II, p. 37 D، وركيندورف Ar. S, § 258,2°].

وهكذا دخلت هذه الأدوات في مجال الشرط ، ولها قدرة عالية على التعبير عن الأحكام ، والأمثال ، وهو ما يتجلى في أمثال (مجاني الأدب) ، للأب لويس شيخو [جـ٢ ص٦٩ سطر ٩] ، ومن ذلك: «من كثر كلامه كثر ملامه» ، ومن الأشعار التي ترد مورد المثل (جـ٢ ص ٧٨ سطر ٢) :

من يزرعِ الخير يحصدْ ما يسرُّ به

[وكذلك نولدكه في Delectus, p. 107, vers 18].

وأما (ما) ، فجاءت في عبارة مألوفة في الشعر: (ما أنسَ م لأشْياء لا أنسَ) وهو ما جاء لدى [نولدكه السابق ص١٠ ـ البيت الرابع ، وفيه أمثلة قرآنية: البقرة: ١٢٠ ـ ١٢٦ ، و ١٩٣ ـ ١٩٧ ، والمائدة: ٩٥ ـ ٩٦ ، وهود: ١٥ ـ ١٨].

ثالثاً: أدوات استفهام صارت نكرات ، ومورفيمات جمل بدلالة الشرطيات. وقد استطاعت اللغة أن تعالج في الجملة المزدوجة ـ كما رأينا قبل ـ جملاً تبدأ بأدوات استفهام ، مثل: (أيّ ، وأينَ ، وأنّى ، ومتى ، وأيّان (= أيّ آن) ، وكيف). لقد فقدت هذه الأدوات كلها وظيفتها الاستفهامية ، وصارت نكرات ، ولذلك تستخدم الأدوات المنكرة ذات القيمة البيانية بصورة أكثر عموماً: ومن ذلك : أيّمَنْ (quel qui'il soit) وأيمّاً (quoi que ce soit) ، وأينما (partout où) (ولكن أنّى ـ وحدها "d'où que") ، ومتى ما ، وأيان ما ـ (en quelque temps que) ، وكيف ما (de quelque façon que) ويضاف إلى هذه الأدوات الاستفهامية (حيث) (où que) ، وكذلك غالبا حيثما ، وإذ ما (lorsque, si). أما (أيّ) ، فقد دخلت في نطاق الشرطية من خلال التطور الذي مرت به (مَنْ أو ما) ، أما الأخريات ، فإن هذه الأدوات تدخل في الإطار الشكلي للجملة ظرفاً ، سوف يظل مرتبطاً بإمكانة التكرار غير المحدود للقضية أو المعنى ، ولذلك فمن الأفضل أن نتكلم هنا عن هذا الاحتمال ـ l'éventuel. فمن حيث البناء : لا يأتي الفعل غير التام المجزوم مع (كيف) ، ولا مع (كيف ما) ، ولا مع (حيث) ـ وحدها [انظر: ركيندورف Ar. S. p. 489, n. 3,5] (1). وهذه بعض الأمثلة: قوله تعالى:

﴿ فى أىّ صورةٍ ما شاءَ ركّبكَ ﴾ [الانفطار: ٨] ، وقوله: ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله جميعًا ﴾ [البقرة: ٤٨] ، وقول الشاعر:

متى تَرَ دارًا من سعادَ تَقِفْ بهَا

[امرؤ القيس – ركيندورف synt. Verh, p. 700 ، وفيه أيضًا أمثلة أخرى 230 § ، وقد أضاف نولدكه أمثلة لحيث ما ، فى كتابه Delectus, p 107, Vers 18].

جـ - فاء السببية

وهى تنتمى إلى الجملة المزدوجة: فهما جملتان مرتبطتان بعلاقة منطقية ، تنص الثانية منهما على الأثر ، أو النتيجة التى تترتب على فعل الأولى ، إذا ما نفذت فعلا ، وفاء السببية هى دليل هذه العلاقة ، فهى مورفيم الجملة ، ويتلوها مباشرة فعل غير تام منصوب.

وهنا تنبيه: فلو أننا اقتطعنا هذه الجملة الثانية ، ووضعناها فى موقع جملة أولى ، جملة مثبتة ، فإن هذه سوف تقدم لنا فى الواقع الحدث الذى تتضمنه بصورة مؤكدة ، وغير مشروطة. ففاء السببية توجد إذن بعد الجملة المعبرة عن حدث يتصل بالإرادة ، كالأمر ، والنهى ، والتمنى ، والترجى ، أو الجمل الاستفهامية ، أو المنفية ، أوالارتيابية[٢] ، أو التى تتضمن شيئًا غير مؤكد[٣]. ومن الأمثلة على الترجى المشوب بالندم قوله تعالى: ﴿ يا ليتنى كنتُ معهم فأفوزَ

---

(١) لا تأتى (كلما) : (dans toute la mesure que, toutes les fois que) مع غير التام المجزوم، ولكنها تأتى مع غير التام المرفوع، أو مع التام [انظر ركيندورف – Ar. S. p. 489, n.4].

(٢) تقع فاء السببية بعد واحد من تسعة أمور هى: الأمر، والنهى، والدعاء، والاستفهام، والعرض، والتحضيض، والتمنى، والرجاء، والنفى، وليس من بينها الندم le regret، وهو ما جاء منظومًا فى البيت: مرواد ع وانه وسل واعرض لحضهم   تمن وارج كذاك النفى قدكملا (المعرّب).

(٣) لتنسيق هذه الجمل فى الفرنسية يتم ربطها بوساطة (alors) و(car alors) ، وذلك كما فى المثالين الآتيين ، الأول هو ترجمة الآية (يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا) "plût au ciel que j'aie été avec eux car alors j'aurais obtenu un grand succès". والثانى ترجمة الآية «هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا» ,avons - nous des intercesseurs? alors ils intercederaient pour nous: ويلاحظ فى هذه الترجمة استعمال أسلوب الشرط.

فوزًا عظيمًا ﴾ [النساء : ٧٣] ، **وانظر أيضاً: [البقرة : ١٦٧] فى قوله تعالى: ﴿ لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم ﴾** ، **وجاء بعد الاستفهام قوله تعالى: ﴿هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ﴾** [الأعراف: ٥٣] ، **وهناك أمثلة أخرى لدى [ركيندورف** Ar. S. § 230,1º][1].

وهنا سؤال يطرح نفسه عن اضطراب اللغة العربية فى موضوع التركيب النحوى لفاء السببية ، فالواقع أن الفعل غير التام المرفوع يجىء بعد هذه الفاء ، فى حالات هى لغير التام المنصوب ، بكل وضوح ، وحَسَبَ القاعدة المقررة ، كما فى المثال الوارد فى الحماسة (فى شطر من الطويل) ذكره نولدكه [Zur Gram, p. 71].

فَيَا عَمْرُو هَلْ تَدْنُو لنا فنجيبُها

وأضاف [المرجع السابق p. 18] قائلاً: [واضح أن ذلك لم يكن نادراً] ، وانظر أيضاً ملاحظة شبيتالر [p. 148, pour p. 71/3] فى الطبعة المكررة [Darmstadt, 1963].

إن الحل فى رأينا هو : أن نبحث فى المسائل المشارة (ص٢٠٠) حول موضوع (أنْ) مع المنصوب أو المرفوع : وفاء السببية المصاحبة للمرفوع هى الاستعمال المستمر للعرب الذين لم يتبنوا المنصوب (يَفْعُلَ) ، بل الذين كانوا يستعملون (يَفْعُلَ) كمنصوب ممكن بقى ضمن احتمالات اللغة.

---

(١) تستخدم واو المعية مع غير التام المنصوب بنفس شروط فاء السببية للدلالة على المصاحبة بين الحدث المذكور فى الجملة الأولى، والآخر المذكور فى الجملة الثانية، مثل: (فقلتُ ادعي وأدعوَ) [الأعشى: سيبويه جـ١ ص٣٧٩ سطر ٢١] [انظر ركيندورف السابق 231§] هذه الشروط ليست مطلوبة فى (أو) التى تربط جملتين ثانيتهما فعل غير تام منصوب) لأن معنى (أو) هنا هوالاحتمال (S'il arrive que, à moins que) ركيندورف السابق 232 §]، وقد تعنى (أو): إلى أن – jusqu'a ce que، كقولهم: (لا ينتهون أو يهلكوا عامتكم): وترجمته (ils ne s'arrêteront pas qu'ils n'aient fait périr votre peuple). [كتاب الأغانى – نصوص مختارة من صالحانى جـ٢ الطبعة الثانية ، ص٤٢ – سطر ٦-٧] .

د ـ التعاقب مع حتى ، وحتى إن.

أصل هذا التعاقب يبين عن صلته بالجملة المزدوجة ، فهناك أولاً جملتان متصلتان مباشرة ، ومرتبطتان برباط منطقى من السبب إلى النتيجة ، دون أى مورفيم منطوق: فهو مورفيم (صفرى) ، وتقدم لنا طبقات ابن سعد [جـ٢ ، ١ ص٢٢ سطر ١٨]. مثالا جيداً: وذلك فى قصة قتل الشاعر اليهودى كعب بن الأشرف ، فإن أعداءه التفوا حوله من قريب حتى لم تغن سيوفهم شيئاً ، ورد بعضها بعضاً ، فانتزع أحدهم مِغْوِلا (خنجراً) كان فى سيفه فشق به بطنه: (فصاح عدو الله صيحة ما بقى أُطُم من آطام يهود إلا أوقدت عليه نار) ، فالفاء فى قوله : (فصاح) بمثابة (alors) ، ومثال آخر فى المزهر للسيوطى ، [جـ١ ص١١٤ سطر ١٤ و ١٥].

ثم إنهم قد يدخلون بين الجملتين أداة النسق: (حتى) : (et même) التى تشير إلى التدرج ، ويقدم النحاة العرب الجملة: (مَرِضَ حتى لا يَرْجُونَهُ) ولدى ركيندورف مثال من النصوص [Ar. S. p. 477 fin] ، وقد كانت (حتى) هذه متلوة بفعل غير تام مرفوع ـ عادة ، وذلك حين يتطلب الموضع استعمال غير التام ، وقد انتهى أمر (حتى) إلى أن صارت تقوم صراحة بدور المورفيم فى جملة التعاقب ، كما فى الجملة: (إنه كثر حتى صار كذا) ، وهى جملة للنحاة العرب [ذكرها ابن فارس فى الصاحبى ، ص٩٦ سطر ٨ ـ ط بيروت ، وذكرها كذلك السيوطى فى المزهر جـ١ ص٤٢٩ سطر ١٠] عندما تعرضا لتفسير وقوع (إنَّ) بعد (حتى) التعاقبية: (حتى إنَّ) ، وقد عثر على التعبير فى كتاب سيبويه [جـ٢ ص٤٦٤ سطر ٩ ، ط باريس] قال : (حتى إنك تسمع النون كالميم ، والميم كالنون) ، (فحتى إن شبيهة بقولنا ثم إن ، ولا يقال: حتى أنَّ.

ملاحظات: يجب أن نفرق بين: أ ـ حتى حرف الجر ، التى معناها النهاية والحد ، (Jusqu'à) و ـ ب ـ حتى: رابطة النسق (وهى حرف عطف) ، يشير

إلى التدرج (et même) ، دون أن تؤثر بذاتها على الحالة أو على الصيغة وهى تترجم فى الفرنسية بكلمة (même) ، ولكنها تبقى أداة ربط أيضاً.

فحتى الأولى المستعملة أداة ربط تجعلها بمعنى (Jusqu'à que) مع المنصوب ، وهى مرادف (إلى أن). وعندما تنضم النية والإرادة إلى فكرة الحد ، فهو حد مراد مطلوب ـ تكون فكرة النهاية والغاية ، وتكون (حتى حينئذ بمعنى afin que) مع المنصوب ، وهى مرادف (كى).

وحتى الثانية (même) لها استعمالات مع الأسماء [وانظر أمثلة بلاشير [§ 318 a] ، أو ركيندورف [Ar. S. §163] ، فعندما تربط (حتى) هذه جملة بالجملة السابقة فإن الفعل غير التام يكون نسبياً أقل وروداً من الفعل التام.

ومن هذا الفعل غير التام يمكن أن نعرف غالباً إن كان المقام يتطلب مرفوعاً أو منصوباً (حتى الأولى) ، غالباً ، ولكن ليس دائماً ، وهنا نقع فى صعوبات تأويل (حتى) مع الفعل التام. والواقع أن (حتى) حين تدخل على فعل تام فإننا قد نتردد بين حتى الأولى والثانية ، فأما الثانية فإن ترددنا يكون بين النسق coordination ، والترتيب subordination إذ لا يقتصر السياق على حالات محددة ، ولكن هناك استعمالات تكون (حتى) فيها أداة نسق ، وأيضاً معادلة للفاء للدلالة على التعاقب ، ويمكن أن تراجع فى هذا الأمثلة التى جمعها ركيندورف[1] [Ar.S., §250].

وتستخدم اللغة الحديثة (حتى) زمانية ، وغائية ، وتعاقبية ، وعلى نمط واحد مع المنصوب ، حين يكون مكان لاستعمال غير التام ، اللهم إلا فى حالة الالتزام الشديد بفصاحة اللغة (purisme).

---

(١) تجادل النحاة العرب طويلا فى (حتى) وعقّدوها بطريقة تبدو غير مفيدة فذكروا (حتى) للحال، [انظر مذكرة ركيندورف Ar. S.p. 457]، ويمكن أن نرجع فى هذا إلى سيبويه، الفصل ٢٣٨ و ٢٣٩ و٢٤٠ ، والزجاجى: الجمل ص٢٠١-٢٠٢ ، والزمخشرى: المفصل ٤١٤ § ، وابن يعيش ص٩٣٦-٩٣٩ ، ورضى الدين الأستراباذى: شرح الكافية (استانبول ١٢٧٥ ، جـ٢ ص٢٢٢-٢٢٧ ، وابن هشام الأنصارى: مغنى اللبيب جـ١ ص١٢٢-١٣١.

خاتمة

لقد أظهرنا فى بداية هذا الكتاب الصغير عزمنا على إنشاء « مخطط بناء لغوى » ، وقررنا برنامج الدراسة طبقاً للنماذج الستة الرئيسة فى الطرق النحوية ، التى اعترف بها البحث اللغوى . ونستطيع الآن ــ على ما سبق أن أعلناه ــ أن نُركِّب النتائج التى حصلنا عليها .

فالعربية الفصحى لا تتطلب فى بنائها تدخل النبر الديناميكى أو الموسيقى ، وهى لا تتخذ من موقع الكلمات عنصراً ذا دلالة [1] فى تنظيمها الصرفى ، كما أنها لا تستخدم التركيب . وطريقتها الأساسية هى التحول الداخلى : فالجذر الصامت ، الثلاثى أولاً ، والرباعى ثانياً ، هو الإطار الذى تتبادل داخله المصوتات [2] ، وهى فى هذا الجذر لا تخالف بين المصوتات فى طابعها فحسب (أى: فى نوعها) ، بل فى كميتها أيضاً : طويلة أو قصيرة ، وفضلاً عن ذلك فهى تستخدم تضعيف صوامت الجذر عنصراً تمييزياً . ويمكن أن نطلق على هذه العملية كلها تعبير : « التَّحول الداخلى » .

والعربية تخص (الإلصاق) بأهمية كبيرة ، ولكنها لا تملك من اللواصق (اللواحق والسوابق) سوى عدد قليل ، جد قديم ، موروث عن أصوله السامية القريبة أو البعيدة ، وهى لم تنشئ منها جديداً [3] ، ولا تنشىء منها كذلك هذا

---

(١) ليس هذا صحيحاً فى اللهجات التى فقدت المصوتات القصيرة النهائية ، الخاصة بالإعراب والتصريف (انظر ص ٢٤١) .

(٢) الأصول الثنائية (قليلة العدد) رُدت صناعةً إلى الثلاثى حتى تدخل فى نظامه .

(٣) يبدو أن همزة أفْعَلَ وحدها من خلق العربية ، وهى سابقة يمكن تمييزها عن مثيل لها قديم ، فى كلمات قديمة مثل : أرْبَع ، وأرْنَب .



الجديد وتلك صعوبة أخرى ، إلى جانب عدم قابليتها للتركيب من أجل بناء ألفاظ فنية علمية فى اللغة الحديثة [١] .

وأهمية الإلصاق إنما تأتى مما نتج عنه من كلمات كثيرة ، لا من أدواته فى ذاتها ، فإن عددها جد قليل . ولم يكن ممكناً أن تتوفر للعربية خصوبتها تلك إلا بتأثير التحول الداخلى ذاته . والواقع أن هذا التحول الداخلى يتحكم فى السوابق واللواحق متضامنة مع الجذر ، إذ إن [الجذر + السابقة أو اللاحقة] يكونان وحدة ؛ هيكلاً واحداً صامتياً . وإمكانات تبادل المصوتات بأنواعها فى هذا الكل الصامت هى التى كانت تضاعف إمكانات استخدام السابقة بذاتها أو اللاحقة ، من أجل إنشاء الصيغ المختلفة ، ومن ثم منابع للكلمات . ففى معنى واحد نجد أن هذا التبادل كاف يضاعف السابقة أو اللاحقة ، ومن هنا نتجت إمكانة وجود تأثير كبير جداً مع قدر قليل من المادة .

ولقد استخدمت العربية التكرار ، وهو هنا تكرار صامت أو اثنين من صوامت الجذر ، ولكنها استخدمته باعتدال شديد ، لأن هذا التكرار كان يصطدم فى كثير من الحالات بكراهة لغوية . ثم إن هذه الطريقة لا يمكن أن تقارن بالإلصاق ، من حيث قابلية الإنتاج والإثمار ، فلولا وجود التكرار فى العنصر الثنائى (ورمزه ٢١٢١) لكانت الثروة الناتجة من هذه الطريقة زهيدة القيمة .

ولقد كانت نتيجة التحول الداخلى فى نطاق الجذر الاشتقاقى مع الإلصاق أو التكرار ـ أو بدون إلصاق أو تكرار إنتاج صيغ أو أوزان كثيرة، فلكل اسم أو صفة أو فعل عربى صيغة ، وهو بهذه الصيغة معامل باعتبارين : اعتبار الجذر ، واعتبار الصيغة ، فأما الجذر فمشترك فى جميع الكلمات التى تحتوى نفس الهيكل الصامت ، كيما تؤدى نفس الفكرة العامة ، وأما اعتبار الصيغة

---

(١) تتضح هنا الفائدة التى حققناها حين أشرنا فى إيجاز إلى أصول السوابق واللواحق حتى نحكم عليها حكماً سليماً .

فمشترك بين جميع الكلمات التى تحتوى نفس التحول الداخلى ، من أجل التماثل فى المعنى أو الاستعمال النحوى ، ومثال ذلك كلمة : « أبيض » ، فهى تحتوى من جهة الجذر « ب ى ض » الذى يدل على مفهوم البياض ، وهى من جهة أخرى بزنة « أَفْعَل » من صفات الألوان المذكرة المفردة ، وهذان الاعتباران اللذان يتلاقيان فيها يمكن أن يتصورا طبقاً للتخطيط التالى :

أبيض (مذكر مفرد)

(المؤنث المفرد) :	بيضاء	أحمر
التام المتعدى :	بيّضَ	أزرق
الاسم :	بياض	أسود
التام اللازم :	إبْيَضّ	أخضر
الجذر الاشتقاقى هو (ب ى ض) ويحمل فكرة البياض		صفات على أفعل لتدل على الألوان

هذا النظام المتلاقى المؤتلف قد ألقى عليه مزيداً من الضوء الأستاذ كانتينو فى كتابه : (جذور وأوزان)[1] ، وهو دراسة رد فيها الواقع اللغوى إلى الجذر والوزن ، كما يتجلى ذلك فى كتابه : (فكرة الوزن وتغيره فى مختلف اللغات السامية)[2] .

وقد قبسنا منه مقارنته القيمة حين قال : « لكل كلمة جذرها ، ووزنها ، ومن الممكن أن تشبه المفردات بنسيج لُحْمته هى مجموع الأصول المروية فى اللغة ، وسَداه مجموع الأوزان الموجودة . فنقطة التقاء (أو تقاطع) السَّدَى واللُحْمَة تعد كلمة ، لأن كل كلمة محددة دون لبس بوساطة جذرها ووزنها . وكل وزن يقدم فى الواقع من جانبه كلمات ذات جذور مختلفة ، كما

(١) Mèlanges Wiliam Marçais, Paris 1950, P.P. 119-124 .

(٢) Semitica 1950 73-83 .

أن أغلب الجذور تقدم كلمات ذات أوزان مختلفة » ، بيد أن كانتينو لم يستثن الضمائر .

والواقع أنه ينبغى أن توضع الضمائر وما يتصل بها على حدة ، إذ ليس لها صيغة معينة أو وزن ، فهى تكون ـ كما سبق أن رأينا ـ نطاقاً خاصاً ، كما أنها لم تبن على وزان النموذج الذى قدمته الصيغ . ومن الممكن أن تشتمل على تغيرات فى كمية المصوتات ، وأن تنطق بلهجات متعارضة فى طابع المصوتات . وهى أيضاً تقدم لنا الحالة الغريبة التى يتم فيها تبادل صامتى ، ولكن هذا كله لا ينبى صيغاً على نظام التحول الداخلى .

وقد وجدنا أنها ـ لكى تتطور وتنمو ـ تجمعت فيما بينها ، بطريقة من طرق التركيب . فالتركيب إذن بالنسبة إليها أمر أساسى جوهرى . بيد أن هذا لا يعدِّل الصفة العامة التى تقررت للغة ، وهى أنها ليست لغة تركيب ، لأن هذه الضمائر ليست سوى أدوات نحوية ؛ كلمات خالية من المعنى ، ظلّ نظامها ذا أهمية ثانوية بالنسبة إلى نظام الكلمات المليئة المعبرة (الأسماء والصفات والأفعال) ، التى هى أساس اللغة .

فلو أننا نحينا جانباً هذه الحالة الثانوية ، حالة الضمائر ، فإن الكلمة العربية ينبغى أن تحلل تبعاً للنظام الذى أنتجها . ويبدو أن العرب منذ بدأوا بكتاب (العين) للخليل نظموا من تلقاء أنفسهم ثروتهم اللفظية تبعاً للجذور ، وكان هذا بفضل تأملاتهم الخالصة فى اللغة ، أى : إنهم قد اتجهوا اتجاهاً اشتقاقياً . ولكن هذه كانت الطريقة الوحدة الصالحة للعمل ، والتى تتفق مع احترام خاصة اللغة العربية . فالمعجم الذى يتبع فى ترتيبه طريقة هجائية خالصة بالنسبة إلى كل كلمة إنما يحطم جميع ما يتولد تولدا طبيعياً عن الكلمات ،

وهو بذلك يحطم اللغة ويسحقها . وهذا هو الاعتراض الأساسى الذى يواجه من يتخيل مثل هذا المعجم فى العربية [1] .

فالعربية مثال رائع للغة ذات التحول الداخلى ، والحق أن نظامها سامىّ ، ولكن هذا النظام لا يتمثل فى أية لغة سامية بمثل هذا الوضوح وذلك النمو . ولذا وجدنا من المفيد أن ندرسه هنا فى ذاته على أنه قمة ، دون أن نضعه فى إطار سامىّ (وربما كان هذا موضوع دراسة أخرى) .

فإذا أردنا أن نذكر سمات مميزة لنظامها العام الذى رأيناه من داخله وجب أن نذكر على الأخص : من الناحية الصوتية : كثرة الأصوات الصامتة (وبخاصة فى داخل الفم : وهى المجموعة الحلقية ، والحفافية ، والمطبقة) ، وقلة عدد الحركات .

ومن ناحية صرف الأسماء : نجد الإعراب المزدوج (ص ٨٢) ، وجموع التكسير الداخلية العديدة ، والاستخدام المحدود للجمع السالم (ص ٨٦) ، واستخدام لاحقتى : الضمة الطويلة (فى جمع المذكر) ، والفتحة الطويلة فى المثنى فى الأسماء ـ الصفات ، وفى الأفعال وفى الضمائر الشخصية (ص ٨٧ وما بعدها) . والخاصة الاسمية للأعداد الأصلية (ص ١٦٢) والخاصة الاسمية للنكرات (ص ٢٣٢) . وقلة عدد السوابق واللواحق ، والطريقة الخاصة لتنمية اللغة الانفعالية بوساطة التحوّل

---

(١) يبدو أن القاموس العبرى لمؤلفيه (جزنيوس ـ بول Gesenius-Buhl) (القاموس اليدوى عن العهد القديم 17 Auflage, 1949) يناقض هذا الذى نقول : فإن ترتيبه ، هجائى ، ولكن التعارض ليس إلا فى الظاهر ، لأن الجذور فى العبرية أكثر تقادماً وبلىً ، وأقل ظهوراً منها فى العربية ، ولذا لم يسهل التحليل تبعاً للجذر والوزن ، فالترتيب الهجائى يلغى صعوبة البحث عن الكلمات ، ولعل هذه فائدة مهمة بالنسبة إلى من يستخدمون هذا القانون ، ومع ذلك إن المؤلفين قد اهتما بأن يذكرا تحت كل جذر جميع الكلمات المتفرعة منه ، بفعل التحول الداخلى ، وبذلك أعادا إلى اللغة تركيبها الطبيعى .

الداخلـي (ص ١٢٥ ومـا بعدهـا) ، وعدم وجود حدود فاصلة بين الأسماء والصفـات (ص ١١٥) ، والوضـع الخـاص للضمـائر عامة (ص ٢١٣) ، والضمائر الشخصية بطائفتيها : المنفصلة والمتصلة (ص ٢١٥) .

ومن ناحية صرف الأفعال : ينبغى أن نذكر الأهمية الكبيرة التى خصصت لاعتبار الفاعل (ص ١٧٤) ، وتوازن النظام الفعلى فى المظهر ، حيث يكتفـى « بزمنين » متصرفين : التام ، وغير التام (ص ١٨٢) ، ومن جهة أخرى العدد الكبير الذى نجده فى الصيغ المتفرعة (ص ١٨٨) .

وبالنسبـة إلـى كثرة الأفعال وجود طريقة تصرف واحدة أطلـق عليهـا : (التصرف المشترك) (ص ١٧٤) .

ومن حيث الأدوات : عدم وجود لاحقة ظرفية ، ومن جهة أخرى إنشاء كثير من روابط التعليق .

هذا كله ينتج كثيراً من التعارض ، ومن المناسب أن نسلط الضوء على واحد من بينها وهو يتعلق بسلوك عام ، يتصف من جهة بأنه محافظ ومن جهة أخرى بأنه ذو روح مبتكر .

والواقع أن للعربية سمات شديدة المحافظة : فهى قد احتفظت بنزعة قديمة شديدة القدم نحو الأصوات الصامتة [1] ، وهى قد احتفظت بالمصوتات القصيرة الأخيرة ، سواء منها ما كان للإعراب أو التصريف . واحتفظت كذلك لكل كلمة بوزنها الصريح ، وصيغتها التى لا تتحول مهما تكن اللاحقة الضميرية أو التحويلية التى يلحقونها بها . والحق أنه لا يصح التقليل من شأن هذه الميزة ، لا

---

(١) انظر : M. Cohen « بحث مقارن عن اللفظ والأصوات في اللغة الحامية السامية » Essai comparatif sur le vocabulaire et la phonétique du Chamito sémitique, Paris, 1947, p. 68.

سيما إذا نظرنا إلى ما جرت عليه اللغة السريانية : حيث تميل إلى أن تشق بعض الصيغ نصفين ، ولو لإزالة تعارض صرفى ، وما جرت عليه العبرية : « حيث يعد تعدد الأوزان بالنسبة إلى الكلمة الواحدة تقريباً قاعدة ، وتلك صعوبة رئيسة من صعوبات اللغة العبرية » .

والعربية من ناحية أخرى لغة مبتكرة ، مبتكرة بذوقها فى قياسها وتنظيمها ، ولعل من الممكن أن نعتبر حفاظها الشديد على الوزن هو الجانب السلبى لذلك الاتجاه : فلكى يؤدى القياس دوره أريد لهذه اللغة أولا أن يتوفر لها الاستقرار ، وسلامة النموذج المقيس عليه . أما الجانب الإيجابى فهو الخصوبة الشديدة التى توفرت للوزن بوساطة القياس ، من أجل إنتاج مفردات بالغة الكثرة . ولقد كشف التحليل عن جميع الاتجاهات التى دفعت فيها العربية أوزانها ، اللهم فيما عدا عدولها قليلاً أو كثيراً عن استخدامها ، عندما كانت تتدخل كراهة اللغة ، أو حين يحدث أدنى اكتفاء .

وينبغى فضلاً عن ذلك أن نذكر بين الأوزان الاسمية الخاصة بالعربية : فَيْعَل Fayal (فَيْعَال وفَيْعُول) وفَعْلَ وأَفْعَل وفَعْوَل وفَعْوْل ثم إن الحفاظ الواضح على الوزن فى الثروة اللفظية الناتجة قد ساعد هو نفسه على جعل تنظيم هذه المجموعات الهائلة واضحاً محدداً : فمعجم « لسان العرب » يحتوى قرابة مائة ألف كلمة [1] .

ولقد كان الاحتفاظ بالوزن واضحاً فى حامله المادئ الناتج من التحول الداخلى [2] ، وهو : اللفظ الدال ، ولكن المشكلة تتمثل فى ألا يتحلل المدلول ، وبخاصة بالنسبة إلى الأوزان الشديدة الإخصاب ، ليصبح غامضاً

---

(١) هُنَّ قرابة ٩٤ الف كلمة ، تبعاً لما قاله الأستاذ G. J. Haggar فى المؤتمر الدولى الحادى والعشرين للمستشرقين (باريس - يوليو ١٩٤٨) .

(٢) وينبغى ان نتذكر مع ذلك الإيضاحات التى ذكرناها سابقاً فى (ص ٩٦ وما بعدها) .

مبهماً ، الأمر الذى ربما يهدم قيمته اللغوية . فهذا الإخصاب فى الأوزان سار إذن جنباً إلى جنب مع عمل ضخم يهدف إلى التمييز وتخصيص المدلولات . فالواقع أن صيغة واحدة معينة تنقسم بصفة عامة (وهو ما نراه مثلاً فى صيغة فُعَال التى سبق تحليلها) ، ويمكن القول حينئذ بأن هناك بالنسبة إلى « دالّ » معين قدراً من الأوزان بعدد ما يوجد من المدلولات . ومهمة هذا التمييز تقتضى استخدام النحو ، والدلالة ، أو علم المعنى ، فأما النحو : فلوحدة الاستعمال النحوى : فاسم المفعول يستعمل بمعنى اسم الفاعل ، وأما الدلالة : فللتشابه فى المعنى ، وذلك كتعيين الأوصاف البدنية فى صيغة أَفْعَلُ ، مثل : أعور وأعرج وأحدب إلخ .. وكتعيين أوصاف خاصة (تخصيص) ، وذلك كأن نجد فى صيغة فُعَال مجموعة من الكلمات المخصصة للتعبير عما يعترى الإنسان من اضطرابات وأمراض ، مثل (صُدَاع وسُعَال ، إلخ ..) ، أو للتعبير عن الضوضاء : (صُرَاخ ونُبَاح وبُكَاء ، إلخ ..) . ولسوف يتم تحليل هذه المدلولات جميعها مع تأريخنا للوزن ، الذى تحدثنا عنه ، كما أن هذا التحليل سوف يكشف ــ إلى جانب المجموعات ذات المدلول الواسع ــ ولو كان مبهماً بعض الشىء ــ عن جهد كبير فى التمييز والتشخيص ، وبعبارة واحدة فى التنظيم والتقعيد [١] .

والتمسك بالمصوتات القصيرة الأخيرة فى الإعراب والتصريف سمة

---

(١) تحدثنا فى عن تناسل الأوزان ، ولعلّ ذلك يتفق مع تعدد المدلولات بالنسبة إلى دال واحد . ويمكن تصور هذا حين تنعدم الفواصل بين الأسماء والصفات ، وبذلك تكون قلة عدد السوابق واللواحق قد أضرت بالعربية ، والتفرقة التى تسمح بفصل هذه المجموعات النحوية تتم بوساطة النحو أو علم الدلالة . أما النحو : فإن الاتفاق النحوى يكشف عن الصفة أو المشتق (اسم فاعل أو مفعول) وكذلك الحال ، والمفعول المطلق يستتبع بالضرورة مصدراً ، اسم معنى ؛ وأما علم الدلالة فإن الاسم الحسى يعرف بمدلوله ذاته – ولقد يظهر التناسل فى حالات أخرى ، ولعل هذا الجانب التكوينى فى اللغة جدير بمزيد من البيان .

محافظة ، كما سبق أن قلنا ، ولكن استخدامها فى نظام شديد الشمول والدقة فى التركيب العربى يعد أمارة على عقل منظم ، ومع ذلك فقد كان هذا مساعداً على تحديد الكلمات داخل الوزن (كما يرى القارىء فى الهامش أسفل الصفحة السابقة) .

إن تركيب المقطع يمتاز بانتظام ملحوظ (وهو أمر صحيح فى النثر) ، حتى إننا ، إذا ما استثنينا الحالة الخاصة التى تشتمل على مصوت طويل أو لين مركب متلوين بصامت مضعف ، يمكننا حتى الآن أن نجرى التقسيم المقطعى دون تردد أو ارتياب ، وأن نحلل الشعر (من أى بحر كان) إلى مقاطع طويلة ومقاطع قصيرة .

أما فى مسألة التعريف والتنكير بالنسبة إلى الأسماء ـ الصفات فإن العربية تتجاوز (مع لغة النقوش فى الجنوب العربى) العبرية والآرامية اللتين خلعتا تعبيراً خاصاً على المعرفة فحسب ، فهاتان اللغتان قد خصتا المعرفة بتعبير واحد خاص ، وذلك بإنشاء أداة تعريف .

أما العربية الفصحى فإنها تسبق بدورها ـ اللغة العربية الجنوبية : ليس فى أنها قد نظمت التعبير عن التعريف والتنكير فى الإعراب بحالاته الثلاث فحسب ، ولكن أيضاً فى إعراب ذى الحالتين – مالا ينصرف ، (انظر ص ٨٣) . وهكذا تقدم نظاماً مزدوجاً معقداً ، وهو فى الوقت ذاته دقيق ، إذ كان ولاشك ثمرة عملية تنظيم هائل .

وقد كان من الممكن أن يكون نظام الكلمات فى الجملة حراً (انظر ص ٢٤٠) ، ولكن بما أن العربية وضعت نظاماً واجب الاحترام لتتابع الكلمات فإنها قد ألغت الحريات الموجودة فى العبرية والآرامية .

وتكشف الاتجاهات العامة التى ذكرناها فى البداية عن وحدة فى تعدد

الأحداث النحوية المتناثرة ، حتى لتجد فى الشواذ وسيلة الى الدخول كذلك فى قاعدة مطردة [1] .

فإذا جئنا إلى التركيب النحوى ، فإن لنا أن نلاحظ أولاً وجود الجملة الفعلية ، والجملة الاسمية ، وغلبة استعمال الاسمية على الفعلية ، ثم نلحظ تلك السعة التى تمتاز بها العربية فى استخدام المسند الاسمى (ص ٢٥٢) ، وفى تطور الأداة (إنَّ) الذى جعل المسند إليه منصوباً (ص ٢٥٤) ، كما ينصب هذا المسند إليه بعد (أنَّ) ، (ص ٢٥٥) ، ومن حيث المطابقة بين المسند والمسند إليه (فى حالة الشخص الثالث الغائب) لاحظنا عدم التغير بحسب العدد ـ أصلاً ، وكذلك لاحظنا الثبات فى النوع فى الفعل الذى يتقدم فاعله (ص ٢٥٧) .

أما المجرور ـ فقد لاحظنا كثرة العلاقات التى تعبر عنها الإضافة (ص ٢٥٨) والإضافة الناقصة (فى الوصف المقيد) ، وهى وسيلة كبيرة للوصف (ص ٢٥٩) ، والمجرور بعد جميع حروف الجر ومن ثم ـ كل اسمِ مفعولٍ غير مباشر ، وما يحتمله هذا المفعول من معان متنوعة ، (ص ٢٦١) .

وفى صدد مفاعيل الفعل المنصوبة ينبغى أن نلفت الانتباه إلى المفعول به واستعمالاته المختلفة (٢٦٦) ثم نلاحظ من ناحية أخرى التطور الخاص بالتعبير عن الحال (ص ٢٧٠) وآثاره فى التنظيم الصرفى (ص ٢٧١وما بعدها) ، وكذلك ما تميزت به العربية من التعبير بالوصف المقيد ، وبالتمييز (ص٢٧٤)

---

(١) لعل كثرة الجموع الداخلية (جموع التكسير) حالة من حالات التعقيد الناشئة عن الإفراط فى التقعيد ، فإن اللغة حين التزمت بهذا النوع من التعبير فى الجمع قد طردت القياس ، دون معيار – فيما يبدو لنا – ليندرج تحت نماذجه الأولى أكبر عدد من ألفاظها • أما الجعزية فقد كانت أكثر اعتدالاً ، حيث اقتصرت على عشر صيغ للجمع الداخلى • ومع ذلك قد نلاحظ حالات لا تخضع لنظام ، ذكرنا اثنتين منها فى دراستنا عن الفعل العربى ، ووضع اسم المكان فى العربية يفيد أيضاً فى هذا الموضوع ، وبخاصة إذا ما قورن باسم المكان فى الجعزية • (انظر مذكرة رقم ١٤) •

وعن الإضافة الناقصة التى سبقت معالجتها ، وعن الاستثناء ووسائله المختلفة (ص ٢٧١) .

ومما يلاحظ أيضاً سعة العربية فى استعمالها لاسم يكون مسنداً اسمياً ، ثم إذا هو فى باب الوصف تابع للموصوف (ص ٢٧٥) ، ثم سعة استعمال التوابع .

غير أن العربية أقل احتفاء بأساليب المقارنة (ص ٢٧٨) . وأما النداء فإنه يمثل تطوراً أصيلاً بما يحمل من علامة نصب شكلية .

هذه بعض سمات الجملة البسيطة التى استحقت أن نشير إليها ، غير أن العمل فى مجموعه يشير إلى جهد كبير فى تنويع العلاقات التركيبية ، كما يشير إلى نتيجة مهمة هى الدقة الكبيرة فى تحديد الوظائف بناء على الأداة التى يقدمها الإعراب . وكل ذلك يدل على أن الإعراب ظاهرة مؤثرة . ومن هنا تعتبر العربية بحق أنموذجاً للغات الإعرابية التحولية Flexionnelles .

ومع ذلك ؛ إن وضع الوحدات اللغوية ، ومكانها فى الجملة البسيطة قد أدى بصورة ما دوراً متميزاً ، ففى العربية ترابط ونسق وثيق (ص ٢٤٢) يمكن أن يتجاوز علامات الإعراب ، أما بالنسبة إلى الطرق النحوية الأخرى (كالنبر الديناميكى والموسيقى ، ونظام الكلمات وتركيبها) فإن لها موضعها فى النظام المتبع عادة . ولكنه نظام غير مفروض ، وإن كان يسهم فى تحديد هذه الطرق ، ونحسب أن هذا هو الطريق المفتوحة للتطور المستقبل .

وفى استعمال الفعل الإنشائى المنصوب فى الجملة التركيبية تبرز مجموعة من العبارات : المكملات المباشرة ، مع (أنْ) بعد أفعال الإرادة والأفعال الغائبة : فهذه المكملات لا تبنى إلا مع (أنْ) والفعل الإنشائى المنصوب فى صدر الجملة مقترناً بمورفيم الجملة ، ثم يأتى الفعل الإنشائى وحده للأجزاء الثوانى ،

وهذا التركيب خاص بتلك الجمل المتميزة ، وإنما كان كذلك نظراً إلى قيمة الفعل الإنشائى ، فهو منصوب مرتبط بالتعبير عن الإرادة والنية : وبعبارة أخرى : مرتبط بأفعال تدل على التقدير مع (أنْ) (ص ٢٩١) فى مكملات أصلها مسند إليه ، أو مسند (ص ٢٩٣) ، وفى عبارات اقترنت بـ (أنْ) بعد حرف جر ، فى موقع مفعول به مباشر (ص ٢٩٤) وبعد (أنْ) الظرفية ، فى مثل : قبل أن ، وبعد أن ، وإلى أن ... إلخ .. ، فقد أُدْخِل الإنشائى المنصوب نتيجة لوجود (أنْ) ، وليس له أية قيمة أخرى ، سوى أنه يشير إلى نوع من الاستقلال دون تخصيص ، مع اقترانه (بأن) التى تحكمه .

أما غير التام المرفوع فإن له وجوداً بارزاً فى الجملة المركبة ، فهو يكون أولاً فى العبارات الموصولة (ص ٢٨٦) ، وفى المكملات المباشرة مع أنَّ (ص ٢٩٠) ، ومع السببى (ص ٢٩٧) ، ومع أفعل التفضيل (ص ٢٩٥) ، ومع ظروف الزمان فى مركب مع (مَا) (ص ٣٠٢) و مع العبارات المكانية (ص ٣٠٣) ، ومع الجمل الاستفهامية غير المباشرة (ص ٢٩٦) ، هذه الجمل المزودة بغير التام المرفوع تقدم مضمونها بطريقة موضوعية غير مشروطة .

فإذا اختلط الاحتمالى بغير المؤكد فسوف يؤدى ذلك إلى جملة مزدوجة شرطية ، ويعالجان على هذا الأساس ، وذلك عنصر من عناصر التحديد والوضوح ، ومن ذلك علاج الموصولات (ص ٣١٣) ، والظروف مع (إذا ، وإذاما ، وإذما) (ص ٢٩٩ و ٣١٤) ، وظروف المكان مثل : حيثما (ص ٣١٤) ، ويضاف إلى ما فى (ص ٢٢١) مجموع الجمل المزدوجة مع (أيْمَنْ) ، و(أيُّمَا) فى الموصولات ، و (متى ما) فى الظروف الزمانية و (أينما) ـ فى الظروف المكانية ، و(كيفما) فى أدوات الاستفهام .

فإذا نظرنا إلى الجملة المركبة فى مجموعها فإنها ليست أقل من الجملة البسيطة ، من حيث القدرة على تنويع العلاقات النحوية التركيبية ، ومن ثم من

حيث التحديد فى تعريف الوظائف ، (لاحظ بخاصة وظيفة غير التام المجزوم فى الجملة الشرطية) . ومن الممكن أن نتوقع منها ذلك نظراً إلى التطور الذى أحدثته العربية فى الجملة البسيطة ، وهى تعبر عن الوظائف بعبارة بدلاً من عنصر اسمى ، غير أننا نلفت الانتباه إلى الثراء الذى حققته ، وهى تضاعف مورفيمات الجمل : كاللواحق النهائية ، والظروف التى اشتهرت فى هذا الصدد . وقد يظهر كثير منها فى شكل مترادفات ، وهى تستخدم فى الإمكانات الإيقاعية التى يستعين بها الشاعر ، إذ ينبغى ألا ننسى أن نشاط الشعراء هو الذى أنضج عربية الصحراء .

فإذا نحينا جانباً موقع (أنْ) بعد أفعال الرادة ، فإنه يبقى أيضاً ذلك الاضطراب فى استعمال (أنْ أو أنّ) ، غير أن دورهما الوظيفى يبقى واضحاً ، وليس الأمر كذلك مع (فاء السببية) ، فإن ترددها بين النصب والرفع قد يعقب عند استعمال الرفع حيرة بين التتابع والنَسق ، وهذه مشكلة من المشكلات التى خلفها التاريخ الطويل لهذه (الفاء السببية) .

أما عن (حتى) فإن مشكلتها تأتى من تطور مستمر لا نهاية له فى لغة الصحراء .

وأخيراً ... فلكى نختم هذا البحث يمكننا أن نكرر ما سبق أن قلناه فى مقدمتنا لدراسة اللغات السامية : « إن لغة الشعر العربى بما توفر لها من ثروة فى صيغها النحوية ، ورقة فى تعبيرها عن العلاقات التركيبية ، إنما تعد أعلى قمة بلغها نمو اللغات السامية » .

* * *

المذكرات التكميلية

مذكرات تكميلية

١ـ كانت مسألة المزدوج فى العربية الفصحى قد بحثت فى كتابنا Trai-té ، ويعتبر الحل المقترح وضعاً عارضاً من ناحية ، وهو يعنى اعتبار الواو والياء مصوتين فى وضع ضعيف ، فى جزء المقطع ذى التوتر الهابط ، فى كلمات مثل : ثوْب ، وجيْب ، إذ تتحول tawb ، taṷb ، وتتحول ǧayb ، ǧai̯b ، وبذلك يصبح لدينا مـزدوج حقيقـى .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى : أن نستبقى بالمعنى اللغوى ـ التداعى اللغوى association linguistique ـ وهو تداعى الجذور ، رغم التغيير الأصواتى الحادث ، فالمصوت (ṷ) فى كلمة (taṷb) يظل مشتركاً مع الصامت الثانى ، وهو الواو (w) فـى جمـع التكسيـر (أثواب) 'aṯwāb ، وفى الاسم ثوّاب ṯawwāb ، (بائع الثيـاب) ، وهذا يسمح بأن نصـنف بالرباعى ـ تبعاً للتصـريف الرباعى ـ أفعـالاً مثل : دوقل : (أخذ الشيء وأكله) ، وبيقر : (أسرع مطأطأ الرأس) ، فقد صارت aw , ay فى الفعلين ـ فى الواقع ـ مزدوجا حقيقياً : daṷqala و baiqara ، وقد احتفظ المعنى اللغوى فعلاً بنوع من التداعى باعتبارهما فعلاً مكوناً من أربعة صوامت . يدل على ذلك ـ مثلاً ـ لهجة كفر صغاب Kfar ṣghab : لقد نطقت فعلاً مثل : طيلع (ṭai̯le') (المذكور فى السـياق) بمعنى أَطْلَعَ أو أصْعَد ، وهو يعتبر فعلاً رباعيا من ناحية ، كما يعالج كذلك مع وجود التعبير الصوتى : طيـلعت ṭīla'at ، وطيلعنا 'ila'na .. إلخ ، ومن ناحيـة أخرى عولجت من حيث اشتمالها على مزدوج حقيقى (ai) يخضع للقانون الأصواتى للمزدوج فى المقـطع المقـفل (Syllabe Fermée) (ā < ai) : (tāl'et) (هـى طلعت) و (tāl'u) : (هم طلعوا)] وانظر بحثنا : كلامنا العربى فى

كفر صغاب) ـ (Liban , dans Bull Ét.or., Damas, t.xvIII;
.1963-64 , p.104)

وفى حالات مثل قَوْل -qawl وبَيْع - 'bay سيقول علماء الأصوات : إن المصوتين (u و i) يمثلان ـ بحكم موقعهما ـ واقعاً خاصاً فقط ، هو أنهما يؤديان من الناحية الصرفية وظيفة صامت ، ولكن لما كانت العربية تفرق بين الحركة والصامت أساساً باعتبار دورهما الصرفى ، فكيف لا نرى فى الواو والياء الصامتين إلا أنهما شكل خاص من المصوتين: الضمة (u) والكسرة (i) ؟ إن المصوتات والصوامت تعمل فى اتجاهين مختلفين ، ولا يلتقيان ، ومن ثم كان لابد أن تتعارض أدواتهما كلية أيضاً .

٢ ـ انظر برترام توماس : (أربع لهجات غربية جنوبى الجزيرة العربية ـ مجموعة الحدرة) . (نشريات الأكاديمية البريطانية ـ الجزء الثالث والعشرون ص ١٢ وصلت إلينا فى سبتمبر ١٩٣٧) .

٣ ـ كتاب سيبويه هو أصل النحو العربى القديم . ولما كان هذا النص الأساسى الصعب ، لم ينشر له حتى الآن شرحه المهم الذى وضعه السيرافى ، فإن هنالك نقصاً كبيراً فى فقه اللغة العربى ؛ وقد أردت أن أعرف أخيراً ما قاله السيرافى فى موضوع الفصل المعنون (باب عـدد الحروف العربيـة) جـ ٢ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٧ وهو جوهرى بالنسبة إلى علم الأصوات العربى .

واستطعت بفضل الأب المحترم عقيقى اليسوعى أن أحصل على ميكروفيلم من هذا الشرح المخطوط بالقاهرة للقسم الخاص بالإدغام بأكمله ، وهو الذى يختم « الكتاب » ، وهى فصول فى الجـزء الثانى ص ٤٠٤ ـ ٤٣٠ (طبعـة القاهـرة) ، وقـد مثل لى هذا الميكروفيلم نسخة حديثة جداً (مؤرخة

فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣٧ هـ) نقلها عن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية محمود حمدى ، على ذمة صاحب السعادة المفضال أحمد بك تيمور . والنسخة مكتوبة بعناية بخط النسخ ، سهلة القراءة ، وقد روجعت على أصلها ، على ما يدل عليه ذلك التذييل فى آخرها : « قد تم مقابلة هذا الجزء على الأصل الموجود بدار الكتب السلطانية ، وذلك فى شهر جمادى الآخر سنة ١٣٣٧ هـ » . وهذا يضمن لنا صحة النقل عن الأصل .

أما المخطوطة (القاهرة ـ الطبعة الثانية من قائمة المخطوطات ج ٢ ص ١٧٤ فى المكتبة الخديوية) فهى لا تحتوى على شرح السيرافى لنهاية الكتاب ، ولا شك أن هذا الجزء قد فقد منذ استنساخ النسخة لأحمد بك تيمور . والسيرافى فى نهاية شرحه لهذا الفصل رقم ٥٦٥ يذكر هنا نصاً فى غاية الأهمية ، حيث يأتى لنا على وجه التحديد بتفسيرات سيبويه نفسه للفرق بين المجهورة والمهموسة ، وهذا الحديث عن سيبويه موجود فى الصفحة رقم ٤٦٢ كاملة ، عن مخطوطة تيمور ، وصفحة ٤٦٣ سطر (١) . وفى نص كهذا يكون من المهم ألا يعتمد على مخطوطة واحدة ، وقد أراد الأستاذ آنش مراجعة النص المشار إليه من شرح السيرافى على مخطوطات ثلاث فى استنبول : حميدية رقم ١٣١٣ ، وهى مخطوطة جيدة جداً ، مؤرخة بعام ٦٠٩ هـ ، (عدد ورقاتها ق ٢٨٩) ، وفى نور عثمانية رقم ٤٥٩٠ غير مؤرخة ، ولكنها من القرن الحادى عشر الهجرى ـ السابع عشر الميلادى (وعدد ورقاتها ٥٨ر) ، ونور عثمانية ٤٥٩١ ، مخطوطة مؤرخة منذ عام ١١٤٤ هـ ، وعدد ورقاتها (ق ٦٢١) .

أما المخطوطة الخاصة (بشهد على باشا) ٩ ـ ٢٤٦٦ فينقصها بكل أسف الجزء الأخير ، ومن ثمَّ الفصل المهم . هذا الفصل من شرح السيرافى قد نشر إذن طبقاً لهذه المخطوطات الأربعة المحددة كما يلى : (١) القاهرة ـ مخطوطة

تيمور . ب) حميدية (١٣١٣) . جـ) نور عثمانية (٤٥٩٠) . د) نور عثمانيـة (٤٥٩١) . فإذا ما اقتضى الأمر الاختيار بين روايات متعددة فإننا نضع النسخة المتعددة فى المحل الأول ، متلوة بالأخريات مع الفصل بينها بفاصلة منقوطة . والرواية غير المعتمدة يشار إليها فحسب بالإحالة إلى المخطوطة التى تذكرها .

هذه المخطوطات الأربع ليست بكافية فيما يبدو لإخراج طبعة دقيقة كاملة لشرح السيرافى ، فالواقع أنه بالنسبة إلى المذكرة النقدية (ب) ينبغى أن يقرأ المرء (الا) دون (ولا) ، وهو ضد ما ذهبت إليه المخطوطات الأربع . وبالنسبة إلى (هـ) يتطلب السياق كلمة (الحلق) دون (الصدر) الواردة فى المخطوطات الأربع (« والصدر » خطأ من الناسخ ، جره إليه كلمة الصدر الواردة قبل ذلك مباشرة) :

(قال سيبويه : وإنما فرق المجهور والمهموس أنك لا تصل (ا) إلى تبيين المجهور إلا أن يدخله (ب) الصوت الذى يخرج من الصدر ، فالمجهورة كلها هكذا يخرج (جـ) صوتهن من الصدر ويجرى فى الحلق ، غير أن الميم والنون تخرج (د) أصواتها من الصدر وتجرى فى الحلق (هـ) والخيشوم ، فيصير ما جرى فى الخيشوم غنة يخالط ما جرى فى الحلق . والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أخلّ بهما ، وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها ، وذلك مما يزجى (و) الصوت ، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم فى المجهور (ز) فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً . والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ، ولا تصل (ح) إلى ذلك فى المجهور ، فإذا قلت « شخص » فإن الذى أزجى (ط) هذه الحروف صوت الفم ، ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجيها (ى) صوت الفم ليبلغ ويفهم بالصوت . فالصوت الذى من الصدر ها هنا

نظير ذلك الصوت الذى ترفعه بعد ما يزجى (ك) صوت الصدر ، ألا ترى أنك تقول قدم (ل) فإن شئت أخفيت (م) ، وإن شئت رفعت صوتك ، فإذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر) .

أ) د ـ لا تصل ، ب ـ لا تصل ؟ ، أ جـ ـ لا تقل .

ب) د ـ ولا أن يدخله ، أ ب جـ ـ ولا أن يدخله ، ونحن نقترح إلا أن يدخله .

جـ) أ د ـ يخرج ، ب حـ ـ تخرج .

د) د ـ يخرج .

هـ) أ ب ـ تجرى فى الصدر ، حـ د ـ يجرى فى الصدر ، ونحن نقترح : تجرى فى الحلق .

و) ب ـ يرجى .

ز) ب ـ المجهور ، أ د ـ المهموز ، جـ ـ المهموزة .

ح) ب ـ لا تصل ، أ جـ د ـ لا تقل .

ط) ب ـ أرخى ؟

ى) ب ـ يرخيها ؟

ك) أ د ـ يزجى ، ب ـ يرخى ؟ ، جـ ـ نرجى .

ل) ب ج د ـ قدم ، أ ـ قام .

م) أ ـ أخفيت ، ب جـ د ـ أضافت : وأسررت .

ومن المهم ألا أبطىء فى التعريف بهذا النص (ولأولئك الذين أتاحوا لى

صياغته : الأب المحترم عقيقى اليسوعى ، والأستاذ آتش ـ خالص عرفانى بجميلهما) . إن ترجمة هذا النص وتفسيره قد يثقلان كثيراً هذه المذكرات ، ولسوف يكون ذلك فيما بعد . بيد أنا نستطيع أن نقدم هذه الملاحظات : ففى مسألة التفرقة بين المجهورة والمهموسة يفرق سيبويه بين صوت الصدر وصوت الفم ، ثم هو يتصور الصوت الخفيض المُسَرّ ، والصوت المرتفع ، فمن الممكن أن ينطق بالمهموس مع انخفاض الصوت ومع ارتفاعه ، إذ إن هذه المهموسة من « صوت الفم » ، وليس الأمر كذلك فيما يتعلق بالمجهورة ، فهى عند ارتفاع الصوت تشتمل ضرورة على « صوت الصدر » ، قال فى آخر النص : « فإن شئت أخفيت ، وإن شئت رفعت صوتك ، فإذا رفعت صوتك فقد أحدثت صوتاً آخر » . وموجز القول أن الفرق بين المهموسة والمجهورة هو « صوت الصدر » ، غائب فى الأولى ، موجود ضرورة فى الثانية بسبب ارتفاع الصوت . وهكذا استطاع سيبويه أن يشير بوضوح كبير ، وبما كان يملك من وسائل للتحليل ، إلى ما كان يجهله من دور الحنجرة ، وهو ما نطلق عليه « الجهر » .

إن علماء الأصوات Les Phonologues لم يكتفوا بهذا : فالمجهورة والمهموسة هما فى العربية متعارضتان متوازيتان ، وهم يبحثون عما يمكن أن ينضاف إلى ذلك ، وينشىء تعارضاً سالباً ، ولم يستطيعوا حتى الآن أن يتجاوزوا مرحلة الفروض فى عملهم ، أما النتائج المتحققة والتأكد من صدقها فما زالا أملين حتى الآن .

٤ ـ ضعف الواو والياء بين مصوتين ، ليست هذه لفظة عديمة الجدوى . والواقع أننا نتساءل : لماذا يكون هذا التضعيف الثانوى للواو أو الياء فى وضع متماثل ، فى الصرف العربى (وهو ما وصفناه فى كتابنا « دراسات فى علم الأصوات العربى » صفحات ٢٨٠ ـ ٢٨١ . إن لم يكن لتقوية ضعيف مهدد ؟ ولعلنا نعرض لهذا الموضوع فى مكان آخر .

والعربية من ناحية أخرى تظهر فى مفرداتها وفى صرفها واوات أو ياءات ، تؤدى وظيفة الصامت القوى ، شأنها شأن غيرها ، ويلاحظ هذا أيضاً فى اللغة الجعزية ، وفى اللغة التيجرية tigray .

أما فيما يتعلق بصرف الأفعال التى سيكون الصامت الثانى أو الثالث من أصلها واواً أو ياء فإن لدينا بالنسبة إليها موقفين : قدمهما ف. ر . بلاك F.R. Blake فى حالة [الأفعال التى يكون الصامت الثانى من أصلهـا واواً أو يـاء] (دراسات فى النحو السامى ـ II, J.A.O.S., vol. 62, 1942, pp. 109 - 110) :

أ) موقف من يفترض أنها فى حالتها الأولية الثنائية : فالمصوت الطويل فى الأفعال التى يكون الصامت الثانى من أصلها واواً أو ياء إنما تأتى من إطالة المصوت القصير الداخلى فى الثنائى : قلَ * qala › قلَ › قيـلَ ، يقُلُ * › يقُولُ ... إلخ ... وبهذا دخلت فى نظام الفعل الثلاثى . والصيغ مع الواو أو الياء الصامتتين القويتين معتبرة على أنها ثانوية .

ب ـ وموقف من يقول بأنها كانت منذ البدء ثلاثية (فالمصوتات الطويلة هى نتيجة القلب أو الحذف : ـ قَوَلَ * › قَـالَ qāla ‹ qawala ، قُوِلَ * quwila › قِيــلَ qīla ، يَقْوُلُ yaqwulu › يَقُولُ yaqūlu إلخ ... (وكلتـا النظريتين جائزة ، ولكل منهما أنصار بين المبرزين من علماء نحو اللغات السامية » ص ١٠٩ مـن المرجـع السـابق ») .

ولكن الأول يبدو فى نظر بلاك Blake طبيعياً أكثر من تاليه ، وهو جدير أن ينتهى إلى خير تفسير للأحداث (اللغوية) التى يدور حولها البحث ، ثم إنه أكد مصاعب الفرض الثانى .

أما نحن فقد وجهنا عملنا طبقاً للثانى . أليس هو كذلك طبيعياً كالأول ، فإذا كانت الواو والياء تصلحان لتكوّنا الصامت الأول أو الثالث من جذر معين ، فلماذا لا تصلحان كذلك لتكوين الصامت الثانى .. ؟ لماذا ننفى هذا ونستبعده ؟ .. ولماذا تكون هذه الواوات والياءات ـ وهى صوامت قوية كغيرها ، بالنسبة إلى العربية والجعزية والتّجْرِيّة ـ من الصيغ الثانوية .. ؟ ولماذا لا يعود عدد من بينها إلى حالة بدائية ؟ ..

وهناك أيضاً أصول ثنائية فى اللغة العربية وهى كذلك فى أصولها السامية . ولكن لننظر إلى الأشياء من قريب : فالسامية المشتركة التى تتفرّع عنها ، كانت ذات أصول ثلاثية . وأكثر من ذلك ففى المستوى الأعلى (وبقدر ما يمكن أن تبلغه المقارنة الداخلية لأبعد الأصول) أى فى اللغة الحامية السامية ، لم يمكن التوصل إلى ما وراء البناء الثلاثى السابق معرفته فيما يتصل ببناء الأصول . (دراسة مقارنة لألفاظ الحامية ـ السامية وأصواتها ، ص ٦٨ لكوهين) .

والحالة الثنائية إن وجدت يمكن إذن أن تعود إلى ما قبل التاريخ ، وهو ما يستحيل الوصول إليه الآن بوسائلنا . فهل كانت هذه الحالة الثنائية عامة كما يراد لها .. ؟ يؤكدون ذلك دون داعٍ .

وليست اللغة الحامية السامية نقطة البداية المطلقة ؛ إنها حلقة فى التطور اللغوى ، فمن أى نظام خرجت ؟ هل يبعد أن يكون أساس الحامية السامية فى أصولها الأولى آتياً من مصدر يتمثل فى مجرد ثوابت اشتقاقية ؟

ربما كان من الممكن حينئذ أن نتخيل هذا الاحتمال تبعاً لطول هذه الثوابت ، ولذوات الحرف الواحد ، والحرفين ، والثلاثة ، حين توجد كلها فى وقت واحد .

إن المنهج المقارن لم يأت بعد بالضوء الذى نأمله فى مسألة الثنائية هذه بمقارنتها بالأسرات اللغوية الأخرى (وكتاب كونى Le Nostratique de A. Cuny غير مقنع) ، فإن التحليل الداخلى للكلمة العربية أو السامية لتمييز الجذور الثنائية ، وطرق تثليثها ، لـمّا ينته إلى نتيجة مرضية (ولعله من المحال أن يحدث هذا) . وخلاصة القول : إن مشكلة الثنائية لـمّا تلق حلاً .

أوليس من الحكمة إذن أن نوجه عملنا فى الدراسة الصرفية للصيغ ذات الأساس الاشتقاقى الذى أول صوامته أو ثانيها واو أو ياء تبعاً للرأى الثانى ، أعنى تبعاً للثلاثية البعيدة فى قدمها ، العريقة فى جذورها فى اللغة العربية وسائر جذورها التى يمكن التوصل إليها ؟

إن ما وجهه ف . أ . بلاك من الاعتراضات ليس بالعسير على الرد ، فاعتبار الواو والياء صوامت قوية فى جزء من السامية ، ضعيفة مائلة إلى الاختفاء بين المصوتات فى جزء آخر منها ، هذا الاعتبار يقدم مبادىء حل سهلة ومخصبة .

ترى هل طال الحديث .. ؟ .. إن المذكرة الحالية برغم طولها لا يمكن أن تقول كل شىء ، وأملنا أن نرجع إلى هذه المسألة .

٥ ـ يستطيع نفس الشخص المتكلم فى لبنان الآن أن يستعمل قطَاعَيْنِ مَقْطَعَيَّيْنِ مختلفين وذلك فى نفس الجملة . ففى السؤال (ماذا يعملون ؟) .. يمكن أن يواصل حديثه : قَلو هِنى كَاتبين [qallo (= qal-lo) hənne (kā-tbīn)] « يقول له : هم يكتبون » ، وربما وجدناهم فى تدمر بسورية ، يقولون عكس ذلك : قَالوا وكِتبين – qāllo et kẹtbīn .

٦ – اتجاهات عامة : لسنا نريد أن نحدد أية قوة غامضة ، خارجة عن اللغة ، تفرض عليها نوعاً من الإكراه . ولكنا نشير وحسب إلى بعض الاتجاهات

المعترف بها فى الحركة الحيوية للغة ذاتها . وفى هذه الاتجاهات : نميّز بين كراهتين : الأولى كراهة تكرير صامت واحد مرتين متتاليتين ، مع مصوت قصير بينهما . وقد أخذنا ذلك عن النحاة العرب . ولا ريب أن للنحاة العرب أفكاراً منهجية تستطيع أن تخفى وجه الحق فى المشكلات . وهذا مما ينبغى أن نذكره دائماً . وهم من ناحية أخرى الشهود الوحيدون بالنسبة إلينا على الذوق اللغوى العربى الذى ينبغى أن نرعى جانبه ، وهنا لا نرى ما عساه أن يكون قد انحرف باصطلاحهم عن الإحساس الواقع . ومن ناحية أخرى : الواقع أن الكلمة العربية الموجودة المكوّنة بوساطة تكرار من هـذا النوع نادرة الأمثـلة .

والكراهة الثانية : كراهة النطق بالصوامت الضعيفة (الواو والياء) مع مصوتات من جنسها ، مثل : وُ ، وى / yi و wu ، شأن – الواو مع الكسرة : وِ wi ، والنتيجة كانت إبدالها همزة وُ ، أو ، ى ، إى ، وقلنا إن ذلك مخالفة ، فإذا قرر النحاة العرب عرفا (وهو عرف متنوّع) ، فلسنا نشك فيه ، وقد استطاع تفسيرهم الشخصى أن يقحم نفسه فى تقدير انتشار هذا العرف ، موجباً ، أو مجيزاً إبدال هذه الصوامت همزة ، تبعاً للحالات المختلفة . ولم يكن بوسعنا فى كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى) إلاّ أن نقرر نظريتهم فى هذا الموضوع . وإذا كانوا قد صلّبوا قليلاً أو كثيراً مرونة الواقع ، أو لم يفرقوا بدرجة كافية بين سلوك القبائل المختلفة فى النقاط المذكورة ، فذلك أمر ممكن ، ولكن سيكون من الصعب تماماً أن نقرر الأحداث اللغوية تامة الضبط .

ويبقى أن العرف قد جرى فى قليل أو كثير على هذا الإبدال للواو أو الياء همزة فى الحالات التى تمّ بحثها . وقد رأينا فيها حقيقة هذه الكراهة ، التى استدعت المخالفة .

فهل يمكن أن نحدد بصورة أوفى هذا السبب العام ؟ ..

عندما تلتقى الواو بالكسرة قد يحدث أن ترى نوعاً من تكلف النطق وثقله ، فلكى ننطق بالواو تستدير الشفتان ، ولكى ننطق بالكسرة يحدث العكس فتنفرجان . أما فى حالة الواو والضمة (وُ) ، أو الياء والكسرة (ىِ) فلسنا ندرى ، على الأقل من خلال عاداتنا اللغوية ، نوع المشقة النطقية التى يمكن أن تنجم فى نطقها . وقد اعتد النحاة العرب تتابع هذا النوع ثقيلاً ، ووجدوا فى إحساسهم بالثقل سبباً للإبدال همزة . فهل يجب أن نستدعى هذا اعتباراً من علم النفس اللغوى .. أى : إنه لما كان نطق الواو والضمة ، والياء والكسرة معتداً ذا ثقل من قبل الناطق الذى لا ثقافة له ، فهو ينطقها نطقاً سوقياً مختصراً ، فإن الرجل المثقف المتميّز (أو من يرى نفسه أنه كذلك) يتحاشى هذا الاختصار ، بأن ينطق فى هذه الحالات همزة وضمة ، وهمزة وكسرة ؟ ..

ولعل هذا قد لعب دوراً لا شعورياً فى الصحراء ، فى نطق لغة جميلة ، فى (الشعر) ، بل فى داخل القبيلة أيضاً ، فى مختلف العلاقات الاجتماعية ، فنشأ بذلك عرف حقيقى (منطوٍ منذ ذلك الحين على كثير من التنوّع والروايات) .

ولكن هل يفسّر ذلك كل شىء ؟ ولماذا أخفق قانون بارت ؟ .. انظر كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى ص ٢٧٤ - ٢٧٥) . ولماذا تَوَقَّفَ (بل مُنع) استخدام الوزن حيث كانت تلتقى هذه العناصر غير المتوافقة ؟ (انظر المرجع السابق ص ٢٧٣) . وعلى سبيل المثال : الجمع المكسّر فُعُول fu‘ūl بالنسبة إلى الجذور التى ثانى صوامتها واو ؟ فنحو : سُوُوق suwūq (جمع ساق) كلمات نادرة جداً . ولقد كنا نتوقع مجموعة كثيرة تنطق بالطريقتين الممكنتين (سُوُوق ، suwūq ou su’ūq) . فإذا ما اعترض علينا بأن الكلمات من نوع سُوُوق قد اختزلت إلى (سُوق))

(sūq بحذف الواو بين المصوتين ، فلماذا لم يحتفظ (الفصحاء) أو لغة الشعر الرصينة بالصيغ مع الهمزة (سُؤُوق su'ūq) إلخ .. ؟

وفى خاتمة هذا التعليق ، يبدو أن هذه الكراهات لم تكن ظاهرة سطحية ، أو أثراً لطريقة فى النطق أقل أو أكثر انتشاراً ، وإنما هى رد فعل لغوى أكثر عمقاً نطلق عليه « كراهة » لأننا لا نملك تحديده أكثر من ذلك ، وهو قادر على التأثير فى الصرف نفسه كتغيير نطق : يفْعَل (قانون بارت) إلى يَفْعَل ، وكالتجديد فى التطور الصرفى (حالة جموع التكسير) .

٧ ـ فيما يتعلق بالفعل المجزوم ، مثل : يَمْدُدْ yamdud ، والأمر منه اُمْدُد umdud' ، كان الحجازيون يحتفظون بصيغته كما هى ، أما غيرهم من العرب فقد كانوا يدغمون ، وهو ما كان يضطرهم ، فضلاً عن نقل مصوت الصامت الثانى فى الجذر ، إلى أن يضيفوا مصوتاً فى نهاية الكلمة ، (فتحة أو كسرة أو ضمة تبعاً للقبائل) ، وذلك للمحافظة على التضعيف ، فالمجزوم : يَمُدُّ ، والأمر : مُدَّ .. إلخ .. فيمكن القول مع مراعاة الثنائية بأن العنصر الأول مُدْ › مُدَّ ؛ يَمُدُّ = يـ + مُدَّ + ضمة .

ولكن ماذا يضمن لنا أن العنصر « مُدْ » يؤدى خاصة إلى « مُدَّ » : مُدْ › مُدَّ .. ؟ أليس من المحتمل أيضاً أن يكون هكذا : مُدْ › مُدُدْ ؟ ، وبخاصة إذا ما أخذنا فى اعتبارنا اللغة الأكادية (الأمر والصيغة ikšud من هذه الأصول (٢٢١)) . وأحداث أخرى كثيرة فى السامية .

فالفعل المجزوم العربى : يَمْدُدْ يفسر حينئذ بالصورة : يـ + مْدُدْ ، ويَمْـدُدْ ـ هذه ـ احتفظ بها أهل الحجاز . أما الإدغام عند غيرهم من العرب مع مختلف المصوتات المساعدة فى النهاية ، فيشبه أن يكون حدثاً ثانوياً . (انظر سيبويه جـ ٢ ص ٤٢٤ سطرى ٧ ـ ٨) .

٨ ـ يتجه المستشرقون الألمان إلى أن يخصوا تأثير النبر بقيمة مهمة لتفسير الأحداث الصرفية فى العربية الفصحى . وربما لم نجد هنا مجالاً لأن نذكر لهم كلمات واحد من كبار علمائهم بمناسبة حديثه عن العروض الإغريقى : وهو ب. ماس P. Maas (١٩٢٩) فى كتابه : « المدخل إلى معرفة القديم » قال :

ـ « إن شعورنا بالإيقاع سيطر عليه تماماً الإيقاع الديناميكى والعروض الخاص بلغتنا » « فنحن من ثَمّ نحمل تلك الديناميكية غير مختارين إلى جميع الإيقاعات الموروثة التاريخية » . ذكر هذا النص فايل : G. Weil, Oriens, (VII, 1954, p. 321) .

فعسى ألا يكون المستشرقون الألمان فى تفسيرهم للأحداث الصرفية فى العربية قد اتجهوا مكرهين بتأثير ديناميكية النبر فى لغتهم الخاصة إلى أن يروا فى كل دراسة تأثير النبر ، وهو النبر المتوتر المؤثر فى صورة لغتهم ؟ (انظر ما جاء فى كتابنا (Traité) ص ٧٤ ـ ٧٦) .

٩ ـ بالنسبة إلى لواحق المونث هذه : فإن الألف المقصورة (ā) والممدودة (ā'u-) تتقابلان فى العربية الفصحى ، فالألف المقصورة (ā) فى الجعزية ، وفى العبرية صارت (ā - > ō -) ، كما كان للاحقة الكسرة الطويلة (ī) آثار فى السامية فيما كان من الأسماء ، والسؤال عن اللاحقة (أى ـ ay-) التى نجدها فى العربية الفصحى ، وفى السوريانية [انظر بروكلمان Traité 69, pour ay, Gr.I, 225 B, P.410 sq] .

على أن من الممكن أن نناقش مسألة معرفة ما إذا كانت العربية هى التى أحدثت التنوع فى الألفين المقصورة والممدودة ، فلقد لفت المقصور والممدود دائماً أنظار النحاة العرب ، وحسبنا أن نرجع فى هذا الموضوع إلى [كتاب ابن

ولاد الذى نشره ب . برونل Bronnel (لندن ـ ليدن ١٩٠٠] ويبدو أحياناً أن المقصور والممدود يتبادلان فيما بينهما ، مثل غلبّى ، وغلبّاء (بمعنى إيقاع الهزيمة) ولكن ينبغى أن نكون حذرين حيال سمة تنويع الألفاظ العربية التى وصلتنا (حيث كان المتكلمون مختلطين) ، وهذه أيضاً ملاحظة فاللغة العربية تسمح بإسقاط الهمزة فى الشعر ، وذلك فى الألف الممدودة ، فيقال فى فقراء : فقْرا : كما يقال : (بَلا) فى (بلاء) ، وليس العكس ، بحيث تنطق المقصورة ممدودة .

١٠ – نظراً إلى سمة التنويع فى الألفاظ العربية (المذكورة فى المذكرة ٩ السابقة) ، ونظراً إلى ما قد يحدث من صيغ وقفية فى السياق ، فليس من الممكن دائماً أن نفصل الصيغ الأساسية : فَعْل وفُعْل عن الصيغ الثانوية : فَعَل وفُعُل ، ولا أن نثبت النطق القديم : فَعْل أو فَعِل ، وفُعْل أو فُعُل [انظر Traité § 77 D] .

١١ – ليس من اليسير دائماً التمييز بين الكلمات البدائية ذات المصوت القصير أو المصوتين القصيرين ، وذلك لأسباب لا تتدخل فيها اعتبارات النبر فحسب ، كما يفعله البعض غالباً (وهو أمر ممكن) ، بل من أجل حدوث أشكال للوقف كثيرة فى السياق .

١٢ – هنالك مفهوم للتصويت فى السامية المشتركة ، يكاد يصل إلى مرتبة العقيدة لدى المستشرقين الألمان هو : أن التعارض فى مصوتين فقط : الفتحة وغيرها مما يتميز عنها ، والذى تحدد فيما بعد بالكسرة والضمة ، هذا التعارض قد يقلل كثيراً من حدوث التحول الداخلى فى هذه السامية المشتركة . وربما كان يتفق مع التقليد المحافظ فى التصويت العربى .

أليس هذا المفهوم ناشئاً عن اعتبارهم أن العربية الفصحى تعبير عن استعمال لغوى واحد ؟ ..

الواقع أنه ينبغى أن يؤخذ فى الاعتبار اختلاف المصوتات فى بعض الكلمات ، وذلك كالمصوت الأول فى كلمة سناط وسُناط (وهو الأمرد أو الذى لا لحية له ، أو لحيته فى الذقن وما بالعارضينَ شيء (القاموس المحيط جـ ٢ مادة سنط ، (وانظر قائمة ابن قتيبة فى أدب الكاتب ، صفحات ٥٧٠ – ٥٧١ ، طبعة جرونيرت) .

ولم يعد مجهولاً الآن اختلاف الألسنة فى العربية القديمة ، بفضل كتاب ك. رابين (C. Rabin, Ancient West-Arabian) ، وقد سقنا ملاحظاتنا عن هذا الجانب فى كتابنا (دراسات فى علم الأصوات العربى ، ص ٢٨٢ ومابعدها) [انظر Traité ص ٧٧] غير أن كُميت ـ قد طرحت مشكلة زائفة ، فهى ليست سوى تعريب لكلمة أجنبية [انظر WKAS, S.V.] .

إننا لم نستطع فى هذا الكتاب أن نشير إلى جميع طرق صوغ المصغر ، [وانظر عرضنا فى Traité § 81-84] ، ولسوف نلاحظ قلة الأوزان من صيغة : فَعيل ، وفُعول ، وفَعَال ، وفعال ، وفُعَال ، التى تنتهى كلها إلى وزن فُعَيِّل . [المرجع السابق ص 82, i-K] .

١٣ ـ هذا يعبر بخاصة عن الواقع ، وينبغى أن نعمق فهمنا لكيفية حدوثه ، أى : أن نبين الصلات التى تؤدى إلى الانتقال من التكبير إلى التصغير ، والعكس بالعكس ، وبذلك نبرز آلية تكاثر الصيغ . ولقد سبق أن أشرنا فى إيجاز إلى الكيفية التى يصبح بها التكبير تحقيراً ، ولكن كيف يمكن أن يولد التصغير بخاصة معنى من الرقة والتدليل ؟ هنا نتصور جملة من الاعتبارات النفسية يحتمل أن تتدخل : كالتورية (euphémisme) ، والسخرية (ironie) ، والتفكه : plaisanterie [انظر ZS.IV, 1926, p.29] حيث طرح ليتمان على نفسه سؤالاً عما ما إذا كان ينبغى اعتبار صيغة فَيُّول تصغيراً ، والمسألة برمتها تستحق دراسة خاصة .

إننا منذ كتابة هذه المذكرة (١٣) ، لاحظنا تقدم المسألة [انظر Traité
. [§ 85 g-i

وهنا ملخص : إن تكثيف الشعور ، والتأثر الشخصى بالنسبة لإنسان اللغة العربية ـ الذى يصحب تزايد (حجم) المدلول ـ تبعاً لموضوعه ، إنما يتنوع ، ويمكن أن يسير فى اتجاهين متعارضين : فإما أن يتجه نحو الإعجاب والإطراء من أجل الانتفاع بصيغة التكبير ، وإما أن يتجه نحو التلطف ، والمجاملة ، التى يتسم بها الصغر المحبب ، الذى يعبر عنه التصغير ، وإما أن يتجه نحو الاحتقار والتقليل الذى يوحى بالنفور والكراهية ، (وهذا هو التحقير) ، وذلك دون أن نضع فى اعتبارنا أن الأمور يمكن أن تتلامس من أطرافها ، كما سبق أن قلنا ص (٧٣) .

ومع ذلك ، فلو أننا تصورنا فعلاً واقع أن التصغير يفيد أيضاً زيادة فى الانفعال الشخصى ـ فلن يكون غريباً أن نلجأ إلى استعمال صيغة مكبرة للتعبير عنه .

١٤ـ من المحتمل أن يكون تطور فُعَيْلُنْ * ، فُعَايْلُنْ ، فُعَايِلُـنْ * ، فُعَائِلُـنْ .

١٥ ـ اسم التفضيل في الفرنسية يعبر عنه في العربية بـ أفْعل ، بيد أن هذه الصيغة « أفْعَلُ » غير مقتصرة عليه ، وانظر دراسة هـ٠ فير H. Wehr « اسم التفضيل فى العربية » .Ak., des wiss. w. d. lit., Abhandl. d] [Geistes-u. وانظرأيضاً تقريرنا :Sozialwissenschaftlichen Klasse,] [Mainz, 1952, n °7, pp. 565 - 621 و انظر أيضاً تقريرنا فى -Mé) . langes U.S.J., t. XXXI, pp. 429 - 433)

١٦ ـ أما فيما يتعلق باسم المكان فإن العبرية تستعمل صيغ مَفْعَل ومفعَل (وهما أكثر الصيغ استعمالا ، ومن الصعب أن نميّز إحداهما عن الأخرى تماماً) ، ومَفْعِل ومَفْعُلَة ومَفْعُول (قليلة الورود) ، ولم تستطع العربية بصيغها الثلاث ، مَفْعَل ومَفْعِل ومَفْعُل أن تحقق نفس التوحيد الذى كان بالنسبة إلى اسم الآلة ، ويجب أن نضيف هنا صيغة (مِفْعَال) (انظر ص ١٤١ هامش ١) . وهذه الصيغة جد نادرة بالنسبة إلى الجذور ذات الصوامت الثلاثة القوية ، مثل : مِشْرَاق (وبالمثل مشريق) ؛ وهو المكان الذى يتعرّض منه لشعاع الشمس ، ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الصيغة مِفْعَال ، مَفْعَال هى التى عممتها اللغة الجعزية فى اسم المكان ، مثل مبّراق (مَشْرق) ، على حين كانت مَفْعَل مستعملة فحسب فى الجذور التى صامتها الثانى واو أو ياء ، مثل : مَكَان . ومع ذلك ففى العربية بعض أوجه النطق الاستثنائية ، وهى تستدعى أيضاً تنوعاً كبيراً ، فبجانب مَنْخَر أو مَنْخِر (فتحة الأنف) وجدت : مُنْخُور (تماثل مصوتات فى مُنْخور *) ، ومِنخر ، مستعملة أيضاً . قارن كذلك مِخْدَع ومقْبَرة .

وبعد أن بحثنا المسألة من جميع وجوهها فيما يتعلق باسم المكان نقرر أن هنالك على الأقل من الصيغ المتنوعة فى العربية بقدر ما فى العبرية ، وأن الجعزية هى التى أحدثت التوحيد .

١٧ ـ هاتان اللاحقتان آن و ون ūn و ān ـ تجدان بنوتهما الطبيعية فى العربية ، ففى حالات الأعلام يبدو من غير المفيد أن نرى فيهما كما يريد كامبفماير [Kampffmeyer Z.D.M.G., 13d. 54, pp. 621 sq. بقايا لواحق من صنعة العربية الجنوبية] انظر [: Nöldeke Beiträge zur s. S., p. 137; Brockelmann, Z.S., VI, 1928, p. 125] .

١٨ ـ الحل الذى اقترحه براقمان ـ يبدو واجب الالتزام ـ أعنى اشتقاق تَفْعِلَة من تَفْعيل ، بواسطة تَفْعيلْة * ؛ تفعلْة ، ثم تَفْعِلَة بمناسبة الجمع : تَفْعِلاَت ، وربما جرتنا المناقشة هنا بعيداً عن الموضوع . (انظر Traité p.460 n1) .

١٩ ـ بحث هذا السؤال المضلل مرة أخرى ج . ر . درايفر G.R. Driver, فى مقاله بعنوان :[النوع فى الأعداد العبرية Gender in Hebrew numbers - The Journal of Jewish Studies, vol. I, 1948, pp. 90-104] ، ويمكن أن نرى فى بحثه أولاً الحلول السابقة ملخصة : حل كوتش كولى Kautzsch-Cowley (ص ١٠٠) ، وحل ركيندورف Reckendorf (ص ١,١) ، ثم الحل الجديد المقترح من المؤلف (صفحات ١,٢ ـ ١,٤) وقد خططه بنفسه كما يلى ، قال :

« وباختصار : سبب القاعدة الخاصة بعكس النوع هو الرغبة فى تجنب اجتماع صيغ للجماعة » . ـ ويبدو أن هذا ليس هو الحل النهائى ، نظراً إلى التحليل الذى ينبغى أن نجريه حول فكرة اسم الجماعة .

٢٠ ـ وظيفة التكامل التى ذكرها بها ى. بنفنيست فى كتابه عن (اسم الفاعل وأسماء الفعل فى اللغات الهندية الأوربية ـ باريس ١٩٤٨) ورد ذكرها فى العربية فى الكتاب المذكور (ص ١٤٥) بالنسبة إلى الاستعمال الترتيبى فى العدد الكبير ، كما وجدت هذه الوظيفة فى الترتيبى من العدد الصغير (من الثالث إلى العاشر) ، وذلك على وجه التحديد بوساطة صيغة (فاعل) ـ وهى صيغة اسم الفاعل ، ففى الأصل : يوجد اسم فاعل حقيقى لأحد الأفعال ، فى الصيغة الأولى الاسمية للعدد الترتيبى ، وذلك بمعنى : (إكمال هذا العدد المعين بإضافة وحدة إلى ما سبقه) ، وبالنسبة إلى شخص معين : (إكماله بأن

يضيف نفسه إليه) ، وذلك مثل : عَشَرَ يَعْشُرُ ، أى : مُكْمِلُ العشرة بإضافة وحدة إلى التسعة الآخرين ، أى : إن الشخص يكمل العشرة بإضافة نفسه إليهم ، فهو العاشر ، أى : جاعل التسعة عشرة .

وقد اكتسبت ـ واحد ـ بزنة فاعل ـ هذه الصيغة شأن الأعداد الترتيبية قياساً عليها ، قياساً شكلياً ، وحين استقرت كلمة (الأول) فى الاستعمال للتعبير عن معنى (واحد) ، صارت هذه رقماً فى مجموعة الأعداد الترتيبية إلى جانب وَحَد ، وأَحَد ، وهذه الظاهرة قديمة جداً ، إذا إننا لا نجد مطلقاً استعمالاً لكلمة (واحد) على أنها رقم من الأرقام .

٢١ ـ يقدم د. كوهين [Annuaire école pratique des hautes études , Paris , pp. 145/146] ـ نتائج محاضرته الثانية التى تركزت حول (فُعِلَ) . وإذا كنا قد فهمنا جيداً ملخصه المركز تركيزاً شديداً ، والذى لا يحوى أى مثال ـ فإنه يرفض أن تكون فُعِل للمجهول ، وهو يطلق عليها (المصوتات السلبية) (Passif vocalique) ، وكأنما يريد بذلك أن يثبت إدخالها فى نظام الفعل العربى باعتبارها (سالبة) ولنا على ذلك الملاحظات التالية :

لقد خرجت (فُعِلَ) من (فَعِلَ) ، وهناك من يرى أنها وسيلتها ، بمعنى أن فى اللغة عدداً من الأفعال بوزن فُعِلَ ، وهى بنفس معنى فَعِلَ . فكم من الأفعال الشواهد على هذه الحالة الأولى لوزن فُعِلَ ؟ نريد أن نعرف ذلك بالضبط . ولكن هذه البقايا لا يمكن أن تخفى التطور اللاحق : حيث انتهت فُعِلَ إلى التعبير عن المجهول .

إن هذا واقع لا يمكن صياغته إلا على أساس فعل ذى فاعل ، وليس « من خلال أية صيغة فعلية » .

وليس يعنينا كثيراً أن يكون هذا الفعل ذو الفاعل ــ على صيغة فَعَلَ أو فَعُلَ ، (أو إحدى الصيغ المتفرعة عنها ، أو على صيغة رباعية) ، إذ يكفى أن يكون له فاعل ، أما فُعِلَ ، فقد تصاغ للإشارة إلى الجهل بالفاعل . وفى مقابل هذا نجد أفعالاً مثل : بَرَد (ــُ) : صار بارداً ، وفتر (ــُ) : صار فاتراً ، وهما على صيغة فَعَلَ ، ولكنهما بلا فاعل ، ولا يمكن أن يكونا للمجهول .

أما فى مجال الاستعمال ، فإن اللغة العربية تدل على اتجاهها إلى أن تجعل (فُعِلَ) ذات فاعل مجهول ، فهى لم تجعل مطلقاً للفعل السالب مكملاً يُظهِرَ الفاعل ، ولو أنها أرادت أن تظهر هذا الفاعل لكررت على سبيل البيان نفس الفعل (أو ما يعادله) فى صيغة المعلوم ، مثل قولهم : أُسِرَ ذؤاب أسَرَه مرة [فذؤاب وضع فى الأسر بيد مرة] [كتاب الأغانى حـ ٩ ص ٦ سطر ٢] ، وقد جاء من ذلك أمثلة كثيرة فى طبقات ابن سعد .....] ، [وانظر كتابنا : Etudes sur le verbe arabe , dans Melanges de L.Massignon II p. 165] .

وفضلاً عن ذلك يجب أن ننظر إلى استعمال صيغة فُعِلَ استعمالاً غير شخصى à l' impersonnel ــ فعلى نحو ما سبق تستطيع اللغة العربية أن تصوغ هذه البنية غير الشخصية من كل فعل متعد غير مباشر : وهى لا تقبله فى الفعل المتعدى المباشر ، فلا يقال : ضُرِب زيداً ، وقد استبعده النحاة العرب ، ولكن وجدت فى العربية بقايا استعمال جد قديم .. استعمال العبرية ، والسريانية والجعزية . وينبغى أن ندرك هذا الاستعمال غير الشخصى الذى يمكن أن يقال ــ إنه انتهى إلى المجهول ، وهو يقدم النموذج الكامل للفعل ذى الفاعل غير المعلوم .

ومع اختصار موضوع (فُعِلَ) يجب أن نفرق بين الأصول : علاقة

فُعِلَ بـ فَعِلَ والتطور اللاحق الذى جعل من (فُعِلَ) فِعْل المجهول ، أى : الفعل ذا الفاعل غير المعلوم عادة فى اللغة العربية .

٢٢ ـ هذه ـ فى لبنان ـ هى الصيغة التاسعة التى احتفظت بها اللهجة فى مثل : صْفَرَّ القْمِحْ sfarr lqamǝḥ وهى فى شمالى إفريقية ـ الصيغة الحادية عشرة : هـ. شتومه H. Stumme « قواعد العربية التونسية » ، ليبزج ١٨٩٦ ـ Leipzig و (دراسة العربية المراكشية)) W. Marçais, Telemcen الدار البيضاء Paris , 1902) M.T. Buret .mcen , p. 84 ; (Casablanca , 1944) 109 ... etc

٢٣ ـ يهمنا أن نذكر طائفة من الأفعال مبنية على جملة معينة ، وهى تعنى : (قال هذه الجملة) ، مثل : (بَسْمَلَ) أى : قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وحمدل : قال : الحمد لله ، هذه الأفعال ليست خاصة بالرباعى ، فقد نجدها فى صيغ أخرى مشتقة مثل : سلم ، أى : قال : السلام عليكَ ، وأكْبَرَ : قال : الله أكبر ، واسترجع ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد أورد E. Benveniste فى كتابه : [Probléms de linguis- tique générale , ch.23] (ط. 1966) أفعالاً من هذا القبيل (délocutifs) ، أى منحوتة مشتقة من عبارة ، وهى من وجهة النظر اللغوية ، تحمل خاصية الإشارة إلى علامة اللغة المشتقة من (عبارة خطاب) (locu- tion de discours) ، لا من علامة أخرى . وهكذا تشكل طائفة مستقلة من المشتقات الفعلية ، لا يمكن أن ينظر إليها على أنها من مشتقات الأسماء .

٢٤ ـ لتفسير ذِى ، ذِهِ ، ذِهِى المكونة لـ هَذِى (وكذلك بالنسبة إلى تِى ، تِه ، تِهِى) أدخل م. بَرَافَمَان M. Bravemann نوعاً من النبر التفخيمى ذا قمّة مزدوجة ، يقسم المصوت المديد بإدخال هاء تفصل العنصرين النطقيين الناتجين ، وهكذا نجد « ذِهْ وتِهْ » فى هذا القول تفسيرهما (تأثير النبر

التفخيمى على صياغة اللغة فى السامية (Mémoires S.L., Paris, t. . XXIII, pp. 329 sq.)

ولماذا نذهب فى البحث بعيداً ؟ إن ذهْ وتهْ ما هما إلا صيغتا وقف وقعتا فى السياق ، فحركتا عادة بمصوت وصل هو الكسرة (انظر رايت جـ ١ ص ٢٢) ، ففى عبارة « ذهْ أمـةٌ » حينما يراد تعريفها يقال : ذه الْأمَـةُ ، (وذلك لاستعمال اسم الإشارة في صيغته البسيطة ، دون عناصر مركبة) ، فمن هنا جاءت « ذه » ثم ذهي أمة (بالياء) قياساً على الصيغ ذات الضمير اللاصق : هى ، فى مثل : بهى (الباء أداة جر ، و « هى » لاصقة) ، هذا هو تفسير العرب (فى مثل الكامل للمبرد ، طبعة رايت ، ص ٤٩٩ سطر ٩ وما بعده) وأخذ به أ . فيشر فى (Islamica, III, 1927, p. 49) .

٢٥ ـ يمكن تفسير ألاء ʼulāʼi بوساطة أُلَى ، أُلاءْ * فى الوقف ، أضيفت كسرة وصل (i) أمام أداة التعريف حين جاءت الصيغة الوقفية فى السياق ، أولاء ـ الـ ، ثم لزمت الكسرة بعد ذلك الضمير فصار : أُلاء . او ربما رأينا فى هذه الكسرة الأخيرة عنصراً إشارياً (قارن اسم الإشارة المصرى دولْ ودولى للجمع) ، فهل كان ينبغى اختصار « أُلاءْ إلى أُلا * » فى الوقف ؟ ، ليس هذا ضرورياً ، وانظر مثلاً : فى (Gr. de Brockelman (I, p. 48 : هوءْ ـ hūʼ (هو) ، وبْهاء ـ bhāʼ ، و (بها) بَغَاءْ bağāʼ (أراد) فى لهجة حضرموت وسوف نناقش (أولاء) الحجازية فى مقال لاحق.

٢٦ ـ يفرق د. كوهين فى دراسته : [Remarques sur la dérivation nominale par affixes dans quelques langues sémitiques] ـ (Semitica , XIV, 1964 , pp. 73 - 93) ـ يفرق فى باب الإلصاق بين سلوك السوابق ، وسلوك اللواحق ؛ فالأولى يحكمها التحول الداخلى (وهو أشكال الوزن المختلفة) ، على حين أن الثانية ترتبط بحالات

استعمال اللواحق الحقيقية ، وينشأ نوع من تحديد مجال التحول الداخلى ، واللغات الأثيوبية تقدم من ذلك أمثلة جيدة ، ونحن هنا سوف نتصور المسألة من وجهة نظر العربية الفصحى وحسب .

إننا نسلم بأن اللاحقة (التاء ـ at ـ) هي لاحقة حقيقية ، Traité , (I - 99, h § ، وقد سبق أن قيل هذا أيضاً ، انظر [السابق : p.100, h] ، والكسرة الطويلة (ī) فى صفات العلاقات ، هى غالباً لاحقة حقيقية ، ولكن بعض التشويهات فى الجذر قد أصابت الصورة الاشتقاقية ، بسبب الوزن ، غير أن حالة اللاحقة (الألف والنون ـ ān ـ) ، تحتاج إلى تأمل من قريب .

فصيغة فَعْلانُ ـ فَعْلَى ـ هى فى رأينا اشتقاق مباشر حدث بسبب الوزن ، لأن اللغة العربية لا تقدم الثابت Le radical ـ الذى تدخل عليه اللاحقة الحقيقية : الألف والنون ـ ān ـ) ، ويبدو لنا من التكلف أن نرى فى ذلك صوغاً مباشراً لكلمة مجردة « سواء بإسقاط المصوت القصير قبل اللاحقة ، أو بدون إسقاطه » ، ومن ذلك : سكرانُ التى تأتى من سَكْرٌ (مصدراً من سَكِرَ) + آن ، وكسْلانُ من كَسَلْ ، (مصدراً من كَسِلَ) + آن . وكذلك فى حالة الصوغ المباشر من اسم محسوس قد نتوهم : فقولنا : شَطْرانُ [سبق ص ٨٨] يمكن تحليله إلى شَطْر + آن ، ولكن : نَصْفَانُ من نصْف ، يشير إلى الانتقال إلى وزن فَعْلانُ وفى ضبعان ، من ضَبْع فهى ضِبْعَان « الذكر من الضباع » كما ينبغى أن نقرأها ، وقَرْنَان مثنى قَرْن وتنطق (قَرْنَان) .

وفى صيغة فَعَلاَن ، وهى تدل على الحركة وفتحة الصامت الثانى الثابت أساسية فى الصيغة ، ولا يمكن أن تسقط ، فيقال فى خَفَق (دق قلبه) مصدراً : خَفْق (لا : خَفَق) ، وخَفَقَان ، وهذا المصدر الأخير ليس صنواً لما سبق ، فهو يرسم صورة ، كما أن قدرته تميزه عن الأول ، والاشتقاق لا يتم إلا بالوزن .

وأما صيغتا فُعْلاَن وفعْلان : من شَكَرَ ، فإن المصدر : شُكْرٌ ، وشُكْران ، ولكن : غَفَرَ يأتى مصدره : غَفْر ، وغُفْران ، ورَجَعَ يأتى مصدره رُجُوع ، ورُجْعَان ، وعرَف يجيء مصدره على : عِرْفة ، وعرفان ، فى حين أن فَقَدَ مصدره فَقْد وفقدان ، وفُقُود ، وفُقْدان ، وعَصَا (i) مصدره : عَصْى ، وعصْيان ، وكلتا الصيغتين لا تبين إلا بالوزن .

أما الألف والنون ـ an ـ فهى لاحقة حقيقية ، وهى قليلة الشيوع فى العربية الفصحى (ولكن من المفيد أن نطرح هذه المشكلة) . ذلك أن الـ : فُرْعل (صغار الضباع) وفُرْعُلان (الصغير أو الذكر من الضباع) ـ تظلان حالة مشكوكاً فيها ، إذا ما قارنا فُرعُلان بعُقْربان ، وأُفْعُوَان ، وثُعْلُبَان [وانظر فى هذه الكلمات ـ Traité § 97 b] ، إذ ينشأ عن ذلك وزن فُعْلُلاَن ، ونحن نجد هذه اللاحقة (وهى اللاحقة البيانية فى حالات خاصة ، يقال فى النداء : يأمَلأَم ، أو يَامَلْأمان يراد : [يأيها اللئيم] ، وعند تقوية الصيغ ذات الخاصة البيانية ، يقال : تيَّاح وتيَّحَان ، (وهو الذى يتدخل فيما لا يعنيه) ، وغيدق وغيْدَقان ، (الرخص الناعم رجلاً أو امرأة) ، وكُذبذب وكُذُبْذُبَان ، [وانظر أمثلة أخرى لدى بارت : Nomb, p.340 ، وفى المزهر للسيوطى حـ ٢ ص ٢٧] .

وهناك أمثلة مثل : شُكْر وشُكْران ، وعِرْفَة وعِرْفان قد تكون هاديا فى البحث عن أصل صيغتى فعْلان وفُعْلاَن ، (كما ينبغى أن نأخذ فى اعتبارنا العلاقة بين آنْ (an ـ) وأَن (an ـ) ، غير أن ذلك كان قديماً ، أي : من حيث الأصل .

إن الوزن هو الذى يظهر أثر الاشتقاق فى الصيغ موضوع الدراسة ، وهو موجز ما أمكن أن نفعله هنا .

* * *

ملاحق الكتاب

«دليل المصطلحات والأفكار»

- A -

a	الفتحة الطويلة
a > i	فتحة صارت كسرة
Accent ...	النبر
Accent tonique	النبر الموسيقى
Accent dynamique	النبر الديناميكى
Accent intense	النبر المتوتر
Accentuation emphatique	النبر التفخيمى (التنبير التفخيمى)
Accompli (verbe)	الفعل التام
Actif (verbe)	مبنى للفاعل
Accusatif	منصوب
Action ...	فعل أو حدث
Action achevée	فعل أو حدث منجز
Action inachevée	فعل أو حدث غير منجز
Adverbe ...	الفضلة التكميلية أو (الظرف)
Adverbe affirmatif	الفضلة التكميلية المثبتة
Adverbe démonstratif de lieu	الفضلة التكميلية المشيرة للمكان
Adverbe de lieu	الفضلة التكميلية ظرف مكان
Adverbe manière	الفضلة التكميلية للسلوك
Adverbe de quantité	الفضلة التكميلية للكمية
Adverbe de temps	الفضلة التكميلية للزمان

Affixation	الإلصاق
affriquée	احتكاكى
Agent ...	الفاعل
Agent inconnu	الفاعل المجهول
Agentif ...	صيغة المعلوم
Agentif moyen	صيغة المعلوم المتوسطة
Allongement de voyelle brève	مد المصوت القصير
Alternance vocalique	تعاقب المصوتات (تبادلها)
Amharique	الأمهرية
Analogie	القياس
Annexation grammaticale	الإضافة النحوية
Apicale	ذولقى
Apocopé	مجزوم
Araméen	الآرامية
Aspect ...	الصورة (الشكل)
A aspect (langage)	لغة مبنية على الصورة
Assimilation	المماثلة
Asyndète	الحذف
Atemporel	لا علاقة له بالزمن
Atone	غير منبور
Atténuatif	مقاربة وتخفيف
Augmentatifs (les)	صيغ التكثير أو التكبير
Augmentation	التكثير

- B -

Bilarité	الثنائية

Bilitéres (les)	ذوات الأصل الثنائى

- C -

Caractère conservateur	الصبغة المحافظة (السمة)
Caractère synthétique	الصبغةالتكوينية
Caritatif	تصغير متعلق بالشفقة والتلطف
Catégorie grammaticale	فصيلة نحوية
Causatif	المسبِّب
Chamito-sémitique	الحاميةالسامية
Changement interne	التغيير الداخلى
Chimerique (phrases)	خيالية (جمل)
Chuintante	المتفشى (أو المسرّ)
Classe (moindre valeur)	طائفة (الأقل قيمة أو الأدنى)
Coefficient d'emploi des voyelles	معامل استخدام المصوتات
Collectif	اسم الجماعة
Comparatif-superlatif	اسم التفضيل
Complément de nom	مكمل مفعول له (اسمى)
Complément d'objet	مكمل مفعول مطلق
Complément d'objet direct	مكمل مفعول به
Complément de manière	مكمل مفعول له (سلوك)
Complément de temps et de lieu	مكمل مفعول فيه (ظرف زمان ومكان)
Complément de cause ou de but, (intention)	مكمل السبب أو الغاية (النية)
Complément circonstantiel	مكمل مفعول فيه (ظرفى)

Complément déterminatif	مكمل مفعول به معرّف
Complément d'etat	مكمل الحال
Conatif	المغالبة
Conception du vocalisme	مفهوم التصويت
Conditionnel	الشرطي
Conjonctions ...	روابط
Conjonctions de coordination	روابط النسق
Conjonctions de subordination	روابط التعليق
Conjugaison commune	التصريف المشترك
Consonantisme	الميل إلى الصوامت
Consonne ...	الصامت
Consonnes constrictives	صوامت رخوة
Consonnes occlusives	صوامت شديدة
Contamination des racines	تداخل الجذور
Contraction	الإدغام
Constation	ملاحظة
Convenance	توافق
Correlatif	مشاركة
Corroboration	توكيد
Coupe syllabique	قطاع مقطعي
Crainte	خوف

- D -

Declaration	إعلان
Déclinaison ...	الإعراب
Déclinaison disparue	الإعراب المستتر

Défense	النهى
Dentale	أسنانى
Dentale-sifflante	أسنانى صفيرى
Dérivation directe	اشتقاق مباشر
Désidératif	طلبى (الرغبة أو التمنى)
Détermination	التعريف
Dialecte ...	اللهجة
Dialecte d'Afrique du Nord	لهجة شمال إفريقية
Dialecte libanais	لهجة لبنان
Dialecte d'Oman	لهجة عمان
Dialecte palestinien	لهجة فلسطين
Différenciation des phonèmes	تنوّع الفونيمات
Diminution	التقليل
Diphtongue	مصوت مزدوج
Diptotes	ذو حالتين إعرابيتين (غير المنصرف)
Disparition des voyelles brèves	استتار المصوتات القصيرة
Dissimilation	المخالفة - الإبدال
Distributifs	الصفات الفردية - التوزيعية
Duel	المثنى
Durée	المدة

- E -

Éclatante	مجهورة (بالنسبة للأذن)
Effort	جهد
Élatif (forme 'aaf' al)	صيغة أفعل التفضيل

Emphatique	مفخم
Emphatisation	التفخيم
Énergétique	التوكيد
Epitéte	مشتق
Esprit innovateur	روح التجديد
Estimation	تقدير
Étouffée	مهموسة (بالنسبة للأذن)
Exclamation	التعجب
Exposants verbaux	زوائد فعلية
Expressivité	الخاصة البيانية (التعبيرية)
Extension analogique	توسع قياسى
Extension en longueur	توسع طولى

- F -

Faits morphologiques	الأحداث الصرفية
Féminin	مؤنث
Féminin sans suffixe	مؤنث دون لاحقة
Flexion interne	التحول الداخلى
Fonction d'intégration	وظيفة التكامل
Forme	صيغة
Formes dérivées du verbe	صيغ مشتقة من الفعل
Forme extensives	صيغ امتداد (مغالبة)
Formes intensives	صيغ المبالغة (أبنية)
Formes rares	صيغ نادرة

- G -

Geez	الجعزية (لغة)

Gémination	التضعيف (الإدغام)
Génitif	مجرور (أو مضاف إليه)
Genre grammatical	نوع نحوى
Genre naturel	نوع طبيعى
Glottale	مزمارى - حنجرى
Grammaticalisation du féminin	تقعيد المؤنث
Grammaire	النحو
G^{y}mouillé	الجيم الملينة

- H -

Haplologie	الحذف - الاختصار (النحت)
Hébreu	العبرية (لغة)
Hiatus	مصوت متصل غير مزدوج

- I -

Impératif	الأمر
Inaccompli	غير التام (الفعل)
Inaccompli indicatif	غير التام الإخبارى (المرفوع)
Inaccompli subjonctif	غير التام الإنشائى (المنصوب)
Indétermination	التنكير
Indéterminés	المبهمات
Infinitif	المصدر
Infixes	الزوائد الوسيطة (الحشو)
Intention	نية - قصد
Interdentale	بينِ أسنانية
Interdentale latéralisée	بينَ أسنانى مُجنّب

Interjections	حروف النداء (أصواته)
Interjection démonstrative	أصوات الإشارة
Interjection impérative	النداء الأمرى
Interversion	القلب
Irreelles (Phrases)	جمل متعذرة

- J -

Jussif	أمرى (غير تام مع أداة أمر)
Juxtaposition	الاتصال المباشر

- L -

Labiale	شفوى (صوت)
Labiovélaire	شفوى حفافى
Langage affectif	اللغة الانفعالية
Langues flectionnelles	لغات إعرابية (تحولية)
Latérale	حافّى (صوت)
Latin	اللاتينية (لغة)
Limitation dans développement	تحديد فى النمو
Locution adverbiale	كلمات ظرفية (فضلات تكميلية)
Loi de Barth	قانون بارت
Loi phonétique	قانون صوتى

- M -

Masculin	المذكر
Matériel sonore	المادة الصوتية المجهورة
Médiopalatale	وَسْط حَنكى

Métathèse de w ou de y	قلب الواو أو الياء
Metrique grecque	العروض الإغريقى
Monolitères	ذوات الأصل الواحد
Monosyllabique	ذات مقطع واحد
Morphème modal	مورفيم الصيغة
Morphème initial	مورفيم متصدر
Mots étrangers	كلمات أجنبية
Mot-geste indicatif	كلمة متحركة مشيرة
Mots primitifs à une voyelle	كلمات بدائية ذات مصوت واحد
Moyen-intensif	المبالغة المتوسطة

- N -

Nasale	أنفى
Nasalisation	التأنيف
Negation absolue	نفى مطلق
Nom abstrait	اسم المعنى (المصدر)
Nom d,agent	اسم الفاعل
Noms communs	أسماء مشتركة
Nom concret	اسم ذات
Nom d'instrument	اسم آلة
Nom de métier	اسم حرفة
Noms neutres	أسماء محايدة
Noms de nombre	أسماء العدد
Nom de patient	اسم المفعول
Nom propre	علم (اسم خاص)

Nom propre étranger	علم أجنبى
Noms quadrilitères	أسماء رباعية
Nom de secte	اسم الطائفة
Nom de temps ou de lieu	اسم الزمان أو المكان
Nom d,unité	اسم الوحدة
Nom verbal	اسم الفعل
Nominatif	مرفوع
Non-régularisation	عدم التنظيم
Nounation	التنوين

- O -

Obligation	تكليف ـ إلزام
Onomatopie	اسم صوت
Ordre des mots	نظام الكلمات

- P -

Parataxe	تركيب بسيط
Parois du pharynx	أقصى الحلق
Participatif afficient	المشاركة المعاملة
Participe actif	مشتق مبنى للفاعل
Participe passif	مشتق مبنى للمفعول (للمجهول)
Particule de présentation	أداة تنبيه
Péjoratif	التحقير
Périodique	دورى
Permission	السماح
Pharyngale	حنجورى
Philologie arabe	فقه اللغة العربية

Phonologues	علماء الأصوات
Phonologie	علم الأصوات التنظيمى (السياقى)
Phonologique	تنظيمى (تشكيلى ـ سياقى)
Phrases brisées	جمل مكسرة
Place des mots	مكان الكلمات
Pluriel interne	جمع داخلى (تكسير)
Pluriel externe	جمع خارجى (سالم)
Pluriel du petit nombre	جمع القلة
Position intervocalique	وضع بين المصوتات
Postpalatale	أقصى حنكى
Potentielles (Phrases)	جمل احتمالية
Prédicat verbal	مسند فعلى (أو خبر فعلى)
Prédicat nominal	مسند اسمى (أو خبر اسمى)
Préfixe	سابقة
Préfixe formatif	سابقة صياغية
Prégnance des formes	تناسل الصيغ
Prépalatale	نطعى
Prépositions	أدوات (حروف الجر)
Présent	الحاضر
Progression phonétique	التدرج الصوتى
Pronoms-adjectifs	الضمائر الوصفية
Pronom de rapel	ضمير رابط
Pronoms-adjectifs démonstra-tifs	الضمائر الوصفية الإشارية
Pronoms isolés	الضمائر المنفصلة

Subjonctif	إنشائى منصوب
Substrat syriaque	بذور من السريانية
Sud-arabique	جنوب الجزيرة العربية
Suffixe du duel	لاحقة المثنى
Suffixe du masc. plur.	لاحقة جمع المذكر
Suffixe du féminin	لاحقة المؤنث
Sujet	مسند إليه (مخبر عنه)
Syllabe fermée	مقطع مقفل
Syllabe brève	مقطع قصير
Syllabe longue	مقطع طويل
Syllabe ultra-longue	مقطع مديد
Syriaque	السريانية

- T -

Temps	الزمن
Terminologie linguistique	مصطلح لغوى
Tigray	التيجرية (لغة)
Timbre des voyelles	طابع المصوتات
Toponyme	اسم المكان
Transitif ou intransitif	متعد أو غير متعد (لازم)
Trilitères	ذوات الأصل الثلاثى
Triptotes	ذو الأحوال الإعرابية الثلاثة (إعراب ما ينصرف)
Trochaïque (mesure)	وزن مكوّن من مقطع طويل + مقطع قصير

- U -

Usage varié	عرف متنوع
Uvulovélaire	لهوى

- V -

Valeur d'aspect	قيمة الشكل
Variation de voyelles	تغير المصوتات (تنوعها)
Vélaire	حَفّافى
Vélarisation	الإطباق
Verbes assimilés	أفعال أمثلة
Verbes concaves	أفعال جوفاء
Verbes défectueux	أفعال ناقصة (معتلة)
Verbes dénominatifs	أفعال محوّلة عن أسماء
Verbes duratifs	أفعال مستمرة
Verbes imperfectifs	أفعال ناقصة
Verbes inchoatifs	أفعال شروع
Verbes instantanés	أفعال حينية
Verbes itératifs	أفعال متكررة
Verbes perfectifs	أفعال تامة (مقابل ناقصة)
Verbes résultatifs	أفعال محصلة
Verbes sourds	أفعال صَمّاء (يتماثل صامتها الثانى مع الثالث) (مضعفة)
Verbes d' imminence	أفعال المقاربة
Verbes terminatifs	أفعال انتهائية
Verbes de savoir	أفعال تفيد العلم والمعرفة

Vocabulaire technique	مصطلح فنى
Vocatif	النداء الدعائى
Volition	مشيئة
Volume du mot	حجم الكلمة
Voyelle brève	مصوت قصير
Voyelles en contact	مصوتات متصلة
Voyelle de disjonction	مصوت فصل
Voyelles longue (fracture)	مصوت طويل
Voyelles moyenne	مصوت متوسط
Voyelles thématique	مصوت وصل
Voyelles ultra-longue	مصوت مديد

- W -

w, y, dissimué en hamza	واو أو ياء مبدلة همزة

* * *

دليل الصيغ

رتبت هذه الصيغ حسب أسبقية ورودها بالكتاب

* * *

دليل الأعلام

روعى فى ترتيب هذا الدليل أول حرف بعد أداة التعريف أو بعد كلمتى « أب » أو « ابن » واقتصر فيه على أعلام الاشخاص او القبائل

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
٣– الروابط	٢٤٠
القسم الخامس : الطرق النحوية الأخرى التى تبنى منها النماذج الرئيسية فى اللغة	٢٤٣
١ – النبر الديناميكى أو الموسيقى	٢٤٣
٢ – نظام الكلمات	٢٤٤
٣– التركيب (النحت – الاختصار)	٢٤٥
الباب الثالث : التركيب	
القسم الأول : الجملة البسيطة أوليات	٢٥١
الفصل الأول : المرفوع	٢٥٢
الفصل الثانى : المجرور	٢٥٨
أ – وظيفة التعريف والإضافة	٢٥٨
ب – التعريف الناشىء عن الإضافة	٢٥٨
جـ – السمات النحوية للإضافة	٢٦٠
د – إضافة نحوية أو إضافة ناقصة	٢٦٠
هـ – المجرور بعد جميع الأدوات	٢٦٢
و – وظيفة المكمل : غير المباشر وتفسيرها بعمل الأداة	٢٦٢

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *